أ.د. عماد الدين خليل

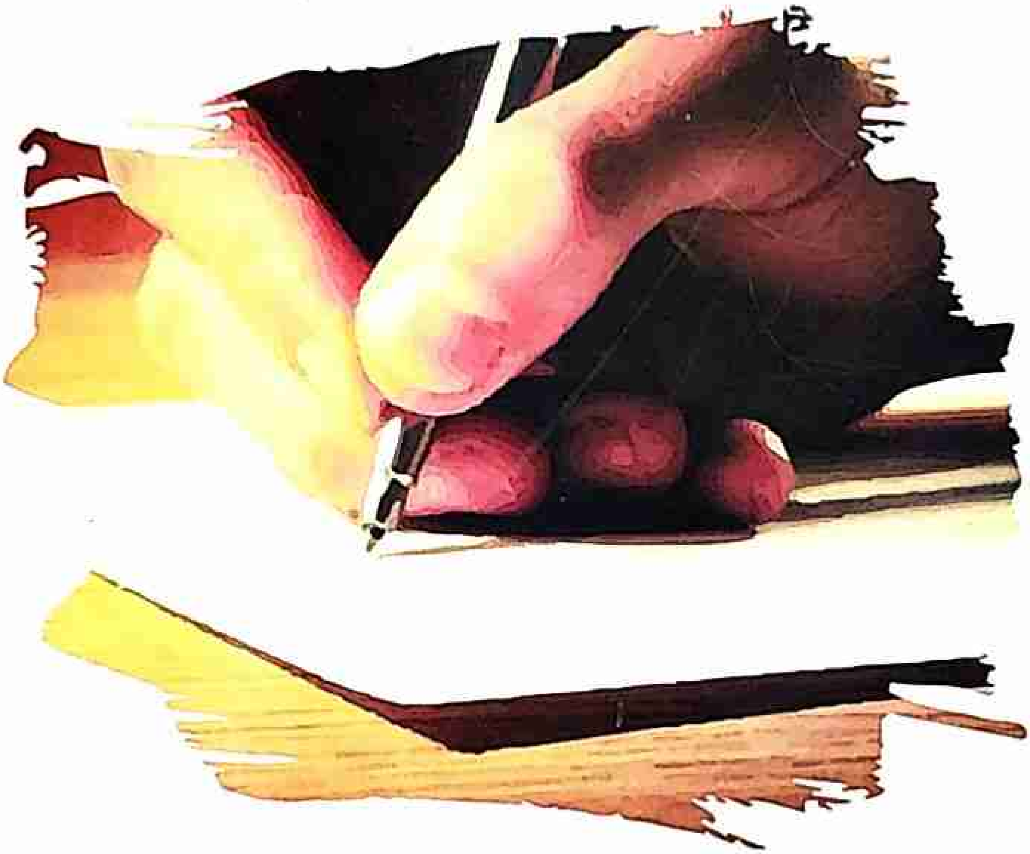

من مذكرات طالب جامعي

دار ابن كثير

من مذكرات
طالب جامعي

© حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف.

• الموضوع: سيرة ذاتية
• العنوان: من مذكرات طالب جامعي
• تأليف: أ.د. عماد الدين خليل

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م
ISBN 978-614-415-323-9

• الطباعة والتجليد: المطبعة العربية - بيروت
• الورق: أبيض / الطباعة: لون واحد / التجليد: غلاف
• القياس: 15×22 / عدد الصفحات: 336 / الوزن: 440 غ

ISBN 978-614-415-323-9
9 786144 153239

DAR IBN KATHEER

دمشق - سورية - ص.ب: 311
حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
تلفاكس: 2225877 11 963+
2228450 11 963+

بيروت - لبنان - ص.ب: 113/6318
برج أبي حيدر - شارع أبو شقرا
تلفاكس: 817857 1 961+
705701 1 961+
جوال: 204459 3 961+

website: www.ibn-katheer.com / e-mail: info@ibn-katheer.com

/daribnkatheer @daribnkatheer daribnkatheer daribnkatheer

أ.د. عماد الدين خليل

من مذكرات طالب جامعي

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه مختارات من مذكراتي اليومية عندما كنت طالباً جامعياً في كلية التربية بجامعة بغداد، للحصول على البكالوريوس، في التاريخ في المرحلة بين عامي (١٩٥٩ ـ ١٩٦٢م)، نقلتها كما كتبت أوّل مرة، دون أي تغيير أو تبديل احتراماً للصدق الفنّي.

وقد ألحقتها في البداية كفصل أخير من فصول سيرتي الذاتية التي تحمل عنوان (**أشهد أن لا إله إلا أنت**)... ولكني إذ رأيت عدد صفحات السيرة سيزداد حتى يبلغ الألف صفحة عدداً، فيما يصعب عليه تداول الكتاب بين القرّاء... آثرت سحبها وإصدارها في غلاف مستقل يحمل عنوان (من مذكرات طالب جامعي)...

وهذه المذكرات ـ على أية حال ـ تعكس بصدق جانباً من مياومات طالب جامعي بمسراتها وآلامها... بأبيضها ورماديها وأسودها... على السواء... وهي تمثّل محاولاتي المبكّرة في الكتابة والتأليف في سياقات الفكر والتاريخ والحضارة والأدب... ويجب ـ وأؤكد على الكلمة ـ التعامل معها وفق المرحلة الزمنية المبكرة التي كتبت فيها.

كنت أشتري عاماً بعد عام من زمن دراستي الجامعية (الأجندات: المفكرات) التي تصدرها المطابع لرجال الأعمال، وهي دفاتر تقويم صغيرة بحجم الكف، لتسجيل المواعيد التجارية والعملية، أما أنا فاعتبرتها فرصة لكتابة المذكرات، حيث ألزمت نفسي بأن أدوّن على مدى العام مذكراتي اليومية، أغطي بها هذه الصفحة التي هي بحجم الكفّ، إما بخبرة شخصية، أو تعليق على حدث سياسي، أو نقد لكتاب أنجزت قراءته، أو خبرة ذاتية أو عائلية، أو هم أو حزن أو مسرّة أو.. الخ...

تجربتي مع الأجندة علّمتني ـ في ذلك الوقت المبكر من العمر ـ شيئين: فأما أولهما فهو الصبر على الكتابة... ذلك أن أحد المطالب الأساسية للكتابة هي الالتزام، ليس بالمعنى الاصطلاحي المعروف لدى النقاد، ولكن بدلالته اللغوية... إلزام المرء نفسه بالكتابة اليومية مهما كانت أوضاعه النفسية ومزاجه...

الروائي المعروف (نجيب محفوظ) كان يقول في جلّ حوارياته التي نُشرت في الصحف والمجلات وجُمعت في كتب أحياناً، أنه على مدى خمسين عاماً أو ستين كان يلزم نفسه يومياً بالكتابة لأربع ساعات أو خمس، ما بين التاسعة صباحاً والواحدة ظهراً... هذا الالتزام الزمني ضروري جداً، رغم أني كنت أجد صعوبة وأنا أقبل على كتابة هذه الصفحة الصغيرة بهمّ وقلق واكتئاب، مهما كانت على درجة من التفاهة والتعقيبات المسطحة على الظواهر والخبرات والأشياء...

هذا الالتزام يثقل على النفس، لكن علينا أن نمرّن أنفسنا عليه فعلاً، ولقد ذهبت إلى غير رجعة فكرة أن الكاتب أو الأديب هو ذلك الشاعر الذي ينتظر من شهر لشهر، أو من سنة لأخرى لحظة الإلهام تتنزل عليه من فوق... في الكتابة لا بدّ من الجهد المتواصل والالتزام بالعمل اليومي، ربما يخرج عن هذا، الإبداع الشعري فحسب، أما القصة القصيرة والرواية والمسرحية والسيرة الذاتية، وبطبيعة الحال المقال والتنظير والنقد والدراسة الأدبية أو الفكرية أو التاريخية الخ، فهي جهد يجب أن نلزم أنفسنا بالتعامل معه يوماً بيوم، إذا أردنا أن نواصل الطريق...

هذه التجربة البسيطة المتواضعة علّمتني ـ إذن ـ شيئاً مهماً، وهو أن أكتب يومياً... هذه الصفحة التي قد تسرق مني نصف الساعة أو الساعة من الزمن...

أما الخبرة الأخرى التي علّمتني إياها تجربتي مع (الأجندة)، فهي تركيز الفكرة المكتوبة ضمن المساحة المطلوبة... إننا في محاوراتنا قد نوجز الفكرة الواحدة في دقيقتين ونريح الموجودين، وقد نفيض فيها الساعات الطوال... كذلك الحال في الكتابة... إن أية فكرة من الأفكار يمكن أن تضغط في صفحة واحدة، ويمكن ـ أيضاً ـ أن تتمدد على صفحات طوال... إن لغتنا العربية لغة سخيّة جداً، وذات عمق إنشائي، وهذه ميزة قد تكون لنا وقد تكون علينا إذا لم نحسن التعامل مع هذه اللغة الخصبة الحساسة التي سماها العقاد «اللغة الشاعرة»...

في لغتنا هذه كل معنى قد تكون له عدة كلمات، بينما الكلمة الواحدة في اللغات الأخرى، قد تنطوي على عدة معانٍ... فعلينا أن نحسن الاختيار، وأن نسعى إلى التركيز وتجاوز الإنشائيات ما وسعنا الجهد...

وقد علّمتني هذه الخبرة المتواضعة في مستقبل الأيام إنجاز العديد من كتب (المقالات) التي لا يتجاوز أحدها الصفحتين فحسب، ولكنه ينطوي على شبكة خصبة من التحليلات والأفكار... وقد بلغت تلك الكتب الأربعة عشر مؤلفاً...

مهما يكن من أمر؛ فإنني عدت إلى مذكراتي الجامعية هذه لكي أنتقي منها نماذج فحسب مما قد يهّم قرائي الذين يتابعون كتاباتي؛ لكي يروا بأم أعينهم كيف بدأت تتشكل أولى معطياتي التأليفية؛ التي استغرقت ـ فيما بعد ـ عمري كلّه، وتركتني ركاماً بعد أن جاوزتِ التسعين مؤلف عدداً...

وما ذلك إلا بفضل من الله جلّ في علاه؛ الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم...

أ.د. عماد الدين خليل

الموصل في ٢٠١٦/٥/٢٥م

من مذكراتي اليومية

لعام ١٩٥٩م

١ كانون الثاني

رباه... ها هي ذي الأجراس تقرع، تحتم عليّ أن أكتب وأن أسرع في الكتابة، كأي فرد، الوحدة في خضم هذه الحياة الوحدة الأساسية الأولى للبناء الإنساني الكبير... وأن أكتب عن الأعماق باعتبارها الموجّه الأول لهذه الوحدة... الموجّه الإيجابي لغايات متباينة مطلقة ونسبية... الموجّه نحو الخير المطلق أو الشر المطلق... أو الحياة التي يتجلى فيها بين الخير والشر صراع عميق... وثمة حقيقة هي أن العنصر الأول في هذه الأعماق هو الفكر.

ها هي ذي الأجراس تقرع بقوة تحتّم عليّ أن أكتب، وأن أسرع في الكتابة عن التكوين الناتج عن ارتباطات الأفراد أيّاً كانت... عن المجتمع... عن تفاعله... وعن غايته... وأن أكتب عن المبدأ الذي يتبناه ـ إن كان هناك مبدأ ـ باعتباره الموجّه الأول لهذا المجتمع... الموجّه الأول لغايات متباينة مطلقة ونسبية...

الموجّه نحو الخير المطلق أو الشرّ المطلق... أو الحياة التي يتجلّى فيها بين الخير والشر صراع عميق... وثمة حقيقة هي أن العنصر الأول في هذه المبادئ هو فكرة التوازن...

وتقرع الأجراس بقوة، تنعى على البشرية طريقها التائه واتجاهها اللاواعي... وغايتها المحدودة... وأفلاكها المتشابكة المضطربة... وهذه الوحدة الزمنية المقبلة تتفاعل فيها الأعماق... والمجتمعات... والبشرية... سواء... والحقيقة هي الحقيقة لا لبس فيها ولا غموض.

٣ كانون الثاني

إن نفسي لتتفاعل... وأعماقي تمعنُ في البعد... وإني لأرى الأشياء على حقيقتها أثناء هذا التفاعل وهذا الإمعان في العمق... ولو أني أمسك بالقلم إبان هذه التفاعلات النفسية لكتبت عن طبائع الأشياء، وعن الحقيقة في عناصرها المختلفة ما لو أتيت عليه يوماً أقرؤه لعجبت من وصولي إلى هذه الحقائق... ولو أني أمسك بالقلم إبان هذه التفاعلات لنظمت من الشعر غايته في الموسيقى... والعمق... والقوة... لأنه يأتي من معين الحقيقة الشعرية... إنه يأتي ويتدفق من وراء اللاوعي فيتفجر تفجيراً...

ولكني ـ وربما كان ذلك اللذة المطلقة في هذه التفاعلات الحياتية العنيفة العميقة في آن ـ أدع لها الاستمرارية اللاإرادية حتى تنتهي... فإذا بي أهرع إلى القلم آنذاك، أكتب عنها... وتجيء الكتابة في هذه الحالة جافة جفاف نفسي أثناءها... فيا

أيها الذين تألموا كثيراً ثم جاءتهم لذة الألم... انثروا ما في نفوسكم من حياة على الورق سريعاً... ليبقى حيّاً ما تكتبون!!

٤ كانون الثاني

وتمضي الحياة... وليس لنا من مرورها إلّا الفناء... هنالك تتضح فلسفة الحقيقة... والويل لمن جهلها... وهنالك تتبين إيجابيتها...إنه لا يفنى... إن ماضيه هو جزء من وحدة الوجود... إنه الوسيلة المتصلة بغايتها لأنها من عنصر واحد... وليس إذاً ثمة فناء في خضمّ هذه الحقيقة... ليس إذاً ثمة سلب في عنصر الحياة... في أي طور من أطواره... الله الذي في السماء هو الذي انطلقت عن إرادته هذه المخلوقات الحية... هذه العناصر الحياتية المتفاعلة... انطلقت عنه لتتأبّد به من نقطة الحياة إلى اللانهاية... فنحن إذن مرتبطون به إن أردنا أم لم نرد... ومن هنا كان الفناء، ومن هنا كان الخلود... نحن إذ نعرف هذا وجب علينا أن تكون صلتنا بالله إيجابية محضة، نصّ على اتجاهاتها الخالق جلّ في علاه، في قانون الحقيقة الأسمى... الدين الذي هو اتصال مجرّد... وهكذا نصل وحداتنا الحية المحدودة بالحقيقة الحية المطلقة، فنحظى بالخلود... أو فالفناء عندما تمضي الحياة وليس لنا من مرورها إلا الفناء!

٨ كانون الثاني

ولا تزال الشمس تشرق يوماً بعد يوم... هي هي لم تغيِّر في يوم من الأيام اتجاهها... ولم تحجب عنا نورها أبداً... إنما هي آية الله

ورمز لحقيقة الخلود... أما الذي يغيِّر اتجاهه، وأما الذي تُظلم أعماقه في هذه الحياة إنما نحن البشر... وإذا ما أردنا يوماً أن تشرق أعماقنا أبداً، وأن لا نغيّر اتجاهنا أبداً... وأن نكون آيات للخالق على الأرض... وحدات لحقيقة الوجود، فوجب إذن السير وفق الطريق الذي رسمته يد الخالق ﷻ ... الطريق النهائي... الطريق الذي وازن بين الماديات والمعنويات بصورة مطلقة... طريق الحقيقة... الإسلام... إن فلسفته لخليقة أن تعرف بنفس العمق الذي وصلت إليه طبيعة الإسلام... وإذا ما عرف الإنسان ذلك فإنه ولا بدّ سيتدرج في وصوله إلى الحقيقة المطلقة: الإسلام.

١١ كانون الثاني

أكتب اليوم عن «اللاوعي» في الشعر... عن ذلك المعين الفياض الذي يتفجر عنه الشعر حيّاً على الورق... إنك حينما تقرؤه، لتحسّ بالحياة والعمق والجمال... إن الألم هو ولا شكّ عنصر مهم من عناصر اللاوعي... ثم يلحّ عليك الألم فيكون الدافع القوي لكي تكتب الشعر... وإن له لموسيقى عميقة هادئة حيناً وصاخبة حيناً آخر... موسيقى طبيعية تماماً تضفي على الشعر رواء وحياة... والشعر نادراً ما يتفجر عن اللاوعي، لذلك لا نجد بين المؤلفات الشعرية الكثيرة إلا قطعاً معدودة تملك علينا وجداننا وحسّنا... وأنها لتمسّ أعماقنا من ذات الطريق... من اللاوعي... إنك حين تريد أن تحمّل الشعر معانٍ علمية... تخرج عن اللاوعي الشعري إلى التكلّف والاستجداء، فيكون شعرك جافاً

سطحياً لا تحسّ له أية موسيقى تملك عليك مشاعرك... إنني سأنظم الشعر، ولا بدّ يوماً أن تأتي من بين قصائده تلك التي تتفجر عن اللاوعي، ولسوف تظلّ حيّة على مدار الزمن...

١٣ كانون الثاني

إن ثمة عقبة تعترض طريق أولئك الذين يريدون أن يكتبوا آلامهم وأحاسيسهم على الورق... إن نفوسهم لتكاد تحترق من الألم، وإنهم لو يكتبون ما يملك عليهم إحساسهم لحظتها... لكانت كتابتهم قطعة حية، ولكان شعرهم ينضح بالعمق والحياة والموسيقى... ولكان تعبيرهم صادقاً لا تكلّف فيه... إلا أنهم لسوء حظهم... يدعون القلم جانباً لسبب ما، حتى تتم سلسلة التفاعل النفسي، والإحساس الوجداني، والألم العميق، والإدراك لطبائع الأشياء... والوصول إلى الأعماق... إلى الحقيقة...

إنني في أحيان كثيرة أعبر، بدون ما قلم، عما يجيش بأعماقي من نثر وشعر... إن تعابيري إذ ذاك تأتي ولا ريب قوية عميقة حيّة، لأنها تصاغ إبان إحساسي وتفاعلي النفسي... وحينما أمسك بالقلم... أقف طويلاً لا أدري ماذا أكتب... لأن ليس ثمة إحساس أو ألم... وإنها لتجربة قاسية سنتخذها سلماً للمجد والخلود بإذن الله...

١٥ كانون الثاني

ها أنا ذا أسمع موسيقى الحياة هادئة عميقة... وإني أكاد،

وهي تتغلغل في حنايا قلبي ونفسي... أسجد لله فأطيل السجود... وأعفّر وجهي بالطين الذي خلقت منه... إني أحسّ موسيقى الخلود تدعوني أن أربط نفسي... أن أربط هذه الذرة التائهة بعجلة الخلود... ها أنا ذا أحسّها تنساب إلى أعماقي فتسقط فيها ما شاء الله لها من نور... هنالك أسمو بالألم المقدس أبداً إلى أعلى... أبداً إلى الله... ها هي ذي موسيقى الكون تهزني بالحياة المطلقة، وتشدني إلى الحياة المطلقة... فأتخلص من الألم المطلق الناتج من البعد عن تيار الحقيقة... ويل لمن ابتُلي به، وكانت نفسه مؤمنة بحقيقة الوجود... وبل لمن يحسّ في أعماقه مدى هذه الحقيقة ثم هو لا يرمي بنفسه في أحضانها؛ لأن هناك حاجة إلى الإيمان الحي ليضفي على التجارب حياة وقوة... الله وحده هو الذي يضفي على العلم بالحقيقة إيماناً حيّاً بها... كل الحياة وكل القوى يطلقها الإيمان من أعماق الإنسان لتسيّره في المخطط الذي رسمه الفكر بعد معرفته الحقيقة... ساحقاً بهذا الاندفاع أية عقبة تقف أمامه... تريد صدّه عن الطريق...

١٩ كانون الثاني

الجو غائم عاصف، ماطر بارد... كنت قد قررت الدراسة في ساحة كرة القدم تحت أشعة الشمس الدافئة... فلما حجبتها الغيوم وحلّ محلّها البرد والرياح... وبدأ الجو يظلم شيئاً فشيئاً، ويحمل ذرات من الطين الأحمر... ثم أظلم أكثر فأكثر حتى أصبح التنفس عسيراً لكثرة الغبار... وأصبحت الرؤيا عسيرة هي

الأخرى... وعندما حانت الظهيرة ذهبت إلى الغداء ومنه إلى غرفة الرسائل، فإذا برسالة من صديقي طارق صالح قد وصلتني... ففتحتها وقرأتها بكل شوق ولهفة... لقد كتب فيها أخباراً كثيرة عن ألمانيا التي ذهب للدراسة فيها، وعن البلدة التي يعيش بجوارها... خرجت بعد الظهر واجتزت شارع الرشيد؛ حيث اشتريت كتابين هما (الغليون) و(الخال فانيا) لكاتبين روسيين، وركبت الباص عائداً إلى الكلية، ومنها إلى القسم الداخلي لأدرس عدة صفحات، ثم يطفأ النور في الغرفة، فتأخذنا سِنة من النوم وننسى كل شيء!!

٢٨ كانون الثاني

انتهينا هذا اليوم من امتحان نصف السنة... لشدّ ما كنّا في انتظاره... لأننا إضافة إلى إنهائنا إحدى العقبات التي لا بدّ منها وهي الامتحان... إضافة إلى إنهائنا المراجعات الكريهة المرهقة التي تملأ نفوسنا خلالها بهمّ كثيف... إضافة إلى كل هذا فإن هذا اليوم يعني مغادرة بغداد... لشدّ ما اشتقت إلى بلدي الحبيب عبر ثلاثة شهور قضيتها في بغداد... وإلى تلك الأماكن التي كنت أقضي جلّ أوقاتي فيها... أطالع... وأتأمل... وأجرّر ذكرياتي واحدة تلو الأخرى... وكنا نعدّ الأيام عدّاً في انتظار هذا اليوم... ومرّت الأيّام سريعة بطيئة... طويلة قصيرة... امتلأت بذلك النوع من الجفاف الذي تتسم به أيام المراجعة والدراسة... وذهبنا إلى المحطة فور خروجنا من قاعة الامتحان إلى القطار... لنقضي ليلة

كلها سهر وإزعاج ولكن وراء ذلك البلد الحبيب الذي سينسينا كل شيء!!

٣٠ كانون الثاني

الله وحده هو الذي أنقذنا هذا اليوم!! ذلك ما تفوهت به من صميم قلبي بعد نجاتي وابن عمي إنعام الطالب من صدمة سيارة قاضية... لقد كنا عائدين عند الظهر... وعند دورة قريبة من حديقة الشهداء قابلتنا سيارة، فتوقفنا، ولكنها توجهت إلينا تماماً وبسرعة كبيرة... فقفزت أنا من أمامها وبقي ابن عمي واقفاً في مكانه... لقد دخلت من بيننا ولم يحدث شيء والحمد لله... فلو ترددت في قفزتي... ولو كنت أقلّ سرعةً فيها... ولو كانت خطوتي أقصر لوقعت الحادثة... ولو تقدّم ابن العم خطوة واحدة للقي المصير نفسه... قلت له منفعلاً: أي غبي في العالم لا يؤمن بأقدار الله ﷻ! لقد أراد خالقنا لنا الحياة... هو وحده ﷻ ... وهتفت من أعماقي: سبحانك يا خالق!... سبحانك... وعدت إلى البيت وأنا أشعر أني خُلقت من جديد... وكلما تذكرت السيارة وقفزتي، قلت لو ترددت فيها... لو كنت أقلّ سرعة... لو... لو... لكن الله وحده هو الذي كتب لنا الحياة...

٩ شباط

انتهيت هذا اليوم من مطالعة الكتاب الأول من سلسلة مطالعاتي لهذا العام، وهو قصة (مرحباً أيها الحزن) للمؤلفة الفرنسية فرانسواز ساغان... ولم يكن يستحق تلك الشهرة التي

طبّقت الآفاق... ولكنه على أية حال صورة تحليلية للروابط المختلفة؛ التي تشد أفراد العائلة من جهة، والظروف المؤثّرة في اتجاهات تلك العائلة وحياتها الاجتماعية...

تقع حوادث القصة في قرية فرنسية على الساحل، ويدور محور القصة حول (آن) المرأة الدخيلة على عائلة (سيسيل). لقد كانت هذه العائلة المكونة من ابنة وأبيها وعشيقته تعيش عيشة صاخبة تدعوها الفتاة، عيشة متحررة من كل القيود الاجتماعية... ولكن (آن) لها ذوقها في الحياة ولها تقاليدها وحدودها... فمجرّد زواجها من أبي الفتاة يعني الحدّ من تصرفات العائلة... لذا عمدت الفتاة إلى ترتيب خطة تتخلص بواسطتها من (آن)، ولكنها أثناء ذلك يأخذها الندم وعذاب الضمير... ولكن ما جدوى ذلك والخطة تقترب من نهايتها الناجحة؟!

١٣ شباط

أحياناً كثيرة يدفعني شوق شديد إلى الكتابة... الكتابة عن أي شيء... شعراً ونثراً... الكتابة عما يضطرب في أعماقي وعمّا تحسّه نفسي... وعما أشعر به من إيمان وحب واطمئنان... وربما كتبت ذلك على هذه الصفحات، وربما تركته يتمّ في نفسي وأعماقي دون أي تعبير... وأحياناً أكثر تخمل نفسي وفكري ولا يعود لي أيُّ شوق للكتابة... ولهذا أدع صفحات كثيرة في هذه المفكرة فارغة بيضاء، أو ربما ملأتها بالأحداث... أو باللغو والهذر... لقد قررت قبل ابتداء هذا العام ملء جميع هذه الصفحات لأعود إليها

في المستقبل البعيد فأجدها كنزاً ثميناً يحوي أحلى الذكريات، وأعمق الأحاسيس والمشاعر، وأجلّ الأحداث... وأجد فيها جميع الكتب التي قرأتها عبر العام مع نبذة ناقدة عن كلٍّ منها... وعلى أية حال فأنا أبذل جهدي لملء أكبر عدد ممكن من الصفحات مهما كلّفني ذلك...

٢١ شباط

انتهيت أمس ليلاً من قراءة رواية (أرض النفاق) ليوسف السباعي... وقد استغرقت وقتاً طويلاً في قراءتها لأن مطالعتي كانت متقطعة... فقد قرأت فيها في البيت والبحيرة وفي القطار وفي بغداد... والحقيقة أنها قصة رائعة، تأتي في مقدمة القصص التي تقوم على أساس النقد الاجتماعي... إنها صورة صادقة تماماً للمجتمع المصري في عهد فاروق... ذلك المجتمع الذي يقول عنه الأستاذ سيد قطب بأنه «مخالف لطبائع الأشياء»... وقد كتبت القصة بأسلوب ساخر مضحك... ولكنه ـ كما تقول بنت الشاطئ... «ضحك كالبكاء»، المعنى الذي اقتبسته من بيت المتنبي:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكا

ولكن الدماء والتشرد والنواح تطغى على الضحك وحتى على الابتسام... وينتهي السباعي من قصته بنهاية يتمناها كل مصري آنذاك... أن يزول النفاق والانحلال ويحلّ العدل والبناء...

٢٤ شباط

كتبت هذا اليوم الرسالة الأولى إلى ابن عمي هشام الطالب، الذي يدرس البكالوريوس في إنكلترا... لم تكن بيننا قبل ذلك أية مراسلة... وبدأتها بقولي «من أعماقي أنتزع رسالتي الأولى إليك... فما من شيء أروع من خلجات الأعماق وأحاسيسها، عندما تخرج حية على الورق بنفس العمق الذي هي عليه... ثم ترسل... غير معترفة بالزمن... غير معترفة بالمكان... إلى فرد في هذه الحياة يربطني وإياه مبدأ واحد هو مبدأ الحقيقة... إيماننا بهذا المبدأ مطلق لأنه مبدأ الله ﷻ ...» فتح باب الغرفة الآن ودخل عليّ الأخ مؤيد عبد الله بعد غياب طويل، وجلس بجانبي على نفس السرير، ينكّت كعادته معي، وأنا أضحك ضحكاً لا يتجاوز وجهي... لأنها نكت مألوفة مكررة... لكن الشيء الذي يجذبني إليه هو نفسيته الرائعة الخالية من شوائب النفاق والخبث... وأخلاقه العالية... ومبدؤنا الواحد الذي يشدّنا إلى الحياة برباط متين...

٢٥ شباط

كان هذا اليوم غائماً بارداً ومغبرّاً كعادة بعض الأيام المزعجة في بغداد... وجاءت

الساعة الثالثة ودخلنا محاضرة علم الاجتماع، وجاء الدكتور علي الوردي، وبدأت المناورات، هو من جهة ونحن أربعة من الطلاب نفند ما يقول... وبدأ ينسحب شيئاً فشيئاً... حتى قال أنه مؤمن إيماناً عميقاً بالله... فقيل له: هل أنت على حق في عدم

إطاعتك لما يقول في كتابه مع أنك مؤمن به بصورة مطلقة؟ فردّ قائلاً: يجوز أن أكون مخطئاً... وأراد إثارة مسألة الإخوان وعبد الناصر، لكن أخاً من الإقليم الجنوبي للجمهورية العربية المتحدة فوّت عليه الفرصة وألجمه... وقلت له: إنك قلت في درس مضى إن الإسلام يحرِّم الثورة... فقال: إن قلت ذاك فأنا خاطئ وأرجو المعذرة... وخرجنا منتصرين... وقررنا أن ندخل معه معارك أخرى إن شاء الله... وعند المساء جاء إلى غرفتنا في الداخلي الأخ العربي بصحبة بعض الأصدقاء، وتكلم عن الإمام حسن البنا (رحمه الله) وعن الإخوان... وعن جمال عبد الناصر... حديثاً لا أنساه مدى العمر!!

١٣ آذار

انتهيت اليوم من مطالعة مسرحية الحكيم (رحلة إلى الغد)... وقد كانت رحلة ممتعة حقّاً عشتها مع أبطال المسرحية. وأعتقد أن هدف الكاتب هو نقد تيارات الحياة المختلفة: تيار المادية المجرّد... وتيار الجمود والرجعية... أعني التعلّق بالماضي فقط دون النظر إلى المستقبل... وأولئك الذين يعيشون حياتهم في الخيال ويعتقدون أن الحياة كلها حب وإخلاص... كتب الحكيم مسرحيته إذن لينقد التيارات والنفسيات المختلفة... ووضع لكل بطل اتجاهاته ورسم لكلٍّ مبدأه، وآراءه... فخرج كل منهم وحدة متفاعلة في هذه الحياة... وحدة لها اتجاهاتها وحياتها الخاصة... ثم تنتهي المسرحية بأن يقبض على الأول الذي عارض التقدم

المجرّد عن الأحاسيس والعواطف... لكنه مع كل ذلك مشدود إلى ماضيه شدّاً قوياً لا يسمح له حتى بالنظر إلى المستقبل... المستقبل الذي يتحتم عليه بحكم سنن الحياة أن ينظر إليه...

٢٠ آذار

انتهيت هذا اليوم من مطالعة كتاب (من العالم المجهول) ليوسف السباعي... وهو مجموعة أقاصيص محورها الأرواح... أشياء من العالم الخفي، لا يؤمن المؤلف بوجودها، لكنه يهدي كتابه هذا إليها وإلى من لفّ لفّها من الجن والشياطين. قائلاً إنها ربما تردّ عليه... وتشكره على هديته... وهنالك يشعر بوجودها... ومن الكتاب أعجبتني خمس أقاصيص ورأيتها في غاية الروعة وهي: (أرواح هائمة) (حياة مزدوجة) (إذا السماء انشقت) (مات قريراً) (علمها عند ربي). ففي الأولى مثلاً نعيش في عالم الأشباح، ثم يستيقظ بطل القصة ليرى الواقع ممثلاً لما رآه في الحلم من أرواح تهيم وعالم عجيب... وفي الثانية يعيش البطل حياتين إحداهما الحاضر والأخرى الماضي... عهد محمد علي... ويتساءل الكاتب: هل يمكنكم التصديق في أن الماضي يتحرك ويصبح هو الحاضر؟ ذلك ما حدث في الحلم، ولقد حدث في اليقظة أيضاً... فهل تصدقون؟

٢٤ آذار

انتهيت اليوم من قراءة (الأيدي الناعمة) وهي مسرحية واقعية لتوفيق الحكيم... لا بدّ من الأيدي الخشنة ليكون هناك أيدٍ

ناعمة... العمل محور المسرحية... كان البرنس والدكتور يريدان العيش: الأول بدون عمل والثاني لا يجد عملاً... وقد عاشا في بيت الأمير بعد أن سلّمه لعائلة الأخ عبد السلام دون أجر على شرط إعالتهم... وأحب الأمير ابنة الحاج، وكانت المفاجأة أن ابنتيه وزوج كبراهما سالم كانوا الزوار أحد الأيام... لقد كان سالم ابن الحاج بالذات، وأحب الدكتور ابنة البرنس، وكان الأمر بيد سالم لثقة الجميع به وبعصاميته... وحدثت الملابسات والتعقيدات التي يعرف الحكيم كيف يديرها... وأخيراً فقد كان سالم يريد للعائلات الناشئة مورداً للرزق... العمل... وأقنع البرنس ثم أقنع الدكتور... وكان ذلك يعني الزواج ونشوء العائلتين ثم السعادة الكاملة... كانت المسرحية واقعية تعالج أهم مشكلة، وتحاول أن تجعل العلم شيئاً إيجابياً له علاقته بالعمل... فبدون ما عمل لن تكون هناك حياة متوازنة على الإطلاق...

٢٥ آذار

دفعتني مسرحية (الأيدي الناعمة) إلى مطالعة عدد آخر من مسرحيات وكتب الحكيم... وكان أولها المسرحية التي أنهيت مطالعتها هذا اليوم... (سليمان الحكيم): إنها رمز الحياة في كل زمن ومكان... القدرة والحكمة... أو التحكم في القدرة... كان زمناً يستطيع القادة فيه الموازنة بين القوتين... ثم اندفعت القدرة تنمو وتقوى بنسبة تختلف عن تقدّم الحكمة... وهكذا أصبح البشر في خطر دائم أمام إغراء القدرة... فكانت الحرب العالمية الأولى... وكانت الثانية...

كان سليمان الحكيم مثال للملك الصالح الذي ساس شعبه بعدل مطلق مدة طويلة من الزمن... ذلك أنه وازن بين القدرة الجبارة التي امتلكها وبين حكمته... لأنه كان نبيّاً وهبه الله الحكمة التي وازنت القدرة... وفي المسرحية نقطة يضطرب فيها التوازن... ومن هناك كانت المأساة التي أضفت على المسرحية طابعها المرير...

٢٧ آذار

وهذا اليوم انتهيت من مطالعة مسرحية الحكيم (شهرزاد). وبعد أن أنهيتها قلت: إنها أعمق ما كتبه الحكيم بحقّ... هي مأساة القلق الإنساني؛ الذي يستمد عظمته ـ كما يقول جورج ليكونت ـ من شيئين: إنه الدافع على البحث عن الحقيقة أبداً، وثانياً أنه داء عضال لا طبّ له...

لقد عاش شهريار في صراع مرير مع نفسه، ومع البشر، ومع الطبيعة... لأنه يرى وراء الصفاء الكدر، فكان يكره الصفاء... كان يرى الحياة... الأرض... الأجساد... المادة كلها... سجن... سجن دائر يدور الإنسان فيه ولا من نهاية... النهاية تعني البداية... إنه محدود بحدود الزمان والمكان، متشكّل بهما رغماً عنه... صراع شاقّ في البحث عن الحقيقة... أراد أن يعرف... أراد أن يعي... لم يرد أن يشعر... لقد شبع من الأجساد... إنه كالروح تعي ولا تشعر... كان معلقاً بين السماء والأرض ومن هنا كان ألمه المطلق...

٢٨ آذار

أولئك الذين يمرون في الحياة سراعاً ثم يغيبون... أولئك الذين يمثلون دورهم على مسرح الحياة أصدق تمثيل... مليئة نفوسهم بالعمق والحياة... يمرون كأي شيء يفنى... يمرون سريعاً... ثم يذهبون... إلى حيث ينتظرهم مسرح آخر... مسرح الأبد... هل سيمرون فيه سراعاً؟ هل سيمثلون أدواراً لا بدّ مدركها الفناء؟ هل سيموتون؟ كلا... إنه الخلود... الخلود المطلق... أما هنا على هذه الأرض... ما معنى البقاء؟ إنه يعني مناقضة طبائع الأشياء وسنن الكون... لكنهم ليتهم يبطئون في ذهابهم... أولئك الذين يذهبون سريعاً... ليتهم لا يموتون في ربيع العمر... رباه إنهم شمعات تحترق... تشعّ بالنور أرجاء المكان... وما النور إلا ذوب أعماقهم... ما النور إلا ذوب أجسادهم وقلوبهم... وتأبى الحياة إلا أن تفنيهم وهم بعدُ براعم... كالرياح تماماً عندما تطغى في الربيع فتسحق البراعم... ليتها تدعها لتزهر وتحيا...

٣١ آذار

انتهيت هذا اليوم من مطالعة (عوالم الفرح) لتوفيق الحكيم... خمس أقاصيص وأربع مسرحيات قصيرة... ابتدأ الكتاب بأقصوصة في العامية، وانتهى بمسرحية في العامية، وعبر هاتين القطعتين كمنت درر أدبية رائعة... منها (مراكب الشمس) وهي أقصوصة تاريخية بأسلوب حالم رائع، ذلك الأسلوب الموسيقي الذي يصوّر بكل عمق وحياة قطعات رائعة من التاريخ

الذي ذهب... من كل تاريخ... الفراعنة أو اليونان... وهذه الأقصوصة تمثل كفاح الأفراد من أجل الشعب ضد الملوك ورجال الدين؛ الذين يحيطون أنفسهم بالأسرار والطلاسم... والذي أعجبني كذلك أقصوصة (طريد الفردوس)... الصراع بين الخير والشر، حيث الانتصار لأحدهما، ومن ثم الجنة أو النار... أما أن يعيش الإنسان بعيداً عن هذا الصراع الطبيعي فلا بدّ لملائكة الجنة والنار من طرده... لأنه لم يدخل ميدان المعركة...

١ نيسان

انتهيت هذا اليوم من مطالعة قصة (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم... القصة الأولى في الشرق؛ التي تعرضت للمبادئ والاتجاهات بالنقد والتحليل... صراع بين الخيال والواقع... فتى من الشرق يعيش في أجواء من الخيال والسحر والسمو الروحي والارتفاع عن ماديات الأرض... يعيش في كل ما في الشرق من أجواء... فهو في وسط الغرب... في باريس يريد أن يحيا تلك الأجواء على طبيعتها... وعلى طبيعته... لكن فتاة أحبَّها تجذبه، فيهبط معها إلى عالم آخر... عالم الأرض كما يسميه الكاتب... وهنا نرى شيئاً لم نألفه في الأقاصيص والأساطير... إن الحب هنا جذب محسن من مملكة السماء إلى مملكة الأرض... من أجواء الخيال والسمو إلى أجواء المادة والواقع... بينما الحب النظيف... يرفع الإنسان عن مادياته إلى السماء في عالم كله سمو ورفعة... كما رأينا في مسارات لامرتين ورسائل الرافعي وآلام جوته...

٧ نيسان

انتهيت هذا اليوم من مطالعة مسرحية (بيجماليون) لتوفيق الحكيم طبعاً... وأقول طبعاً لأنني في هذه الفترة قرأت وأقرأ وسأقرأ لهذا الكاتب كثيراً من كتبه، حتى إذا ما جاء الصيف كنت قد أجهزت عليها.

وبيجماليون كأمثالها من المسرحيات الذهنية كأهل الكهف وشهرزاد... الخ... ومن الصعوبة تمثيل هذه المسرحية وأخواتها على المسرح العادي... على الخشب... ذلك أنها أفكار مجرّدة، وشخصيات غير مجسدة... وصراع الإنسان مع الزمن، وصراعه مع المكان، ومع عواطفه وأحاسيسه الذاتية... وذلك كله لا يمكن بسهولة إخراجه على المسرح التمثيلي؛ الذي يعكس صراع عاطفة وعاطفة، وتصادم رغبة ورغبة... ولا على المسرح الدموي الذي يشهد النظارة فيه تصادم درع ودرع، وقتال رجل ورجل... إن إخراجها صعب وتجسيد المرئيات هنا يكاد يكون مستحيلاً...

١١ نيسان

خرجنا اليوم صباحاً إلى كازينو عصرية رائعة هي كازينو (إشبيلية)... وثمة موسيقى خاصة لهذا الاسم... ولأسماء أخرى من فردوس المسلمين المفقود في الأندلس: قرطبة... غرناطة... موسيقى يحملها التاريخ بين أعطافه، متمثلة بهذه الأسماء ذات الجرس الرومانسي المثير... موسيقى تنقلنا إلى عالم الذكرى البعيد، قبل أن نكون... وكأن التاريخ جزء من حياة الفرد... فإن أحداثه

ما هي إلا ذكريات عبرت... وهنالك قبل قرون كانت تلك الأرض للمسلمين، عاشوا فيها بآلامهم وآمالهم وملؤوها فناً وعلماً... كُتب عليهم أن يعبروا إلى تلك الأرض ويبنوا فيها مجداً لا يدركه الفناء... وكُتب عليهم أن يخرجوا منها كما دخلوها أول مرة... كذلك الحياة... المبادئ الضخمة يحملها الأفراد والجماعات بإخلاص فتكون لهم حياة... ويتنصلون عنها... فالموت لهم...

١٣ نيسان

أيقظني والدي هذا اليوم في السادسة صباحاً، فقمت لأفطر وأبدّل ملابسي، وأحمل ما معي وأتجه إلى محطة القطار... وعندما وصلت أخذت مكاني في القطار... وكان يجلس إلى جانبي صديق لي كانت وجهته شرقاط... وسار القطار بطيئاً في البداية مسرعاً بعدئذ... وألقيت نظرة أخيرة على مدينة الموصل وقلت: وداعاً... وسار القطار وسط طريق كل ما فيه ينطق بأنه فصل الربيع... كانت نظراتي تتجه بعيداً... بعيداً... عبر تلك الحقول الخضراء المشتعلة بالشقائق الحمراء... وكان صديقي يشغلني أحياناً عن ذلك بأحاديث لذيذة ممتعة، تتركز على أثر الإيمان في حياة الإنسان... ووصلنا بغداد في ساعة متأخرة من الليل، لخلل أصاب ماكنة القطار .. ثم ركبت الباص إلى القسم الداخلي، لأبدأ رحلتي ثانيةً مع هموم الدراسة في بغداد.

١٤ نيسان

ربما آليت على نفسي أن أقرأ أكبر عدد ممكن من كتب

الحكيم ومسرحياته الممتعة العميقة... فمن طبعي أحياناً أن أرغب رغبة ملحّة في قراءة جميع ما يكتب أحد الكتّاب الكبار، لأقول بعد ذلك أني أنهيته، ومن ثم أحكم عليه حكماً صريحاً، مستنداً على تلك القراءات والملاحظات.

أنهيتُ هذا اليوم مسرحية (إيزيس) لهذا الكاتب... وإنها لتمثِّل الصراع بين الذين يخدمون الشعب وهم العلماء، وبين الذين يستخدمون الشعب وهم السياسيون... إن هذا الصراع لم يبدأ بعدُ في العصور الحديثة، إذ إنه ـ كما يرى الحكيم ـ سيعقب مرحلة الصراع بين الأجير والرأسمالي... سيكون ذلك حوالي سنة (٢٠٠٠م) حيث يتوفر الغذاء... صراع على الحكم بين الذين يخدمون الشعب بعلمهم واختراعاتهم، وبين الذين يوجهون جموع الشعب نحو هدف معين... صراع بين مبدأين، أولهما الغاية لا تبرر الواسطة، وثانيهما الغاية تبرر الواسطة...

١٧ نيسان

إن ثمة هوة سحيقة تفصل الإنسان عن مبادئه أحياناً... المبدأ الذي يمثل الحقيقة، ودوافع الإنسان الذي تمثل حوادثه تلك الهوة... هنالك ظروف تقتضي المرء كثيراً من الألم وكثيراً من الشقاء لأنها تبعده عن مبدئه... الذي هو الأمل الكبير الذي يعمل من أجله الأفراد الواعون في هذه الحياة... ومن هنا كان الجزاء... إن ثمة معاقبة لعملٍ ما يؤديه الإنسان... عمل يخالف

طبيعة مبدئه، تجعل المرء قريباً من هذا المبدأ... متفاعلاً معه قدر ما يستطيع...

وعبر الحياة لا بدّ من عقبات جارفة تحيد بالمرء، بعد جهاد نفسي عميق عن الطريق، إن ذلك لا يعني استمرارية الانفصال عن ذات المبدأ... فالعقبات القاهرة تفقد قوتها باستمرار... والطريق مفتوح كرّةً أخرى للاتصال... ومن هنا كانت المغفرة... انطباق الحقيقة على الواقع يمثله الأنبياء (عليهم السلام) فقط... والعقاب والمغفرة لا بدّ منهما للبشر...

١٩ نيسان

اليوم أنهيت مطالعة كتاب (القصر المسحور) لتوفيق الحكيم وطه حسين... وهو يسير على نهج جديد على الأدب العربي الحديث... لا بل على الأدب العربي كله... ذلك أن أديبين من كبار أدباء مصر يشتركان في تأليف كتاب... بل قصة لها بداية... ولها نهاية... ولها كذلك عقدتها... ولست أدري هل اتفق الأديبان على رسم الخطوط العريضة للقصة سوية... أم أن كلّاً منهما كان يكتب على هواه، ثم وصلوا إلى ما وصلوا إليه، دون علم الآخر مثلاً؟... يقول طه حسين: إن إلحاح الحكيم في نشرها سببه المال... وسببه شيء آخر هو الذكريات... هنالك تثور ثائرة الحكيم عندما يسمع بالنقود كدافع لنشر القصة... ولكنه يكتم غيظه ويظهر بمظهر الحريص على الهدوء والتفاهم، فيقول: جائز أن يكون المال هو الدافع... ولكن لماذا لا يكون الشوق إلى اجترار

الذكرى الحبيبة هو كل السبب؟... لم أودّ نقد الكتاب لأن ذلك يطول... فكما قلت: هو جديد على الأدب العربي كله...

٢١ نيسان

جرت اليوم مباريات شائقة في الكرة الطائرة بين فريق كليتنا وفريق كلية الحقوق على ملعب الحقوق... وقد كانت المباريات عنيفة ومشوقة لقوة الفريقين وتعادلهما في اللعب... وقد علتِ الساحةَ الهتافاتُ والأهازيج. وفي الشوط الأخير استمات الفريقان في اللعب، ولكن الربح كان لفريقنا الذي قرر الانتصار أبداً في هذه اللعبة.

وهذا اليوم أنهيت كتاب (من البرج العاجي) لتوفيق الحكيم، وهو مجموعة مقالات في الأدب والفن... في النفس والمجتمع، إنه البرج الذي يعيش فيه أكثر المفكرين والفنانين... وفيه يسجنون أفكارهم العابرة كالطيور بين دفتي الكتاب... إنه برج عاجي خلقي، يعني ارتفاع الكاتب عن الأهواء، وسمّوه أبداً في سماء المثل العليا لأنه منبع المثل العليا... إنه ليس برجاً عاجياً فكرياً؛ لأن المفكّر يجب أن يغرف من اتجاهات ومبادئ المجتمع لينقدها ويوضح للشعب الحقائق... إن الوحدة المنعزلة شيء طبيعي لأكثر الفنانين والشعراء...

٢٢ نيسان

إن الخمول الفكري شيء مؤلم حقّاً، وهو يظهر في ليالي الربيع

والصيف... إني لا أستطيع قراءة ولا كتابة في هذه الليالي... ففي الأولى تداعبني دائماً إغفاءة من نوم، وفي الثانية يأخذ عليّ أنفاسي وحسّي حرٌّ مزعج جداً... وخاصةً هنا في بغداد...

كلما تمر الأيام ويقترب امتحان رأس السنة أنظر للعطلة الصيفية بشوق متزايد... لأنني وضعت خطوطها الرئيسية فيما يخص الناحية الفكرية والنشاط الذهني... وفيما يخص المطالعة والكتابة... مطالعة كتب الأدب من نقد وقصص وشعر، ومطالعة كتب الاجتماع والمبادئ والتاريخ... ثم كتابة الخواطر والأفكار والآراء في النفس والمجتمع... في الشعر والنقد والفكر... وإننا بالانتظار!!

٢٤ نيسان

«وهكذا أعبر الوجود الأرضي، نهاري في برج عاجي، وليلي تحت مصباح أخضر»... بهذه العبارة العميقة على بساطتها، يهتف الحكيم في الصفحة الأولى من كتابه (تحت المصباح الأخضر). وثمة حقيقة تربط الكتابين برباط متين، يعللها انعزال الحكيم عن المجتمع انعزالاً مادياً أخلاقياً وليس فكرياً... ابتعاده عن بهرج الحياة... عن الإغراءات المادية... ليبحث عن الحقيقة، وليبني نماذج فنية رائعة في برجه العاجي... وليقوم بنفس الدور في الليل تحت مصباحه الأخضر.

وكان الكتاب كسابقه، مجموعة مقالات في الفن والفكر... لكنها هنا أطول وأخصب، تتخللها ذكريات وأقاصيص من حياته ومن حياة الفن كذلك... وهناك ظاهرة في جميع كتبه التي

أسميها (على هامش الفن والفكر)، هي الربط بين أعماله المختلفة... ما الذي دعاه إلى إنشاء (شهرزاد)... وفي أيِّ جوٍّ؟ أحاسيس أبطال المسرحية هي أحاسيسه، ولكنه استخدم ذلك الأسلوب ليعبر به عن الفن الواقعي الذي يتمثل بإحياء المشاعر...

٢٨ نيسان

إن ثمة حقيقة تجعلني أؤمن إيماناً أعمق بمسألة القدر... تلك هي ظهور شخصيات معينة من بين ملايين البشر... تعمل من أجل البحث عن الحقيقة، وتجهد في الوصول إليها... إنها ـ أعني هذه الشخصيات ـ بطبيعتها عميقة في التعرف على طبائع الأشياء، مدركة للروابط الخفية التي تربط حقائق الوجود... مؤمنة بأن الإنسان يجب أن يعيش ليعمل لشيء... شيء هو فوق الماديات المجرّدة، أو المعنويات المجرّدة، وإنه من المناقض للحقيقة بقاء هذه الشخصيات تعيش على الهامش... إنها لا تستطيع ذلك، لأنها بطبيعتها تشعر بحاجة ملحّة لمعرفة الحقائق، والكشف عن طبائع الأشياء... ومن هنا كان القدر هو الذي يوجه هذا النوع من البشر... هذه الرؤوس المتميزة... لتنير الدرب أمام الجموع، لأنه من المناقض أيضاً للواقع أن يعمل الجميع بحثاً عن الحقيقة... فمن يعمل إذن لنعيش؟!

٢٩ نيسان

ما الذكريات؟... أحياناً يخيل لي أنها هي فقط الحياة... يخيَّل لي أنَّ لا لذة في حاضري، إنما الذي عشته في الماضي هو

كل شيء، وإني عندما أستعرضها أحتقر هذا الحاضر وأشعر بتفاهته... بجفافه... الذكريات هي ذلك الحنين الذي يملأ قلبي، ويشعرني بألم لذيذ... هي تلك الصور الرائعة التي تمر بخاطري ولها من الجمال والروعة أكثر مما كانت عليه أول مرة.

يخيّل لي أحياناً أخرى أنها نسمة من نسمات الخريف الحالمة... تهبُّ مع الغروب، حاملةً عبق ماضيّ الحبيب... وما الذكريات؟... هي فقط حوادث الماضي عندما نجترها من جديد... إنما هي الانفعالات المجرّدة عن تلك الصور أيضاً... هنا تصل نفسي إلى درجة بعيدة من اللذة المتألمة أو الألم اللذيذ... الذكريات هي الهروب من الحاضر المرير إلى حيث الأجواء التي تهفو إليها نفسي والتي تحققت في الماضي... هي الباب العريض للماضي الذي لا يعود...

٨ مايس

لا ألذ إلى نفسي من مطالعتي لكتاب أشعر أن أعماقي تضطرب وتهتز له... ويوم كنت أدخل الغرفة وحدي فأغلق بابها والمطر ينهمر بقوة خارجها... فأفتح الكتاب وأغرق فيه... كنت أشعر بأن ثمة عالم رائع أعيش فيه بحواسي ومشاعري... عالم كله سموّ وعمق وحياة... عالم يمتزج فيه الإدراك والثقافة، فينمّي أحدهما الآخر، لتكون حصيلة ذلك مشاعل تضيء لنا الطريق قدماً نحو الحقيقة... المشاعل التي تحرق من أعصابنا فتظلّ وهّاجة؛ لأن أعصابنا حيّة أبداً لا تموت... فأسمع إذ ذاك نداء

الروح إلى الروح... ونداء الأعماق للأعماق... وهتاف الذين تألموا يملأ أسماع الذين يتألمون!!

٩ مايس

طغت على صفحة السماء الزرقاء هذا المساء سحب سوداء داكنة... وأنذرت الطبيعة بأنها ستظهر بعض مظاهرها المضطربة... ثم أمطرت مطراً غزيراً ملأ الأرض جداول تجري... وأرعدت السماء فاهتزت لرعدها جنبات الأفق... ثم أبرقت فأضاءت لبرقها حنايا الظلام... وجاءت ريح قوية تجري دفعت ما غطى جمال السماء من دخان وما حجب عن أعين البشر من سحب سوداء، وأعادت إلى الطبيعة جمالها من جديد... وكأن ما حدث تمثيل عميق لقطعة ضخمة من تاريخ البشر... يوم طغت على العالم الهادئ حربٌ شعواء لم تُبق من شيء جميل ولم تذر... وحجبت عن أعين البشرية حقائق الأشياء سنين طويلة، امتلأت حياتهم فيها بالدخان الأسود الكثيف... واستحالت الدماء جداول تجري... وثمة أصوات قوية كالرعد ترتفع هنا وهناك ثم تسكت... وإذا بآلاف الضحايا يطفون على وجه الأرض هناك... ثم انتهى كل شيء في مثل هذا اليوم قبل خمسة عشر عاماً!!

١٥ مايس

غداً يبدأ الامتحان... إن ذلك يعني نهاية هذه السنة الدراسية ومجيء عطلة الصيف، التي انتظرتها طويلاً... ورسمت في خيالي مناهج سأطبقها خلالها بمعونة الله... ما أتعس الأيام التي تسبق

الامتحانات، خاصةً هنا في بغداد، حيث الجو الحار، والبعوض الذي يمتص دماءنا ليلاً... والروتين القاسي الذي تتّسم به أيام المراجعات... والضجر القاتل الذي يسحق النفس... ولكن غداً سيجيء الامتحان... وذلك يعني مجيء عطلة الصيف الطويلة الشائقة، وإني لأتصورها سيمفونية مليئة الأنغام عميقة المشاعر... إني سأقرأ فيها بكل نهمٍ، وفي كل المجالات... لأني أريد أن أعرف... وسأكتب فيها في كل المجالات لأنّ في نفسي دوافع، لا يقف أمامها أيُّ شيء، تدفعني نحو الكتابة... ولكن دعنا من المستقبل... عليّ الآن أن أمسك بدفتر الجغرافيا لأدرس أشياء سخيفة لا تسمن ولا تغني من جوع... ولكنها وسيلة للعيش على أية حال...

٢٠ مايس

رباه... إن ضيق التنفس الذي يجثم على صدري منذ زمن طويل... يمنعني أحياناً حتى من الكتابة... إنه ألم مرير... أن لا يتمتع الإنسان بدخول الهواء ملء رئتيه كما أراد الله... إن كثيراً من الليالي أتقلّب فيها على الفراش لا أستطيع النوم... أدعو الله أن يريحني ولو مرة واحدة بدخول الهواء إلى رئتيَّ بصورة طبيعية!!

لقد فحصني كثير من الأطباء في السنين الماضية لمعرفة أسباب هذا الداء... هذا الوحش القاسي الذي يجثم بكل ثقله على صدري المنكود... وكلهم لم يستطع شفائي... لم يستطيعوا معرفة طبيعة هذا الداء... حقيقة إنهم يقولون لي لا تتعب... هذا صحيح... ولكن سبب هذا الداء، هل هو مادي مجرّد؟ أم نفسي؟ أم كلاهما؟...

لست أدري سوى أني أشعر بأن قلبي يضعف يوماً بعد يوم، لأنه يعمل فوق طاقته بسبب قلة الأوكسجين الداخل إلى رئتيّ!!

٢١ مايس

آه... لقد أتعبت نفسي هذا اليوم، فازداد الوحش الجاثم على صدري ضراوة... إني لا أحسّ بدخول ذرة من الهواء إلى صدري... إني أتألم... إني أشعر بضيق... إني عندما أتنفس أحسّ بكل وضوح بالهواء يصل إلى بداية الرئتين، ثم يرتدّ حسيراً كأن هناك على أبواب رئتي شيء ثقيل يمنع دخول الهواء... كأن رئتي ملأهما غاز غريب ثقيل طرد منهما الهواء، فلا يسمح له بالرجوع كرّةً أخرى!!

وإذا مرّت الأيّام... ودارت عجلة الزمن... ثم عدت أقرأ في هذه الصفحات عن أيامي هذه فإني سوف لا أجد فيها الشيء الكثير عن هذا المرض الذي يلازمني أبداً... وربما سأعجب أول الأمر... ولكني عندما أعلم أنه أصبح شيئاً طبيعياً، وأن صعوبة التنفس هذه لمن الأشياء التي اعتدت عليها، ولو أنها تسحقني سحقاً لا يرحم... عندما أعلم ذلك أدرك سبب عدم ملء صفحات كثيرة في هذه المذكرات عن هذا الوحش الصديق؛ الذي عشت معه عهداً طويلاً... قاتله الله...

٢٢ مايس

أعود اليوم إلى الكتابة بعد أيام عسيرة... فالعلاقة بين

الأصدقاء الذين أعيش معهم في غرفة واحدة في القسم الداخلي ساءت إلى حد كبير... ولم أعد أستطيع العيش بهدوء بينهم... إن طبائعنا لا تتفق... نفسياتنا متناقضة... أهدافنا متنافرة... ولكم استفدت من تجاربي معهم خلال هذا العام، فعلمت قبل كل شيء أن هنالك أصدقاء هم طليعة الأعداء... وأن من تتفتح في نفسه براعم المواهب يسحقها أول ما يسحقها الأصدقاء... وأن في قلوب بعض الأصدقاء طاقة هائلة من الحقد واللؤم... وأن هناك أصدقاء يجب أن يحتضنهم القلب... يجب أن يضحي الإنسان من أجلهم بكل شيء... يجب أن يعيش معهم لأنهم أصدقاء بحقّ... طبائعهم متآلفة، ونفسياتهم متفقة، وأهدافهم موحدة... يعمل بعضهم من أجل البعض الآخر بكل إخلاص ووفاء... نعم إن في قلوبهم طاقة هائلة من الصفاء والحب والتفاني... وتلك هي سنة الله في الخلق... الأسود والأبيض... جنباً إلى جنب... وإلى أن يقوم الحساب!!

٢٣ مايس

لأن التوقيع لم يكن بالحبر، أمرني محاسب الكلية أن أعود ثانية إلى صاحب العوينات ليوقع على الوصل بالحبر... هذه هي طبيعة الروتين في العراق... إن العراق من أكثر دول العالم تعقيداً للمعاملات المختلفة... ظننا بأن ثورة تموز ستقلب روتينية الموظفين والمعاملات رأساً على عقب... ولكن ما حدث اليوم وما حدث قبله وما سيحدث بعده أخلف هذا الظنّ... لست أدري متى سيتحرر العراق من هذا الروتين؛ الذي يجثم بثقله على أبناء

الشعب في معاملاتهم المختلفة؟... ان عبارة تسيير معاملة ما لقضية من القضايا، هي مما يتندر به أبناء العراق ويضربون بصعوبتها المثل... قلت للمحاسب: إن الختم الموجود على الطابع يكفي لإثبات صفة الوصل الرسمية... فقال: لا يجوز ذلك أبداً لأن إحدى هاتين النسختين سنرسلها إلى الخزينة... وخطر ببالي صور عديدة من الصعود والنزول في طوابق البنايات الحكومية... وقول أستاذنا الفاضل عبد الرحمن صالح أن العراق أكثر الدول استهلاكاً للورق...

٢٤ مايس

ها هو ذا الأسبوع الأخير يقترب من نهايته... وبانتهائه كنا قد ودّعنا موسماً دراسياً أفدنا من تجاربه كثيراً... ها أنا ذا أمسك بالقلم لأكتب هذه الأسطر وعيناي تبسمان بكل عمق... ونفسي تهتزّ نشوة... وفكري يلحّ عليّ في التنقيب عن فلسفة الأشياء... أبسم لهذه الأيام المقبلة وانتشي لها... إن في نفسي طاقة هائلة تدفعني نحو الكتابة... إن هذه الطاقة من القوة بحيث تتفجر شعراً ونثراً دون أن تنفد... وتدفعني نحو الكتابة عن فلسفة الأشياء وهي بعدُ طاغية... عن أعماق الفرد وتفاعلات نفسه وهي بعدُ طاغية... عن المجتمع... عن المبادئ... وهي بعدُ طاغية... إني أريد أن أكتب في هذه المواضيع كلها وبنفس الشوق والعنفوان... لأنها كلها مترابطة في النهاية... كلها تكون وحدة متينة... تتمثل في حقيقة الأشياء... فالإنسان وحدة الحياة... والمجتمع بناء الحياة... والمبادئ عصب

الحياة... والأشياء هيكل الحياة... إن في نفسي طاقة هائلة تدفعني دفعاً للكتابة والبحث عن حقيقتها.

٢٧ مايس

ها نحن الآن ندخل قاعة الامتحان لنمتحن في الدرس الأخير... آه... لشدَّ ما انتظرت هذا اليوم بفارغ الصبر... وها هو قد جاء وانقضى الزمن الذي سبقه بسرعة... يجب أن يعلم الإنسان أن عجلة الزمن تدور بسرعة... بسرعة كبيرة... لكي يحدّد موقفه من الحياة والكون والمصير... قبل أن تفلت الفرصة من بين يديه... تعالي يا أيتها العطلة الحبيبة، لأفرغ فيك ما يضطرب في أعماقي من عواطف ومشاعر، وما يدور في فكري من آراء وأفكار عن كل شيء... وها أنتِ الآن قد جئتِ يفصلك عني هذا اليوم... بل هذه الساعة... ودق جرس الامتحان... وبدأنا نجيب عن الأسئلة... ثم انتهيت وخرجت من القاعة، وأنا لا أكاد أعلم أني مطلق الحرية... نعم لا شيء يقف في طريقي منذ الساعة... فلأعمل ما أريد... لأقرأ... لأكتب... لأعود إلى المدينة التي عشت فيها... نعم لأعود... وقبيل الغروب خرجت إلى بغداد أودّعها... فمررت بشارع الرشيد... ثم جلست مع جماعة من الأصدقاء في إحدى الكازينوات... وعندما كانت الساعة الواحدة تقترب، كنت أنا أرزم حقائبي استعداداً للسفر.

٢٨ مايس

استيقظت مبكراً فلبست ملابسي، وذهبت إلى المطعم لآكل

الوجبة الأخيرة فيه، ثم عدت لأنتظر السيارة التي ستقلني إلى الموصل... وفي العاشرة تماماً انطلقنا عائدين... لقد كانت رحلة ممتعة... فالسفر بالسيارة ألذ بكثير من السفر بالقطار... وكانت السيارة تسير بسرعة كبيرة في الشارع الحديث العريض... وكان الجو معتدلاً بعض الشيء... وعندما وصلنا سامراء نزلنا لنشاهد سدّ الثرثار... كان نهر دجلة قد فاض على جانبيه فملأ الأرض وكأنه بحيرة كبيرة لا حدود لها... هذا بينما كانت بعض أجزاء السد مفتوحة والماء يتسرب من خلالها بقوة كبيرة بحيث يبدو الموج مندوفاً كالقطف الأبيض... ثم غادرناها إلى تكريت فنزلنا هناك لنتناول ما تيسّر حمله... وبعد ذلك غادرناها إلى بيجي، ومن هناك اجتزنا الجزيرة حيث لا طريق مبلط حتى وصلنا الشرقاط، حيث كان الطريق المبلط يمتد أمامنا... ثم ما لبثنا بعد أقل من ساعتين أن وصلنا الموصل... المدينة التي سحقتها في يوم ما عاصفة هوجاء... وأغرقتها بالدماء!!

٧ حزيران

أنجزت اليوم قراءة القصة الأولى لتشيخوف، وناقلها إلى العربية هو منير البعلبكي، أروع مترجم قصصي معاصر، في سلسلته الرائعة (كنوز القصص الإنساني العالمي)... لقد عالج تشيخوف في قصته هذه ـ وهي (حياتي: قصة رجل من الريف) ـ قبل كل شيء روتينية الطبقة البورجوازية الصغيرة والكبيرة سواء... وتشبثها بعادات وتقاليد، قطعت صلتها بأسباب نشوئها،

فوصلت إلى درجة من السخف والبله... ومن صميم هذه الطبقة السلبية: في روسيا، في أواخر عهد القيصرية، يخرج بطل القصة هذه، صارخاً من أعماقه بأن الحياة في أساسها تتطلب غير هذا الاتجاه... وأن ليس ثمة قيود تربط الإنسان عن الانطلاق وفق ما تقتضيه طبائع الأشياء... وكان لا بدّ له في خضم هذا المجتمع أن يتألم، ويجتاز تجارب قاسية يخرج بعدها منتصراً... إنه ينقد أيضاً الطبقة العاملة وجهلها الفظيع؛ الذي جعلها تعيش والحيوانات سواء... ولكن طابع الحقيقة ـ رغم ذلك ـ يسم نفوسها... إن آراء تشيخوف ولا شكّ معرّضة للجدل والنقاش!!

١١ حزيران

أنجزت اليوم قراءة رواية الكاتب الأمريكي الشهير (أرسكين كالدويل)، ضمن سلسلة كنوز القصص الإنساني العالمي... والتي تحمل عنوان (طريق التبغ)... ينهج كالدويل في روايته هذه نهجه في (أرض الله الصغيرة)، من حيث تصويره الفلاح الأمريكي على حقيقته... والمجتمع الزراعي على حقيقته... ومن حيث تصوير أصغر الخبرات والأشياء، وأكثرها واقعية... ومن هنا دعاه بعض النقاد برائد الأدب المكشوف في العالم... ومن حيث انفجار مآسيه الفجائي، والتي يقول عنها الأديب الفرنسي المعاصر (اندريه موروا)، بأنها تمثل عنصر الإبداع في روايات كالدويل... وتنتهي قصة (أرض الله الصغيرة) وليس ثمة نتيجة لجهود عشرين عاماً في حفر الأرض بحثاً عن الذهب... وتنتهي هذه

القصة وليس ثمة نتيجة لآمال (جيتر) في زراعة الأرض بالقطن لكي يعيش... لقد عزم على أن يحرق الأدغال، ومن ثم يحرث الأرض ليزرعها رغماً عن الظروف... ولكن المسكين احترق قبل أن يحقق أمله... «ولكن الشعب وإيمان الشعب بقيا»!!

١٤ حزيران

وهكذا عدت إلى مسرحيات الحكيم لأتابع صراع أبطاله مع الزمن ومع المكان... عواطفهم الجبارة مع الزمن القاسي الجبار... ولأرى أن الغلبة تكون أحياناً لهذه العواطف ضدّ الزمن ولكن إلى حين... الإنسان نفسه يصارع الزمن هنا في مسرحية (أهل الكهف) ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١١ ـ ١٢]...

إن ثمة فلسفة عميقة في حنايا هذا الكتاب... لعلها فلسفة الزمن: هل الإنسان يحلم الزمن؟ إذن ليس ثمة وجود للزمن... أم هل الزمن يحلم الإنسان... إذن ليس ثمة وجود للإنسان... وليس ثمة من جواب على هذه الأسئلة العميقة، لأن أي جواب ينقض أشياء وأشياء يستخرجها المؤلف من صميم مسرحيته... لا... ليس الزمن يحلم الإنسان وليس الإنسان يحلم الزمن... إن كليهما موجودان، ولكن الإنسان باقٍ فهل يموت الزمن؟!

١٦ حزيران

عندما كنّا أطفالاً كنا نحسّ بأن للعيد سمة وروحاً تميّزه عن

بقية الأيام... وكنا نجد لذلك لذة لا تعدلها لذة... فكنا ننتظره بفارغ الصبر... فإذا ما أتى مضينا بقلوبنا وأرواحنا إلى عالم كله صفاء وسعادة وسرور... ثم ينقضي العيد فنحسّ بكلّ جوارحنا بأن قد انقضى... وتخيّم على نفوسنا العجيبة ظلال من كآبة يوماً أو يزيد، ومن ثم نتجه للحياة من جديد...

وجاء العيد هذا اليوم وكأنه يوم من أيامنا العادية... لا سمة خاصة تميزه... ولا عالم رائع نعيش في أجوائه... أبداً... أبداً... لقد انقضى ذلك العهد ولا يحقّ لنا بعد أن نريده... لأن لنا عالمنا الخاص... ذلك أن هذا العهد يختلف عن عهد الطفولة... فإذا ما غمرتنا السعادة في أيام معينة من ذلك العهد؛ فإن الأحاسيس والمشاعر والآلام هي التي تغمرنا بالسعادة في هذا العهد!!

٢١ حزيران

قرأت اليوم كتاباً صغيراً للحكيم لا يستحق النقد... إنه (نشيد الأنشاد) وقد اقتبسه المؤلف من نشيد قديم خرج من قلب سليمان الحكيم لتحية الحب والربيع... وقد اعتمد المؤلف على التوراة في ذلك، ونشر الكتاب أيام كان الشر يسيطر على الكرة الأرضية... أيام كان الإنسان يسحق أخاه الإنسان... أيام كان العقل البشري يبحث وينتج وسائل لسحق البشر لا غير...

اختار هذا الوقت لعل الإنسان يتجه بقلوبه وأبصاره إلى الجمال والحب والربيع، فيشفق عليها من أن تموت إلى الأبد، ومن ثم يوقف وحشيته الهادرة... لكني لا أرى مثل هذا الكتاب كفاء

لهذه الغاية الخطيرة... إن طابع السذاجة يسيطر عليه، وعنصر السطحية يسم معطياته... إن جمال العينين هنا يعني جمال العينين بالذات ولا يقصد وراءهما أشياء أخرى... بعبارة أدقّ: إن البناء الرمزي هو الذي يتطلبه الظرف في تلك الأيام السوداء...

٢٣ حزيران

أنا الآن أجلس هنا في شرفة البيت وأسطّر بعض الخواطر والأحاسيس... إن الإنسان يتألم حينما ينظر إلى أيامه تمضي دون أن يفيد منها أيَّ شيء... وهكذا أنا... لقد ذهبت أكثر أيامي هباء... وهذا ما يؤلمني... لأن الأيام هي لبنات حياتنا، وكلما مر يوم انهارت لبنة منها، حتى يأتي يوم يكون البناء فيه قد انهار... كأن لم يكن شيء!! فلماذا لا نعمل من أجل بناء كبير؟ حتى إذا ما انهار بناؤنا وغيّبنا الموت، كنا قد أقمنا بناء آخر ليبقى بعد ذلك رغم الزمن...

على الشعراء أن يكتبوا كلما جرت في عروقهم ومضات الحياة... على الأدباء أن يكتبوا كلما لمعت لهم حقيقة من حقائق الحياة... على المفكرين أن يكتبوا كلما توصلوا إلى فكرة تستحق الخلود... هكذا يكونون قد أقاموا البناء الذي لا يزول... كما أقام الأنبياء (عليهم السلام) وحَمَلة المبادئ بناءهم الخالد... ومن ثم يبقوا في ذاكرة الأجيال، خالدين...

٢٤ حزيران

لعل من الممتع أن يقرأ الإنسان أقاصيص عن شعوب

بعيدة... غريبة... يكتبها أفراد من صميم تلك الشعوب... وها أنا ذا اليوم أنجز قراءة كتاب قصصي لكاتب من بلاد التشوكتش السوفيتية البعيدة... بلاد الجليد وجمال الطبيعة. وقد اختار لكتابه عنوان (الكلمة الأخيرة لميميل).

وكتابه هذا يحوي مجموعة قصصية غير ناضجة إلى حدّ ما... فالعقدة القصصية مضطربة في أقصوصته الثانية على الأخص... كما أن التناسق الفني يعوز مؤلف الكتاب... فثمة جمل مضطربة غير مترابطة، وثمة استطراد خارج موضوع القصة تماماً... إن أقصوصته الثالثة (مصير إنسان) لا تشوبها هذه الأخطاء... ومع هذا فإن هذه المجموعة تمتاز بشيء رائع يمنحها صورة أكثر واقعية تجعل القارئ أمام وقائع بالذات... ذلك أن أبطال القصة عنده هم أناس يعيش معهم في قرية من تلك البلاد. فهم الذين يمثلون القصة الأولى، وهم الذين يمثلون الثانية... وهكذا... لكن المحور يدور في كل قصة حول أحدهم... نسيت أن أذكر ان اسم الكاتب هو (ريتخيو) وهو طالب في إحدى جامعات روسيا.

٢٧ حزيران

(قنديل أم هاشم)... إني لأذكر يوم كنت أقرأ في كتاب (كتب وشخصيات) للأستاذ قطب. فكانت هذه القصة من تلك التي نقدها، وكان يحيى حقي من الشخصيات التي تناولها... والقصة تعكس صراع شاب يحمل كل مقومات الشرق، ضد الغرب وقيمه... وتحليل لذلك الصراع الذي ينتهي بانتصار الثانية على

الأولى... ويعود البطل إلى الشرق فيصدمه صراع جديد ينتهي بعد كثير من الألم والشك والقلق بانتصار مقومات الشرق ثانية، تلك التي رسبت في أعماقه، ولن يكون بمقدور مباهج الغرب ومظاهره البراقة أن تقضي عليها... لقد انتصر الإيمان... كما انتصرت الفكرة القائلة بأن العلم والإيمان شيئان متلازمان...

وثمة قصيدة نثرية منشورة في آخر هذا الكتاب القصصي... تعبّر بكل عمق وحياة عن الحب... قصيدة تذكّر قبل كل شيء بما كتبه الرافعي عن فلسفة الجمال في (أوراق الورد) و(السحاب الأحمر)...

٢٨ حزيران

قصة جديدة من القصص التي ترجمها البعلبكي... أنهيت قراءتها هذا اليوم... وهي عبارة عن مجموعة من الأقاصيص اتخذ لها مكسيم غوركي عنوان (حكايات من إيطاليا)، ولعله تمكن بعض الشيء من تصوير قصصه تصويراً يتسم بطابع إيطالي... وتصور قصصه انتصارات شتى للعامل الكادح وللإنسان الجبار... وللأم مصدر الحياة... وللطفل برعم الحياة... فما من شك أن غوركي، وهو كاتب شيوعي، آمن بالإنسان وحده، فهو يمجد الإنسان في جميع مجالات الحياة... وهو يعبده من دون الله... ثلاثة أقاصيص أعجبتني كثيراً من ضمن هذه الحكايات... أولاها تمثل انتصار الإنسان على الطبيعة القاسية، الجبارة... وتسخير القوى الطبيعية لمصلحة الإنسان... فهي تحكي عن حفر ممر طويل شاق في جبال الألب... والثانية تمثل تضحية الأم في سبيل وطنها حتى ولو كلفها فلذة كبدها... وتمثل الحب الجارف الذي تكنّه الأم

لأبنائها، والذي يعبّر عن صراع الحياة ضد الموت... والثالثة تمثل إصرار الإنسان في صراعه ضد الطغاة على الانتصار!!

٢٩ حزيران

لقد عكست المسيحية في مراحلها المبكرة صراع الإنسان من أجل الحقيقة في طريق رسمه الله ﷻ على أيدي الأنبياء والرسل... ولكني أمتلئ ألماً عندما أرى هذا الإنسان نفسه يعمى بعد ذلك عن تلك الحقيقة؛ التي بذل في سبيل الوصول إليها المال والدم... الدمع والعرق... والروح والجسد... وعندما يعمى هذا الإنسان المسكين عن تلك الحقيقة؛ يروح يصارع في سبيلها عبر طرق عمياء، لم يرسمها الله على أيدي رسله، إنما رسمها الشيطان على أيدي البشر... وهم في صراعهم هذا سوف لا يصلون إلا إلى الغاية التي يتحطم عندها كل ما تبقى من قيم الإنسان... هكذا انطلقت المسيحية في أوائل عهودها... وهكذا انتهت المسيحية في أواخر عهودها!!

٣٠ حزيران

أنا الآن أمام (مسرحية أقصوصة) للكاتب الأمريكي الشهير (جون شتاينبك) عنوانها (العاقر)... تمثل صراع الإنسان ضد العقم، وربما مثلت في المدى العميق صراع الإنسان ضد الزمن... صراع يقوم على عنصر مناقضة طبيعة الأشياء التي يؤمن بها العقل الأعلى... وعلى عنصر أنانية السلالة، تلك الأنانية الخيرّة أحياناً والمحطمة للشخصية الإنسانية أحياناً أخرى... وربما تمثل

في المدى الأعمق الصراع العنيف بين الحقيقة والواقع في ذات الإنسان... وهو تحليل لذلك الاصطدام المريع في نقطة المعرفة... معرفة الحقيقة التي تناقض الواقع الذي بنى عليه الإنسان عناصر حياته... بعث الحياة في الآخرين وإتمام حلقة السلالة هو جزء من هذه العناصر التي تزيد في هول الحقيقة المناقضة... رواية تمثل تضحية الإنسان في سبيل أخيه الإنسان... والظروف التي تجعل الإنسان إيجابياً في تضحيته... تمثل انتصار الإنسان أخيراً على الأنانية المحطمة التي تذوب في خضم من الأخذ الإنساني بدلاً من الصراع في سبيل عطاء محدود...

٣ تموز

(وجدتها) ديوان شعر حرّ للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان... إن الذي يقرأ هذا الديوان يتحتم عليه الرجوع إلى ديوانها الرائع (وحدي مع الأيام) لأنهما متكاملان، يمثلان في النهاية جانباً من سيرة شخصية إنسانية تشعر بعمق وتحسّ بحياة وتكتب بموسيقى... تألمت عندما كانت في خضم الألم الإنساني المغلق، واليأس القاتم... و(دوامة الغبار) التي ملكت عليها طريقها في الحياة، و(الصخرة) التي يتابع ظلها الأسود الممسوخ خطوات عمرها المكدود والحائر الذي يرقبه الفناء المخيف. وتجد نفسها أخيراً بعد أن تعرّت وظهرت على حقيقتها... بعد أن تساقط عنها الألم والشك والقلق... ذلك حدث بقوة الحياة المحركة الكبرى: الحب، فهتفت من أعماق نفسها:

وجدتها... يا عاصفات اعصفي

وقنّعي بالسحب وجه السما... ما شئت...

فإن أنوار الحياة تسطع في طريقها رغم السحب... والألم... والظلام...

٤ تموز

(الوعد الحق)... ورحت أعيش مع محمد وأصحابه الأوائل وأشعر بشعورهم، وأحس إحساسهم، وأؤمن إيمانهم... وكلما مرّت عليّ آية يتلوها أحدهم راح جسمي يقشعر، وازداد قلبي إيماناً... ذلك يعود قبل كل شيء إلى طبيعة الدعوة... ثم إلى قوة الكاتب... فقد أنهيت هذا اليوم هذه القصة التي كتبها طه حسين، وأجاد في أولها كل الإجادة، وأجاد في آخرها بعض الإجادة... وعبر فصوله الأولى كانت ثمة شخصيات إسلامية تنطلق من صميم الحياة، لتعبر مجتمعاً زائفاً، متحللاً... في طريقها إلى الحقيقة... إلى الإسلام... وكانت ثمة آية واحدة أو آيتان تكفي لبعث الإيمان في أعماقها... الإيمان الفاعل الذي يلقي أنواره على الأشياء فيعطيها صفتها الحاسمة!! وقصته هذه لا تدور حول حياة النبي ﷺ بالذات، إنما حول هذه الشخصيات التي بعثها النبي بإرادة ربه وقرآنه العظيم... ويسرع المؤلف أخيراً في سرد الأحداث التاريخية، حيث تطغى على الطابع القصصي الشائق الذي كان لا بدّ منه للقصة كلها...

٥ تموز

في متاهات البشر ترتسم الحدود في البعيد أمام الحياة المنتهية عندها... النهاية البشعة اللا متناهية... النهاية المطلقة التي تبدأ في ذات الحدود... وبعد الحدود تمّحي الأشياء... كل الأشياء... حتى تلك التي لا تحوي عنصر الحياة... حتى الظلام العميق المطلق... يفنى هناك... وراء الحدود لا شيء أبداً هناك...

في متاهات البشر ليس ثمة حدود تنطلق من صميمها الحياة والأشياء... البداية مطلقة والنهاية مطلقة... وفي البداية اللامتناهية يمّحي المصدر الموحد... الذي هو في الحقيقة خالق الحياة والأشياء... وتتحول جميع الحيوات وجميع الجمادات إلى أشياء تحمل في صميمها عنصر الخالق... في كونها لا حدود منها تنطلق إلى الوجود الملموس... في كونها أزلية كأزلية الخالق...

في متاهات البشر، تستوي الحيوات والجمادات في كونها أزلية في بدايتها، وتفترق في تلك النقطة التي تنتهي عندها الحياة نهايتها المطلقة عند الحدود... وتستمر الماديات في بقائها... في الوجود ليس لها حدود!!

١١ تموز

أنهيت اليوم مطالعة كتاب (التصوير الفني في القرآن) للأستاذ الكبير سيد قطب... وهو الكتاب الأول من (مكتبة القرآن) التي خطط لها هذا الكاتب... يتبعه كتاب (مشاهد القيامة في القرآن) و(القصة بين التوراة والقرآن)... الخ... إن

مبدأً فنياً اكتشفه سيد قطب في القرآن وبنى عليه كتابه... وأستطيع أن أقول: مكتبته! وهو يقرر ذلك بقوله: «إن التصوير في التعبير القرآني هو القاعدة الأساسية لبيان أغراض القرآن ومعانيه... هو كفاء تلك الأغراض وصنو تلك المعاني. هذه القاعدة تنطبق على ثلاثة أرباع القرآن...» ثم يبين أن هذه القاعدة تقوم على عنصرين هما التخييل الحسّي والتجسيم؛ لكي يخرج المعنى الذهني المجرّد مجسماً حياً يستطيع الخيال أن يتملاه والوجدان أن يشعره... أما القصص والأمثال فهو يردّها حية واقعة... حاضرة... لا حادثة مروية... فهي الحياة ذاتها وليست قصة الحياة... وان الأمثال لتبين ذلك بكل وضوح.

١٣ تموز

(عمرو بن العاص) ترجمة تاريخية للعقاد؛ الذي ترجم لكثير من الشخصيات الإسلامية، وترجم أيضاً لكثير من الشخصيات الأدبية. ولقد قرأت هذا الكتاب لأنه جزء من المحور الذي قامت عليه الفتنة... كان لعمرو بن العاص أثر كبير في نشر الإسلام، فلقد فتح مصر، بعد فتحه فلسطين... إن المؤلف يبحث في مؤثرات حياة هذا القائد ويوغل في هذا البحث... لأنها هي التي تشرح اتجاهاته وأعماله وشخصيته... ثم يخلص إلى صفاته التي كان لها أثر كبير في رفعه إلى القمة، تلك هي الدهاء والحيلة والحيطة... ولم يكن الكتاب خصباً... لقد كان أقرب إلى الجفاف... ويرجع ذلك إلى أسلوب الكاتب من جهة، وإلى تسلسل

ترجمته من جهة أخرى، وإلى طبيعة تحليله للحوادث والنتائج من جهة ثالثة... إلا أنها ترجمة لها قيمة تاريخية كبيرة إذا نظرنا إليها بالمنظار العلمي المجرّد.

١٩ تموز

في ليلة هذا اليوم كانت الحمى والصداع يسحقانني سحقاً... لم أستطع النوم... فقد كان رأسي يحترق من شدة الألم... فإذا ما أغمضت عيني كان لا بدّ لي أن أفكر بشيء... إن التفكير يورثني ألماً على ألم ويزيده إضعافاً... فبقيت مفتوح العينين ساعات طوالاً وأنا أعصر رأسي بيدي، وأضع الوسادة فوقه وأحصره بين قضبان السرير... ولا فائدة... وعند الفجر أخذتني إغفاءة من نوم واستيقظت صباحاً... حتى إذا أردت أن أنزل إلى الفناء ثارت ثائرة الغثيان في أمعائي وأخذت أصرخ من الألم... ولم أستطع بعد ذلك أن آكل شيئاً وبقيت حتى الظهر منطرحاً على الفراش... ثم استيقظت عصراً وأنا أشعر بشيء من التحسّن... حتى إذا جاء المساء شعرت بعودة الصداع والحمى، ولكن عندما خرجت لأنام كان نومي رائعاً لم يعكره ألم... والحمد لله...

٢٢ تموز

لم أستطع هذه الليلة نوماً... لم تكن الحمى هي السبب ولم يكن الصداع... إنما السبب هو ذلك الحيوان الثقيل الذي جثم على صدري هذه الليلة يمنعني من التنفس ويثقل صدري... رئتي... بشيء ثقيل أحسّ معه بأنه لا يسمح لذرة من الهواء بالدخول إلى

رئتي... فجعلت أتقلب على الفراش وأرفع ذراعيّ وأتمطى كلّ فجوة صغيرة تفتح في رئتي ليدخل إليها الهواء، وكان ذلك عبثاً... فقررت أن أعتدل على السرير وهو أحسن علاج... وما أن اعتدلت حتى خفّ ما في رئتي من ثقل ودخل الهواء... فظللت جالساً هكذا والساعات تمرّ حتى أخذتني إغفاءة عند الفجر، جلست بعدها صباحاً وأنا أشعر بصداع في رأسي وانحطاط في جسدي... فقررت الذهاب إلى الطبيب... وعدت بعد ذلك إلى البيت لأنام... هذا هو الإنسان... تهاجمه الأمراض بين الحين والحين فتهدّ جسده أياماً طويلة...

٢٣ تموز

استيقظت صباح اليوم وأنا أشعر بصحة جيدة والحمد لله... وبعد تردد قررت الذهاب إلى المكتبة العامة لأطالع بعض المجلات والصحف... أنهيت مطالعة الصحف والساعة بعد لم تتجاوز العاشرة والنصف... هل أخرج؟ فإلى أين؟ أم أطلب كتاباً أقرؤه وهذا شيء غير مريح الآن... إذاً لماذا لا أطلب مجلد (الرسالة) الرائعة... ففعلت... ورحت أتصفح تلك المجلة التي كانت قبل أعوام رائدة الأدب في العالم العربي كله... كان محررها الزيات... المترجم الرائع... وكان من كتابها: الرافعي، المازني، الطنطاوي، طه حسين، العقاد، سيد قطب... ومن شعرائها محمود غنيم، أحمد رامي... وقضيت ساعات ممتعة مع صفحات هذا المجلد الضخم... ثم حانت الساعة الواحدة فقفلت عائداً إلى البيت.

٢٥ ـ ٢٦ تموز

كانت هنالك قرب نهر دجلة سدّة ترابية تسير بموازاته، حتى إذا انحرف عنها النهر بعيداً ولم يبق ثمة خطر على الزروع، انعطفت هي الأخرى ذات اليمين وابتعدت عن النهر... وعند المنعطف داخل المزرعة كانت تقوم عدة شجرات باسقات، تلقي ظلالها الجميلة الخضراء على ساقيات، يجري فيها الماء ليروي الزروع الممتدة بعيداً.

ففي الخريف يعتدل المناخ وتقل حرارة الشمس وتمتلئ الأجواء بعبير هذا الفصل الرائع ونسماته المنعشات... قبيل الغروب... وتروح الشمس تلقي بأشعتها الواهنة على صفحة النهر الهادئ، فتحيل مياهه ذهباً براقاً، وتلقي ما تبقى منها عند المنعطف الهادئ، فيتحول المكان إلى منطقة شاعرية هادئة... تنطق بالجمال والصفاء... حيث تمتزج الخضرة بلون الطين الأحمر، وحيث تعكس أوراق الشجر المتساقطة الأشعة الحمراء الكليلة... وحيث تندمج أصوات الغصون والأوراق عندما تداعبها النسمات، بخرير المياه التي تجري في السواقي سرباً... فتسمع لذلك موسيقى رائعة توقع لحن الطبيعة الحبيبة والهدوء والصفاء...

كان ذلك في عهد الصبا... وعرفنا ذات يوم ذلك المكان، فعلقت به نفوسنا الصافية اللاهية، وأخذنا نذهب إلى هناك كل يوم نقضي فترة الغروب... وكنا نشعر بسعادة لا تعدلها سعادة وكنا نجد من المتعة والبهجة ما يملأ نفوسنا بهما أياماً طويلة...

حتى إذا انقضى ذلك العهد ومرت السنون إثر السنين سريعةً متلاحقة... تماماً كما تتلاحق الموجات في ذلك النهر الجميل ثم تنكسر فتموت... تماماً كما تتلاحق أوراق الخريف المتساقطة مرةً بعد أخرى... كلما هزت الريح الشجر... مررنا ذات يوم إلى هناك فلم نجد شيئاً... لقد ذوت الأشجار فاقتلعوها ثم أكلتها النار... ولقد جفت الزروع فجفّت معها الساقيات وردمت... لم يبق ثمة شيء... لم يبق ثمة شيء...

٢٨ تموز

(مجتمع عالمي) كتاب للأستاذ سيد قطب يقرر فيه عالمية المبدأ الإسلامي... طبيعته في بناء المجتمع الإسلامي العالمي... الأسس والمميزات التي جعلته يبني مثل هذا المجتمع... ويتناول المؤلف بالبحث الأسس الرئيسية التي تجعل من المجتمع الإسلامي مجتمعاً عالمياً، فيقرر أن الإسلام ينفي عصبية العنصرية وما يتبعها من حدود وتطاحن، إذ إن الاستعمار الحديث أساسه هذه العنصرية قبل كل شيء... فإن نفي هذا المقت العنصري بتحطيم الحدود الجغرافية وإقامة رابطة هي أقوى من رابطة العنصرية، أساسها الإخاء الإنساني ووحدة الإنسانية وأن منشأها واحد ومصيرها واحد، وهذا ما يقوم به الإسلام في بناء ذلك، أصبح المجتمع عالمياً بلا جدال... يقول الكاتب: هنا تعرض شبهة، وهي إحلال التعصب الديني محل التعصب العنصري، إلا أنه ما يلبث أن يبدأ في تحليل طبيعة الإسلام؛ التي لا يجوز معها

ذكر كلمة التعصب أبداً... يبدأ بموقف الإسلام من الأديان والقوميات داخل الحدود، وينتهي بموقفه منها خارج الحدود.

٢٩ تموز

عقد الزعيم عبد الكريم قاسم مؤتمراً صحفياً، كان بمثابة ضربة موجعة للشيوعيين، ونقطة انطلاق للعناصر القومية والإسلامية... عقده ليفهم الشعب والعالم وحشية الشيوعيين وحيوانيتهم، بمناسبة حوادث كركوك الدامية قال: الصهاينة أنفسهم لم يفعلوا ما فعله هؤلاء المجرمون... وأنه لولا يقظته لطبق الشيوعيون خطة مجرمة يقررها مبدؤهم الهدام، وهي القيام بالمذابح نفسها التي شهدتها كركوك في كل من الأعظمية والكرخ... إن أكثرية الشعب الآن تقف في مواجهة الشيوعيين... وإن نسمة من الحرية يتنسمها أولئك الذين حرموها فترة طويلة، أيام أن سيطر الشيوعيون على الرأي العام وعلى أجهزة الدولة... إن الذي يذهب إلى بغداد الآن يرى الآلاف المؤلفة من أبناء الشعب؛ الذين خرجوا ليعربوا عن فرحهم بحريتهم... ثم هو لا يرى بعد ذلك أي قرد... فإذا ما سأل عن سبب ذلك قيل له إنها دخلت أقفاصها ولم تعد تخرج إلى الأبد!!

٣٠ تموز

انهالت على بغداد آلاف البرقيات من ملايين الأفراد تعلن تأييدها لتصريحات عبد الكريم قاسم وسخطها على الشيوعيين القتلة... وقد أصابت عاصفة من الانخذال هؤلاء الشيوعيين،

تقابلها عاصفة من الفرح والابتهاج والشعور بالانتصار عند العناصر «الشريفة» من مسلمة وقومية... وتساءل الكثير عما إذا كان قاسم سيضربهم ضربة جذرية، أم أن الأمور ستمضي قلقة إلى ما شاء الله...

إن الشعب يريد نتيجة نهائية، ولا شكّ أن هذه النتيجة تتمثل بسحق الشيوعيين لتعود الأمور إلى طبيعتها... ذلك أن العراق مسلم عربي، لا يجوز أن تطغى عليه، ولو لمدى قصير، الشيوعية الآثمة التي لا تعترف بأية قيمة إنسانية... فهي تسحق الدين قبل كل شيء في طريقها إلى غايتها التي رسمها ماركس... الإنسان سنٌ في عجلة تدور وتدور... والمجتمع قطيع من الأغنام يسوقها متنفذو الحزب الشيوعي...

٣١ تموز ـ ١ آب

بانتهاء هذا اليوم يكون شهر تموز قد انقضى... الشهر الذي انطلقت فيه ثورات غيرت مجرى تاريخ أمم وأقوام... فمن الثورة الفرنسية إلى الثورة المصرية إلى الثورة العراقية... وأيام أن انطلقت الثورة المصرية، كان الإخوان المسلمون هناك يعملون بكل إخلاص من أجل مبدئهم ووطنهم... فقِسْمٌ من أقطابهم كانوا محور الثورة تلك... أما القاعدة، والمجاهدون فكانوا هناك في قناة السويس يحاربون الإنكليز ويذيقونهم مر العذاب... كانوا قد حولوا القاعدة الاستعمارية إلى جحيم يصطلي بناره الإنكليز ولا يقر لهم قرار... والقاعدة الاستعمارية لا بدّ لها من مواصفات لتستطيع

الدولة المستعمرة البقاء والاستمرار... لكن الإخوان قضوا على أخص هذه المواصفات وهي الاستقرار والتموين... الخ... إن الذي يريد أن ينصف التاريخ والحقيقة يقول: إن الإنكليز لن يغادروا القناة بمجرّد معاهدة على ورق!! ولكنهم يغادرونها إن تحولت إلى جحيم يحرقهم... يغادرونها رغماً عنهم...

ومرّت الأيّام والإخوان يحاربون الإنكليز بكل قواهم... ثم جاءت سنة (١٩٥٤م) والإنكليز يخنقهم الحصار الذي ضربه الإخوان حولهم، فكان لا بدّ لهم من مغادرة القناة... وأرادوا أن يكون خروجهم بعيداً عن مظهر الهزيمة... فطلبوا المفاوضة مع جمال، وقرروا الخروج بشروط معينة مجحفة بحقّ مصر، قبلها جمال وانتهى كل شيء... وهنا بالذات رأى الإخوان أن جهادهم السنين الطويلة ضد الإنكليز لم يحقق غايته التي أرادوها، وهي هزيمة العدو المستعمر دون قيد وشرط... فثاروا ضد هذه الاتفاقية التي لا تعترف بذلك الجهاد، الذي كان يحتم على الإنكليز الهزيمة من قناة السويس... ولكن جمال استطاع أن يضربهم، بتمثيلية محاولة الاغتيال... وبضربه لهم ضربَ الفكرة الإسلامية ضربة جبارة... الفكرة التي كانت في طريقها إلى العالم لتنشر الخير والسلام!!

٢ آب

(مبادئ الفلسفة) كتاب ألّفه رابوبرت وترجمه أحمد أمين، وهو كتاب يبحث بإيجاز في معنى الفلسفة وفروعها المختلفة،

ويخلص إلى أن هذه الفروع هي: ما وراء الطبيعة والطبيعة والنفس والأخلاق والجمال والمنطق والاجتماع (فلسفة التاريخ)... ثم يعرض بشكل موجز لتاريخ الفلسفة منذ منشئها حتى العصر الحاضر. ويقوم أحمد أمين بإتمام هذا الموجز بكتابة فصل عن تاريخ الفلسفة الإسلامية...

وفي الجزء الثاني من الكتاب يعرض المؤلف ـ بإيجاز أيضاً ـ لأهم مسائل الفلسفة والمذاهب المختلفة التي قامت لتحلّ تلك المسائل، ومنها في فلسفة ما وراء الطبيعة: ما أصل الوجود؟ وكيف وجد؟ لقد عمل فلاسفة كثيرون في هذا المضمار، وكلٌّ أتى بحلٍّ تبعه فيه أنصار كثيرون، وتكوّنت بذلك مذاهب شتى، منها الواحدية التي ترجع أصل هذا العالم وظواهره إلى عنصر واحد هو المادة أو الروح... والإثنينية التي تقر بوجود الروح جنباً إلى جنب مع المادة، كأصل للعالم وأساس له.

٣ آب

نحن الآن جالسون في كازينو الخيام بالموصل نلعب (الداما)، فإذا بثلاث سيارات مسلحة تتجه نحو المدينة... وبعد مرور ساعة جاءنا من يقول إن بيوت الشيوعيين الحمر الرؤساء قد طوقت والشرطة تتحراها الآن... فاستبشرنا خيراً، وانكببنا على اللعب من جديد... وفي الساعة العاشرة كالعادة عاد كلٌّ إلى بيته... ثم جاء من يقول: إن الشرطة قد قبضت على أكثر من أربعة عشر واحداً منهم، وأنها عثرت على أماكن كُدِّست فيها

الأسلحة تكديساً .. لقد جاءت لجنة التحقيق يوم أمس لتبدأ عملها غداً... فكل من يملك شهادة ضد واحد أو أكثر من هؤلاء الشيوعيين سيذهب ليدلي بشهادته، التي تكشف عن أعمال هؤلاء يوم أن عاثوا في البلد مفسدين.

كما أن الفكرة الإسلامية قامت على أساس التوحيد، والديانة المسيحية قامت على أساس المحبة، والديانة الزرادشتية قامت على أساس الخير... فإن المذهب الماركسي قام على أساس الحقد والانتقام!!

٦ آب

(نيتشه) ترجمة لفلسفته وحياته، ألفه ليشتانبرجر ونقله إلى العربية خليل هنداوي... إن عرض المؤلف لفلسفة نيتشه بطريقة منطقية، وهي تقسيم تلك الفلسفة إلى قسمين: الناحية السلبية تلك التي أنشأها الفيلسوف في القسم الأول من حياته، حيث كانت مهمته الهدم الصارم للقيم الاجتماعية والاتجاهات الإنسانية في شتى المجالات. والناحية الإيجابية التي أنشأها في القسم الثاني من حياته، حيث كانت مهمته بناء مثل أعلى إنساني هو (السوبرمان). أقول إن ذلك التنظيم، ولو أنه أعطانا صورة واضحة المعالم لفلسفة نيتشه، إلا أنها لم تخلُ من غموض وعدم ترابط... لكن هذا لا يطغى على معالم الصورة.

وفي الفصول الأولى من الكتاب يعرض المؤلف لتفاصيل حياة نيتشه الشخصية فيما يتعلّق بتوجّهاته الفلسفية، ويعرض كذلك

لصلته بالفيلسوف شوبنهور والموسيقار فاغنر... أما تعليق المؤلف على هذه الفلسفة فهو مضطرب هزيل غير كفؤ للرد على آراء نيتشه، وغير صنو لتوضيح الأخطاء.

٨ أب

كنا جالسين في الكازينو، وإذا صوت المهداوي المشؤوم يعلن في المذياع إحدى جلسات المحكمة... حيث بدأ بتعليقاته المعروفة بسخفها وسطحيتها... وتبعه المدعي العام المنحط ماجد أمين بتعليقات أكثر سخفاً... لقد أعادوا المتهم فاضل الشكرة إلى قفص الاتهام من جديد... مع أن محاكمته قد انتهت قبل أسبوع... أعادوه لأنه سيطر عليهم في الأسبوع الماضي، وتحدّاهم أن يثبتوا له جرماً، كما أنه هاجم الشيوعيين أعنف مهاجمة... أعادوه ليسيطروا هم عليه هذه المرة، حسب اعتقادهم... وهكذا راح المهداوي ينعق وينعق معه المدعي العام... إنهما حقّاً يمثلان الرجعية... يمثلان تفسُّخ الشعب وتصادمه... يمثلان الشيوعية الخبيثة المجرمة وعبثها في البلاد... يمثلان الإرهاب الأحمر... يمثلان الفوضوية والقلق والخوف، وتشقق الصف العربي وتمزيقه... يمثلان الانفصالية المضحكة، التي تدّعي بأن الوحدة هي سيطرة قطر على قطر... يمثلان هدم جميع القيم الإنسانية والإسلامية والعربية سواء... إنهما ـ باختصار شديد ـ سافلان مجرمان!!

١٠ آب

(صلاح الدين الأيوبي) ترجمة تاريخية لقدري قلعجي ضمن

سلسلة أعلام الحرية... يبدأ المؤلف برسم صورة تاريخية للشرق والغرب قبيل فترة الحروب الصليبية، ثم يتدرج إلى الأسباب التي أدت إلى تلك الحروب، وينتقل بعد ذلك إلى صلاح الدين نفسه، فيكتب عنه طفلاً وشاباً وقائداً ووزيراً وسلطاناً، وهو في ذلك يتدرج تدرجاً تاريخياً منتظماً... إلا أن الذي يؤخذ على المؤلف هو إرجاع عظمة صلاح الدين وأسباب كفاحه إلى القومية قبل كل شيء، ثم هو يجهد نفسه بعد ذلك لإثبات عروبة صلاح الدين...

ويتساءل المرء: لماذا يجهد بعض المؤرخين أنفسهم (لتعريب) بعض الشخصيات الإسلامية، مع أن الإسلام هو الذي كون هذه الشخصيات؟ إن العرب أنفسهم بنوا مجدهم الكبير على أساس إسلامي بحت... ليكن صلاح الدين كردياً... هل في ذلك ضير؟ إن الإسلام هو الذي كوّن شخصيته ودفعه بعد ذلك إلى طرد الصليبيين الذين استهدفوا الإسلام قبل كل شيء...

١١ آب

غداً سيحاكم الأبطال... الطبقجلي وسرّي والعقيلي وإخوانهم... سيمثلون أمام «أعجب وأغرب وأسخف محكمة في التاريخ» كما قالت إحدى صحف بيروت العربية... سيمثلون بشخصياتهم الكبيرة أمام المهداوي الصغير بشخصيته... الصغير بأخلاقه... الصغير بمبدئه... ستتضاءل شخصية المهداوي أمامهم إن كانت له شخصية... سيعتبر نفسه أكبر منهم شأناً لأنه الحاكم وهم المحكومون... سيظهر عظمته المصطنعة عليهم بصراخه

وسبابه المزعج... سيشعر بمركّب نقصه في كل لحظة، فيحاول تغطيته بجمله المعهودة: «ثقافة حرة شريفة» «مثقفون شرفاء» «مناضلون شرفاء أحرار» «الديمقراطية الصحيحة الحقيقية»... إلى آخره من جمله الفارغة المعروفة... وهي إنما تدلّ على أن المهداوي «جاهل غير مثقف» «جبان غير مناضل» «منحط لا أخلاق له» و«انتهازي لا ديمقراطي»، ويعيش على الهامش لا مبدأ له ...

١٢ آب

قدم اليوم إلى محكمة المهداوي فريق من أقطاب الزعماء العراقيين بحجة اشتراكهم في ثورة الشواف... وقفوا أمام المهداوي، فشعر هذا بضآلة شخصيته أمام هذه الشخصيات الكبيرة المؤمنة، واندفع في رد الفعل، يصيح بهم كالمجنون... وهم ساكتون يحتقرون بكل جوارحهم هذا المهداوي الغبي، ويتمثلون بيت المتنبي الرائع:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل

حقاً أن مذمتهم هنا تأتي من ناقص... وأيّ ناقص؟ ناقص في الخلق، وفي الشخصية، وفي الثقافة... وفي كل شيء... إنه المهداوي وكفى... أما ماجد أمين، المدّعي العام [فلا حاجة] للكلام عنه وحرام كتابة حرف واحد عنه وعن أمثاله...

وقف الأسُود في قفص الاتهام... وجاء الشهود وأدلوا بكلمة الحق... فاهتز المهداوي، وعاد إلى صراخه وصياحه كالمجنون...

حتى بحّ صوته... أما ماجد فإنه لم ينبس ببنت شفة، لأنه يخشى الرد عليه من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...

١٣ آب

من بدائع الأشياء أني قرأت عن (جمال الدين الأفغاني) بعد انتهائي من قراءتي لشخصية أخرى هي (صلاح الدين الأيوبي)... بلى إن الإسلام مَعِين كبير لبعث الإنسان... الإنسان الكبير... هذه شخصية صلاح الدين تلقي ظلالها الإنسانية على الوجود: القوة والعدل... وهذه شخصية جمال الدين تلقي ظلالها الإنسانية على الوجود: الفكر الحرّ المنطلق، والجهاد من أجل المبدأ... كلاهما مثل عظيم لأولئك الذين خرّجتهم مدرسة الإسلام... هذا صلاح الدين يوحِّد الأمة الإسلامية الممزقة تحت راية واحدة، ويدفع بقواها نحو الصليبيين الغزاة، فيحرر البلاد من قبضتهم... وهذا جمال الدين يدفع الشعوب الإسلامية التي أخذتها سِنة من نوم... نحو الحياة... بكل مقوّماتها... بلى إن الإسلام معين كبير!

١٤ آب

أمس خطب الزعيم... والكلّ يعلم من هو الزعيم؟ وما هي خطاباته؟... غمرة سوداء طغت على العراق منذ تولّي الزعيم الحكم... بل هي غمرة حمراء تلوح دوماً للشعب بالدم والشقاء...

سنة كاملة عاشها شعب العراق تتقاذفه الآلام ويغمره الإرهاب في كل مكان... لأن قاسم يريد الحكم... ولا يدري أن أرواح

الشهداء تطوف في أرجاء الخلود، وتهتف... «ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه... ملعون من يبيع أهل ملّته بحطام يلتذّ به... ملعون من يمكّن الأجانب من دياره... محروم من شرف الإسلام من يمهّد الطريق لخفض كلمة مواطنيه وإعلاء كلمة المستعمرين... ملعون من يختلج في صدره أن يُلحق دماراً بأمته ليتمَّ ناقصاً من لذته... هيهات هيهات... أيظن مريض القلب أنه سيُترك حتى يأتي هذا المنكر؟ أيظن أنه يعيش حتى يتمتع بما تكسب يداه؟»... ذلك ما تفجّر به قلب جمال الدين الأفغاني الكبير...

١٥ آب

مهزلة جديدة من مهازل المحكمة العسكرية... الشاهد الذي يقول الحقيقة يدخل قفص الاتهام!! وما هي هذه الحقيقة؟ الحقيقة التي قالها أولئك الشهود الذين دخلوا قفص الاتهام هي أنهم عُذِّبوا من قبل هيئة تحقيق المحكمة، وأُخذت منهم الاعترافات الزائفة بالإكراه... وما هي إلا من نسج الخيال... وأصرّ المهداوي على صحة هذه الشهادات... وثمة مهزلة أخرى عرضت على مسرح المحكمة اليوم... لقد رفضت المحكمة قبول المحامين الذين طلبهم المتهمون، وعددهم سبعة عشر، وأعلنت عن قبولها لاثنين منهم فقط... ولكن صوت الحقّ والقانون ارتفع من قفص الاتهام، يعلن أن عمل المحكمة هذا منافٍ لنصوص القانون التي تقرّ بكذا وكذا... كان هذا الصوت هو صوت ناظم

الطبقجلي الزعيم الحرّ... ولكن صوت الباطل... صوت المهداوي الذي يتكلم بلسان الزعيم أسكته بالصراخ والتهريج.

١٦ آب

ـ كل شيء لا يحوي عناصر البقاء في ذاته يتحطم لأية ضربة تأتيه من الخارج.

ـ يجب على أية دولة عربية تتحرر من الاستعمار أن تعلن الوحدة فوراً... لأن الحدود رسمها الاستعمار لا غيره، فزواله يعني زوالها... وبقاؤها مناقض لطبائع الأشياء...

ـ مخطئ من يقول أن القومية العربية وجدت منذ أن وجد العرب، وأن الإسلام مجدد لها... فليس ثمة رابطة كانت تربطهم وتقضي على الصراع الدائم بين قبائل العرب، ولما جاء الإسلام قضى على ذلك الصراع، وأحلّ محله رابطة متينة بنّاءة... فهو إذن وجود وليس تجديد...

ـ الحقيقة تخالف الواقع إلا حينما تطبق قوانينها في واقع الإنسانية، هنالك يتكوّن المجتمع المثالي، فالإسلام وقوانينه حقيقة والمبادئ التي يسير تحت ظلها المسلمون الآن واقع... وحينما حكم الإسلام في عهد الخلافة الراشدة نشأ المجتمع الإسلامي المثالي...

ـ إن الحقيقة أسمى من الواقع أبداً... وهي مرفأ البشرية إذا ما تنادت بها لتنقذها من هذا الواقع المرير.

١٧ آب

(مع أبي العلاء في سجنه) كتاب أدبي لطه حسين يعرض فيه لسجون أبي العلاء الثلاثة: فقد البصر، لزوم البيت، و«كون النفس في الجسد الخبيث»... محلِّلاً إياها تحليلاً مفصّلاً وموضّحاً مدى ارتباطها بعضها مع بعض... وذلك بعد أن يدخل المؤلف إلى تلك السجون عن طريق (اللزوميات)، وكتاب (الفصول والغايات)... بعبارة أخرى إنه يحلل ديوان اللزوميات وكتاب الفصول والغايات... لا يكتفي بالتحليل الذي يتناول المعاني والاتجاه الفلسفي فحسب، وإنما يعرض للأسلوب واللفظ جميعاً...

والذي يهمّنا من ذلك أن أبا العلاء لم يكن ملحداً ولكنه أنكر الديانات... وأنه كان متشائماً... أبيقوريّ المذهب مع اختلاف يسير... وأنه كان يتبع الطرق الوعرة في حياته... ففي ديوان اللزوميات اتبع مبدأ لزوم ما لا يلزم... ولماذا؟ ثمة سبب آخر هو سجنه الذي فرض عليه العزلة، فلا بدّ له من اللهو واللعب البريء وقد فعل... ويخرج طه حسين من سجن أبي العلاء مجبراً... لأنه كان على موعد مع السفر!!

١٨ آب

ذهبت اليوم عصراً إلى البحيرة... وقد أخذت بيدي كتاباً صغيراً، وهو مسرحية (الخال فانيا) لجيخوف، حيث تطيب هناك مثل هذه الجلسات في فصل الخريف، ومع أجواء الغروب حيث يظهر القمر من وراء أشجار الصنوبر بقرصه الأحمر الجميل،

فيضيف إلى أجواء المكان بهجة وجمالاً... ورحت أقرأ في تلك المسرحية بكل شغف ومتعة... فالمطالعة في مثل هذه الأماكن، خاصةً إذا كانت خاليةً هادئة... لذيذةٌ جداً... وبخاصة الدواوين، حيث تنسجم نغمات الشاعر ومعانيه ومشاعره مع هدوء المكان وروعته وجماله... ومع استقرار القارئ وسعادته...

وبعد أن حانت الساعة الثامنة قفلت عائداً إلى البيت؛ لأجلس إلى الراديو أدير العقرب من محطة إلى أخرى وأسمع التعليقات هنا والبرامج الممتعة هناك حتى الساعة الثانية عشرة حيث يحين موعد النوم.

٢٠ آب

(الخال فانيا) مسرحية اجتماعية للقصاص الروسي الشهير أنطون جيخوف... وتدور حوادثها في بيت إقطاعي وما يحيطه من حدائق وبساتين... وتمثل أولئك الذين يهدرون حياتهم في سبيل الآخرين، بعد أن يخدعوا بعظمة أولئك الآخرين... وبعد فوات الأوان يدرك هؤلاء أنهم أضاعوا أيام عمرهم هباء، وأن الذي عملوا من أجله لم يقابلهم إلا بالإهمال والاستغلال... وأنه ـ من جهة أخرى ـ ليس كما توهّموا بعظيم... كما تمثل أولئك الذين يقفون عقبة في سبيل الآخرين، ويجعلون من أنفسهم، ويجعلهم الآخرون محوراً يدورون حوله مهملين متطلباتهم الشخصية، ضاربين سعادتهم وحبهم عرض الحائط... إن قوة المسرحية تظهر في التفاعلات النفسية؛ التي تؤثر في حوار الأشخاص واتجاهاتهم وأعمالهم.

وهنالك عبر المسرحية شخوص يكاد يقتلها السأم والجفاف... وهنالك شخوص أخرى تريد... لكنها لا تحصل على ما تريد!

٢١ آب

(الغليون) كتاب يضم ثلاث أقاصيص سوفيتية للكاتب الروسي (يوري ناغيبين)، هي: (الغليون) و(المنتصر) و(السنديانة الشتوية).

والحقيقة أن القصة الأولى رائعة ومشوقة، تصف لنا حياة الغجر في ممتلكات روسيا وتشردهم وانتقالهم من مكان لآخر، حيث لا وطن لهم... وبطل القصة يتكلم عن نفسه وعن قومه، وعن كفاحه من أجل القوت وهو بعدُ، طفلٌ صغير... وعن الأعاصير التي هبّت في طريقه... فقد فارق أمه... ورافق خاله وجدته... ولكن خاله يقتله الغجر... فتنتقم الجدة لابنها ذاك وتقتل رئيسهم، ولكن أتباعه سرعان ما يقتلونها، فيبقى هذا الطفل وحده لا مُعِين له، وينتقل من قرية لأخرى حتى يلتقي بشاب يعلمه الحقيقة فيعمل من أجلها... واستطاع بطل القصة أن يصبح أخيراً ضابطاً في جيش روسيا!!

٢٢ آب

(ديموستين) ترجمة تاريخية لقدري قلعجي في سلسلة (أعلام الحرية)... وقبل أن يتكلم المترجم عن شخصية ديموستين وحياته، ينقل لنا صورة موجزة عن اليونان وتاريخهم وبلادهم... ثم يأتي إلى ديموستين فيكتب عنه وهو بعدُ طفل، كيف كانت

رغبته الشديدة في الخطابة... ثم درسه البلاغة والقانون مما جعله خطيباً بارعاً ومحامياً قديراً... واشتغاله بالسياسة أضاف إلى مواهبه قوة وقدرة...

لقد نشأ ديموستين وبلاده تحيط بها القوى ويحدق بها الأعداء، فاليونان من الشرق، والمكدونيون من الشمال، والأتباع والخونة من الداخل... ووهب ديموستين نفسه ليدافع عن قضايا بلاده واستقلالها... فكان يلقي في المجلس العام خطباً يبين فيها ما يجب على أثينا أن تعمله، ويخطط لها الطريق الذي يجب أن تسلكه؛ لكي تحافظ على استقلالها وتعيد إليها أمجاد ماضيها... وانتهت حياته كما تنتهي حياة أكثر العظماء والمخلصين... لقد مات بعيداً عن وطنه بعد أن لاحقه الأعداء...

٢٣ آب

أكمل ناظم الطبقجلي إفادته اليوم حيث كان قد بدأها بالأمس... الإفادة التي كشف فيها عن حقيقة ثورة الشهيد الشواف... موضحاً أسبابها بكل تفصيل وإلمام... كما بيّن للمهداوي، ومن لفّ لفّه من الأغبياء والحمقى، أن ثورة الجيش في الرابع عشر من تموز، إنما كانت ثورة القومية العربية... ثورة الإسلام... على الاستعمار والتبعية، سواء كانت للشرق أم للغرب... وهنا ضحك الأذناب في قاعة المحكمة؛ لأنهم لا يؤمنون بأن هناك استعماراً شرقياً!! كما بيّن مساعي الحزب الشيوعي للسيطرة على الحكم، وسحق جميع العناصر التي تخالفه في العقيدة...

وأوضح بصورة غير مباشرة انحراف قاسم العراق عن مبادئ ثورة (١٤) تموز والسماح للشيوعية بالنفوذ والانتشار...

وسمع الرأي العام العالمي كل هذا... وعرفوا ما جرى وما يجري هنا في العراق من مآسٍ ومهازل...

٢٥ آب

لقد أعدموهم...

أرأيت إلى القمر في منتصف هذه الليلة؟ كان هناك يتمسح بأعتاب الأفق الشرقي... كان هناك يريد أن يطلق دمعة... أرأيته وقد كفّن نفسه برداء أحمر كرداء المسيح... يحمل في طياته معاني الألم والخلود؟ كان يصعد في الفضاء؟ ناكساً رأسه... كان يسير بكل روعته وراء جنازة الشهداء...

لقد أعدموهم...

لم يدعوا أحداً يخرج وراءهم في طريقهم إلى أعماق الأرض... لم يدعوا أحداً يلوّح بيديه للأرواح التي حلّقت في الفضاء بعيداً... إنهم يخافون... هؤلاء المجرمون القتلة... إنهم يخافون... حتى من أولئك السائرين وراء النعوش...

أرأيت إلى القمر الحزين يسير في الأجواء... لقد خرج هو وحده ليشيعهم إلى مقرهم الأخير...

٢٨ آب

(جدّد حياتك) تأليف محمد الغزالي... وهو كتاب يبحث في

النفس الإنسانية على أساس إسلامي، ومدى ما وصلته تعاليم الإسلام في هذا المجال... والذي يقرأ الكتاب يرى إلى قوة البناء النفسي الذي ينفذه الإسلام، خاصةً في مجال العقدة الإنسانية الكبرى: (القلق)... فالإسلام يقوم على الإيمان، ومن ثم يطرد القلق ابتداء... ويتطرق الكاتب إلى مواضيع شتى يعرض فيها لجوانب النفس البشرية، ويضع لكل نقص أو عقدة أو خلل دواءه الناجح من معين القرآن والحديث...

ويستدلّ المؤلف بأبحاث العالم النفسي الكبير (ديل كارنيجي) في كتابه الشهير (دع القلق وأبدأ الحياة)... ومن الغريب أن ثمة تطابقاً بين ما يقرره الإسلام في المجال النفسي وما يقرره هذا العالم المعاصر... ذلك أن الإسلام دين الفطرة، ولن تعدم البشرية من يسير في حياته بمقتضى فطرته النقية المشرقة، كما فعل العالم الكبير (كارنيجي)...

٢٩ آب

(الجداول) ديوان شعر للشاعر إيليا أبو ماضي... تطالعك فيه قصيدة (الطلاسم) يعرض فيها لألغاز الوجود ومعمّياته... ويخلق ألغازاً جديدة... ثم هو لا يجد لكل ذلك حلّاً... بقوله: (لست أدري)!!

جئت لا أعلم من أين... ولكني أتيت!!
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت..
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري!!

وفي الديوان، فضلاً عن هذه القصيدة التي ترتطم ببديهيات

الوجود البشري والمصير... قصائد من النوع المألوف... العادي، لا تتسم بسمة العمق والشاعرية والموسيقى الموقعة... وهي كثيرة في الديوان... وفيه ـ بعد ذلك ـ قصائد تجلّت فيها الروعة الفنية من حيث العمق والموسيقى والصور والظلال... وعلى رأس هذه القصائد تأتي (ابنة الفجر):

أنا إن أغمض الحمام جفوني وتعالى صوت مصرعي في المدينه

ويلاحظ ـ أخيراً ـ أن الشاعر أراد أن ينحو في أكثر قصائده منحى فلسفياً على غرار أبي العلاء... أي أن يكون فيلسوفاً شاعراً... فأبدع في قصائد ولم يبدع في الأخرى...

٣٠ آب

ما أروع الخيال... انه عنصر من العناصر التي تقوم عليها السعادة النفسية... إنه باب للخروج من الواقع المرير إلى عالم يخلو من المرارة والألم، وهو يلقي على الواقع الجميل أضواء وظلالاً تزيده روعةً وجمالاً...

وهو عنصر مهمّ من عناصر الإبداع الفني... فالفنان إن اتسع خياله وبَعُد؛ أجاد في أدائه وأبدع... وكم من الآثار الفنية الخالدة كانت قوة الخيال سبب بقائها وخلودها، بل كان هو عنصر وجودها قبل أي مؤثر آخر...

والخيال كذلك عنصر يقوم عليه الألم البشري، ويستطيع أن يغمر الإنسان في محيط مظلم... إلا أن طبيعة الإنسان وإدراكه؛ هما اللذان يتحكمان بفاعلية الخيال... فهو عند البعض مخرج من

محيط الألم المحض، وعنصر من عناصر الإنتاج الفني... وآلية في إلقاء الأضواء ورسم الظلال للواقع المجرّد... وعند الآخرين طريق يسيرون فيه لتمتلئ قلوبهم شقاء وأيامهم تعاسةً... فالأمر ليس سواء!!

٣١ آب

(أبو نواس) ترجمة أدبية لعبد الرحمن صدقي في سلسلة أعلام الإسلام... ويسير المؤلف في ترجمته هذه على أساس تاريخي، فيعرض لحياة «الحسن» منذ صغره وتعلمه في مكاتب البصرة، وولعه بالعلم والأدب، وحضوره مجالسهما في المربد ومسجد البصرة... إلى آخر حياته، حيث ألزمه المرض فراشه، ودفعه إلى قول الشعر في غرض جديد هو الزهد!! وهو خلال هذا العرض يستشهد بقصائد وأبيات للشاعر، كما يحلل شعره واتجاهه الاجتماعي والأدبي.

والحقيقة أن المؤلف أعطى صوة حية نابضة لأبي نواس هذا، فقد اتسم أسلوبه بطابع قصصي، ولم يغفل أية فترة من فترات حياته، حتى ولو دعاه ذلك إلى أن يعمل الخيال وحده... كما عرض لقصة ولادته، وحبّ أبويه... وعالج المؤلف شعر أبي نواس بصورة خاصة من ناحية المعاني والأغراض، أما الأسلوب والخصائص الفنية، فلم يتعرض لها... وما حاجته لذلك والذائقة الفنية هي التي تقرر وتصدر الحكم؟!

١ أيلول

ربما أحببت الخريف أكثر من الربيع، لأنني بطبيعتي أهفو إلى الذكريات، وأرى في عالمها نشوة... وأيّ نشوة! وما نسمات الخريف إلا روح هذه الذكريات. إن هذه النسمات تنقلني رغماً عني إلى عالم الذكريات التي لا تعود... إن في هذه الطبيعة التي خلقها الله ﷻ معين كبير لتفجير قابليات الإنسان وجعله أكثر عمقاً... وإيصاله إلى إدراك طبائع الأشياء وفلسفة الوجود... وإن لهذه الطبيعة أثراً كبيراً في الفن في مجالاته كافة... وما الطبيعة إلا جزء من الحقيقة التي يجهد البعض في الوصول إليها، وهي بدورها وسيلة لحقائق أخرى... وطريق إلى الله...

جاء الخريف... وإني أحسّ في كل نسمة من نسماته مزيداً من الإيمان بالله... ومزيداً من العمل في إدراك الحقائق... ومزيداً من المعرفة لأسباب الأشياء... فما الوجود إلا مجموعة من العناصر المرتبطة ارتباطاً خفياً أو ملموساً... لا يشذّ عن ذلك إلّا الوسائل في كونها مجرّدة ليس غير...

٢ أيلول

هنالك في هذه الحياة شخصيات تفجرت في أعماقها المواهب المختلفة... فأينما اتجهت وأنتجت، أبدعت في ذلك الاتجاه، وأجادت في ذلك الإنتاج... وهنا في الشرق لم تنعدم مثل هذه الشخصيات... فإذا غادرنا الأنبياء (عليهم السلام) بشخصياتهم المتعددة المواهب، وبخاصةٍ محمد ﷺ المثل الإنساني الأعلى...

لرأينا عبر التاريخ الكثير من تلك الشخصيات... وفي الوقت الحاضر نلمح أسماء نفر من هؤلاء الذين تعددت مواهبهم.

والحقيقة أن إعجابي بالأستاذ سيد قطب يعود إلى هذا السبب قبل كل شيء... فإن اتجاهه الإسلامي ليعدّ مثلاً من أمثال أولئك؛ الذين حملوا المبادئ بصدق وتوحّد وتفانٍ... أما إنتاجه، فقد أبدع فيه في شتى مجالاته سواء في النقد أو الأدب أو القصة أو الشعر أو الاجتماع أو فيما كتبه عن الإسلام من كتب تعدّ ذخراً ثميناً للثقافة الإسلامية...

٣ أيلول

(شرق وغرب) ديوان شعر للشاعر عليّ محمود طه، يطالعك فيه بصفحتين من صفحات الحياة: الموسيقى والحب والشوق والفن في الأولى... وصراع الشعوب الإسلامية والعربية من أجل تقرير المصير... ومن أجل البقاء ضد الطغاة المستعمرين في الثانية...

ومعظم قصائد هذا الديوان أُلّفت بُعيد الحرب العالمية الثانية، حيث عمّ السلام أرجاء أوربا، فقضى الشاعر سنة هناك، وجاشت قريحته بمعاني السلام من حب وأشواق، فكانت صفحته الأولى... ولكنه لم ينسَ موطنه وقومه... فقد ظلت الحرب تدور في أرجائه، وذلك بعد أن نكث الحلفاء العهود، وأرادوا ابتلاع الشعوب الصغيرة والكبيرة سواء... وكتب عن هذا الصراع العنيف ضد الجريمة والباطل، فكانت صفحته الثانية... في الأولى يقول:

نهزة أهدت الخيال إلينا ودعتنا لموعد فالتقينا

وفي الثانية يقول:

لا السيف قرّ ولا المحارب عادا ويح البشير بأيّ سلم نادى؟

٤ أيلول

إذا أرادت المدنية البقاء والتقدم، فوجب على الإنسانية أن تقضي على الشيوعية... وبالأمس هددت النازية والفاشية حضارة العالم وسلام الشعوب... ولكنها سُحقت وهي بعدُ لم تتجاوز الثلاثين من عمرها، وأصبحت الآن (موديلات) قديمة... كذلك الشيوعية... إن أي إنسان متحضر ومنطقي مع نفسه ومع الحقيقة يرى في الشيوعية (موديلاً قديماً)، وهي أخطر من النازية والفاشية على الحضارة وعلى سلام الشعوب؛ لأن مبدأها (الغاية تبرر الوسيلة). فهي في طريقها إلى السلام المزعوم تسحق جميع القيم، وتسفك الدماء، وتعيث في الأرض فساداً.

ولقد مر العالم بتجارب شتى حتّمت عليه سحق مبادئ وإنشاء أخرى جديدة... أو العودة إلى مبادئ أكثر إنسانية وتقدماً... والعالم أيضاً مر بتجربة شيوعية ذاق العراق جزءاً من أدرانها... فوجب عليه أن يقوم لسحق هذا الوباء الخبيث، وليقرر مبادئ إنسانية تستهدف التقدم بطبيعتها...

٥ أيلول

(الإسلام والدماء) لعبد الله السمان في (سلسلة الثقافة

الإسلامية)، وهو يحلل طبيعة الإسلام في نظرته للدماء، حيث يعتبر الإنسان بناء الله في الأرض ودليلٌ لوجوده تعالى... وقد أعطي العقل كدليل منطقي على ذلك... ويجب على الإنسان أن يسير في طريق غير طريق العجماوات، التي تقتل من أجل غريزة الجوع... أما الإنسان فإنه يقتل من أجل أهداف لا غرائزية...

ويأتي المؤلف على الأفراد الذين يبيح الإسلام دماءهم وهم: القاتل عن عمد... الزاني المحصن... المرتد... الباغي... المحارب العدو... الحربيون (قطاع الطرق)... ثم يقول إنه لا بدّ من سفك قطرات من الدماء من أجل الحفاظ على بحار منه... ويوضح منطقية الإسلام في إباحته لدماء هؤلاء الأفراد... وحتى هؤلاء فهو يفتح لهم مجال الحياة من جديد، بوسائل خاصة، كما أنه يتبع الطرق العادلة الطويلة لإثبات جرمهم... فالإنسان (بناء الله في الأرض... ملعون من هدم بنيانه)!

٨ أيلول

(الديمقراطية الإسلامية) للدكتور عثمان خليل في سلسلة (الثقافة الإسلامية)... صورة واضحة لديمقراطية الإسلام؛ التي وصلت المثل الأعلى في هذه الناحية... بينما لم تصل الديمقراطية الحديثة إلى القمة التي أوصلها إليها الإسلام، وذلك في ناحيتيها الاجتماعية والسياسية...

أما الاجتماعية فهي حكومة لصالح الشعب.

وأما السياسية فهي حكومة من الشعب، وتعتبر وسيلة لتحقيق

الديمقراطية الاجتماعية والعدالة الاجتماعية بما فيها التكافل الاجتماعي.

وهي تتحقق قبل كل شيء عن طريق مبدأ الشورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا﴾[الشورى: ٣٨]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا﴾ [آل عمران: ١٥٩] ويعرض المؤلف الصورة التاريخية الواقعية للديمقراطية الإسلامية في وجهيها الاجتماعي والسياسي.

حقيقةً إنها صورة واضحة ومقنعة... أجاد رسمها الدكتور عثمان خليل كلَّ الإجادة...

١٣ أيلول

(الله والعلم الحديث) للدكتور عبد الرزاق نوفل... يبحث فيه عن عظمة الله وقدرته المدهشة، عندما يعرض لطبيعة الكائنات الحية... المعقدة... العجيبة... التي لم تخلق صدفة... وهي كذلك دليل على وجود الله... كما يعرض الأدلة المطلقة التي تدلّ على هذا الوجود... وذلك تحت عنوان (الإعجاز العلمي للقرآن).

فقد سرد القرآن بعض الآيات العلمية التي لم يتوصل العالم إلى الحقائق التي جاءت بها إلا في العصر الحديث... وذلك دليل على أن القرآن جاء من عند الله... إذ إن محمداً ﷺ لم يكن بمقدوره اكتشاف تلك الحقائق التي لم يعرفها العالم إلا قبيل سنوات معدودات...

وهو في الوقت ذاته يقرر أن العلم والدين مرتبطان تماماً، بعكس ما تعتقده الرؤية الغربية العلمانية للدين... ويعرض المؤلف

في حنايا الكتاب أروع وأمتع القصص العلمية والنفسية والطبيعية... مما يجعل القارئ يعيش في أجواء الكتاب أياماً رائعة بلا شك...

١٤ أيلول

(وحدي مع الأيام) للشاعرة فدوى طوقان... الشعر الذي ينقل خلجات الأعماق ومشاعر الإنسان وأحاسيس النفس وعواطف القلب... حية على الورق... الشعر الذي ينضح بالموسيقى؛ التي تبعث لدى القارئ معانيَ الألم ونغمه الحزين، والتي تتماوج مع ذات المعاني التي يعزف لها... الشعر الذي يأتي ـ أحياناً ـ من وراء اللاوعي الإنساني، والذي تحسّ عند قراءته بأنك تشارك الشاعرة آلامها... وتلمس أعماقها وما يضطرب فيها... الشعر الذي يعبر عن أعمق معاني الوجود، والذي يربط الحياة بالطبيعة في وحدة متكاملة منبعثة عن إحساس وإدراك للألم البشري والنفسي على السواء... هذا الشعر هو الذي حواه ديوان (وحدي مع الأيام) بين دفتيه فكان إبداعاً مؤثراً وعميقاً...

١٥ أيلول

احتفل العالم الإسلامي اليوم بذكرى مولد نبيه العظيم محمد ﷺ ... أما هنا في العراق المنكوب، فقد أحدث رد الفعل أروع الاحتفالات بهذا اليوم، شهدها هذا القطر الذي شاءت الأقدار أن يشقى شعبه على طول الخط... وهنا في الموصل جرت الاحتفالات في كل مكان، حيث طغت روح إسلامية في أنحاء المدينة...

جرى احتفال كبير في جامع النبي شيت عليه السلام عصراً، لكنه لم يستمر أكثر من ساعة واحدة... فالخطبُ الحرّة والهتافات المعبرة ممنوعة في هذا العهد...

ومن ثم ذهبتُ وبعضَ الأصدقاء إلى مسبح (خالد فصولة)، حيث اجتمع هناك ما يزيد على الستمائة شاب مسلم... وقد كانت الجلسة رائعة والاحتفال منظماً، حيث ألقى بعضهم الكلمات والقصائد في ذكرى هذا اليوم وفي طبيعة الإسلام... وهكذا يجب أن يعلم كل من تسوِّل له نفسه باستيراد المبادئ، أن الإسلام، المبدأ الأصيل، له من يؤيده ويعمل من أجله، ويقضي على كل العقبات التي تصدّه عن المضيِّ إلى هدفه...

١٦ أيلول

حُكم اليوم بالإعدام على كل من ناظم الطبقجلي، ورفعت الحاج سرّي وداود السيد خليل، وعزيز أحمد شهاب، ورفاقهم... وناظم الطبقجلي هو أبو الجيش العراقي والشخصية العسكرية المثالية فيه... أما سرّي فهو أبو الضباط الأحرار ومؤسس الخلية الأولى في تنظيمهم الذي قاد ثورة (١٤) تموز... ذلك أن الطغمة المجرمة التي تحكم العراق اليوم كانت قد اغتصبت الثورة من أصحابها الحقيقيين، وعملت على سحق جميع الشخصيات القوية لكي تضمن بقاءها في السلطة... كذلك فإن هذه الهيئة الحاكمة يمثلها أشخاص ماتت فيهم روح الإنسانية، وملأت صدورهم عواطف الحقد الأعمى والحسد البغيض...

هذا بعض ما يستطيع الشعب أن يقوله تجاه هؤلاء الحكام... وهذه هي بعض الأسباب التي دفعتهم إلى إصدار هذه الأحكام... الحكام الذين استأثروا بما هو كائن، وسيفقدون ما سيكون!!

١٨ أيلول

(قبسات من الرسول) لمحمد قطب... وهو يعرض فيه لجانب من أحاديث رسول الله ﷺ، محلِّلاً إياها وموضِّحاً الآفاق التي تهدف إليها... وكل حديث يعدّ خصيصة من خصائص الإسلام وقيمة من قيمه...

وقد اختار المؤلف الأحاديث التي تقرر بأن الإسلام دين (مبدأ) جاء لينظم شؤون الحياة وشؤون القلب وشؤون الكون... سواء... وهو يعرض في كل اتجاه من اتجاهات الإسلام الاتجاه المقابل الذي سلكته أوربا...

وأروع ما حلّله المؤلف من الأحاديث هما حديث «**ادرؤوا الحدود بالشُّبهات**»، والذي يعرض فيه للآفاق الإنسانية التي بلغها الإسلام في الناحية القانونية من عدالة ومساواة مطلقتين... وحديث «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»؛ الذي يخص الناحية العلمية الفنية التطبيقية، ويردّ على أولئك الذين قالوا بأنه يخصّ التشريعات في هذه الحياة...

٢٠ أيلول

طوبى للشهداء الخالدين... طوبى للذين أسلموا أرواحهم لخالقهم في خضمّ من الصراع الشاقّ المرير بين قوى الخير

والشرّ في هذه الحياة... طوبى للذين وضعوا أرواحهم في أكفّهم ليضربوا المثل الأعلى في الجهاد في سبيل إحقاق الحقّ وازهاق الباطل... في سبيل الخالق العظيم ومبدئه الجبار والوطن الحبيب... طوبى لقادة الجموع نحو مسرح الإنسانية الكبير... الخارجين بهم من الظلمات إلى النور... السائرين في طريق الحقيقة الواضح المستقيم... طوبى لكم أيها الشهداء وأنتم تسمون...تسمون... في ملكوت رب السماوات والأرض وما بينهما... بين يدي ملك مقتدر... طوبى للذين أُعدموا فجر اليوم برصاص الخونة المجرمين، الذين أرادوا سحق الشعب... وويل لهم من غضبة الشعب يوم يغضب!

٢١ أيلول

(الله أكبر يا عرب، شباننا قتلوها) هتاف صارخ، ارتفع من أعماق القلوب المكلومة التي امتلأت بالحزن والألم... بالغضب والثورة... ارتفع في أنحاء العراق يعلن للعالم أجمع... وللعرب خاصة... أن شباب العراق... أن قادة العراق... أن أبطال العراق... أن الشمعات التي كانت تضيء للشعب معالم الطريق... إن المؤمنين برسالة الله والشعب، العاملين من أجل دينهم وعروبتهم... أن ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري... وإخوانهم... قد قُتلوا وذُبحوا... وأُطفئت الشمعات التي كانت تنير الطريق... أطفأها أولئك الحكام المجرمون، الذين يريدون إطفاء نور الله في الأرض، ويأبى الله ـ ولو كرهوا ـ إلا أن يتمَّ نوره...

هنا في الموصل انطلقت مظاهرة عظيمة تعلن للعالم عامة، وللعرب خاصة، أن شباب العراق وقادته قد قتلهم قاسمُ العراق وأعوانُه والشيوعيون... فويل لهم من ثورة يوم عظيم...

٢٢ أيلول

الخطوة التي أقدم عليها قاسمُ العراق وأعوانه بإعدام الثلاثة عشر ضابطاً من أبطال الثورة... جعلت العراق يغلي ويلتهب ويزمجر لقاسم... ولكن هذا أحاط نفسه في وزارة الدفاع بالدبابات والمدرعات خوفاً من غضبة الشعب...

أما المهداوي القذر، فقد هرب بالطائرة إلى الصين الشعبية بحجة حضور الاحتفالات هناك... وقد طُوقت الأعظمية بالدبابات والجنود لمجابهة تظاهراتها الحاشدة...

وهنا في الموصل، انطلقت يوم أمس تظاهرة قوية ابتدأت من رأس الجادة فالساعة فباب الجديد فشارع السعدون فساحة الجمهورية فشارع غازي فشارع نينوى... تماماً كما كانت التظاهرات تقوم عندما يقدم نوري السعيد على خطوة لتكبيل الشعب وأسره... إلا أن التاريخ يعيد نفسه، وأن قاسم العراق يمثل الآن دور السعيد، ولكن على مسرح آخر تملؤه الأضواء الحمر القادمة من بعيد... من الكرملين...

٢٤ أيلول

لم يختلف النقاد في شخصية أدبية كما اختلفوا بالشاعر أحمد

شوقي وإنتاجه الشعري والروائي... وكان هذا الاختلاف متباعداً أشدّ التباعد... يمثله قول الفريق الذي يرى فيه شخصية شعرية متميزة، بأنه «أمير الشعراء» والفريق الآخر بشاعر الأمراء... وعلى هذا الأساس يذهب كل فريق في نقده لأحمد شوقي... والشيء المؤسف في هذا كله، أنه نقد يبتعد أحياناً عن صفته الموضوعية المنهجية... فيعرض خصومُه لأخطائه فقط. دون أن ينظروا إلى غير تلك الأخطاء... والذي يقرأ نقد هؤلاء يظنّ لأول مرة أن شوقي لا يستحق أن يكون شاعراً شهيراً إلى هذا الحدّ... بل لا يستحق أن يكون شاعراً له اسمه وشخصيته المستقلة المتميزة... حتى إن أحدهم ادّعى بأن أحمد شوقي دفعه إلى معارضاته لكبار الشعراء مركبُ النقص الذي ملأ عليه حياته ونفسه... أما أنصاره فإنّهم رفعوه إلى منزلة الإمارة حيث المبالغة والهوى...

٢٦ أيلول

أصحاب المواهب المتدفقة القوية؛ الذين يستطيعون أن ينتجوا في جميع فروع الفن والفكر... هؤلاء عندما يركزون إنتاجهم على فرع من فروع الفن أو الفكر؛ فإنهم يبدعون أشد الإبداع ويصلون إلى درجة كبيرة من الاهتمام والشهرة عند أولئك الذين يقدّرون الإنتاج المتميز.

ومنهم من يدع هذه المواهب تنتج ما تريد في جميع المجالات... وهم ـ لعمق مواهبهم هذه ـ يبدعون في أي مجال من

هذه المجالات، لكنهم مع ذلك لا يصلون إلى درجة العبقرية والنبوغ في إحدى هذه المجالات؛ كما يصلها صاحب الإنتاج المتخصص.

ولقد رأينا الروائي نجيب محفوظ يصل القمة في إنتاجه الروائي، ويبني في ذلك أروع القصص التاريخية والواقعية على السواء، بغضّ النظر عن مضامين تلك القصص... ونرى العقاد ينتج في جميع المجالات فيبدع، لكنه لا يصل إلى درجة العبقرية في أي مجال من هذه المجالات التي يمارسها... ومع ذلك فإن هناك من نبغوا في مجالات شتى رغم تعددها .. ولكل قاعدة شواذ.

٢٧ أيلول

(في تيار الحياة) مجموعة أقاصيص لأمينة قطب، تعرض فيها لحياة القرية المصرية وعاداتها وتقاليدها... وتدهورها وانحطاطها... ففي قصة (اللقاء) نرى (محمود) يحب ابنة خالته ويطلب يدها... إلا أن انتشار قصة حبهما في أنحاء القرية يدفع أباها إلى تزويجها من شخص آخر؛ لأن الحب هناك عارٌ يجب طمسُه بسرعة... فتثور ثائرة محمود، حتى ليكاد أن يقدم على الانتقام ممن سلبه أغلى أملٍ له في الحياة، ولكنه مثقف لا تخدعه تقاليد القرية فيضحّي بحبِّه ويسافر إلى الإسكندرية... بينما هناك في القرية يعتبر أهل الفتاة انسحابه هزيمة، وأنهم انتصروا في ميدان الشرف والكرامة... وتدعوه حبيبته في حلم... بعد أن ماتت نتيجة تعذيب زوجها لها، والذي اعتبره أهل القرية عملاً بطولياً لغسل العار الذي نتج عن قصة حبهما.

في ذلك الحلم تدعوه لأن يزورها في قبرها، ذلك المنزل الجميل، وعندما ذهب إلى المقبرة خارج القرية، واقترب من القبر... ونادها: بهية!! إذا به يخرّ صريعاً بعد أن يخترق الرصاص صدره... فقد ظن زوج الفتاة وأهلها أن محمود سيسرق رفاتها امتهاناً لهم!!

٣ تشرين الأول

(أفيون الشعوب) أو (المذاهب الهدامة) للعقاد... يعرض فيه للمذاهب التي تهدم سواء في الناحية الاجتماعية أو الأخلاقية أو الأدبية...

ففي الناحية الاجتماعية يعرض للشيوعية، المبدأ الهدام... ويبين عوامل الهدم في هذا المبدأ ونتائجه... من بين ذلك أنها تحطّم العائلة والوطن والدين كخطوة من خطواتها... بينما تعدّ هذه المؤسسات تراثاً إنسانياً كوّنه الإنسان في صراعه الطويل مع الحياة ومع ظروفها الشاقة... فكأن الشيوعيين أعداء للإنسانية لأنهم من غير بني الإنسان!!

وفي الناحية الأخلاقية الفردية يعرض لفكرة الوجودية، ويقرر أنها فلسفة صالحة إذا لم تغفل مزايا النوع وتعمل في نفس الوقت لإسعاد المجموع... وأنها هدامة إذا أطلقت الحرية العمياء للفرد، واعتبرته هو الوجود والنوع لا وجود له، فيكون انطلاقه هذا على حساب المجموع...

وأما في الناحية الأدبية فيأخذ المدرسة الرمزية ويقرر نواحي صلاحها ونواحي فسادها وهدمها.

٧ تشرين الأول

وصلنا بغداد واستأجرنا سيارة أوصلتنا إلى الكلية، ونزلنا هناك في الساحة المجاورة للقسم الرئيسي... وبقينا هناك في انتظار فتح الأقسام الداخلية لنختار لنا إحدى الغرف... في هذه الاثناء ونتيجة لتعب القطار، وعدم نومي في الليل إلا دقائق معدودات؛ أحسست أن رأسي يكاد يفرغ من كل شيء... وأن الهواء وحده هو الذي يحتلّ جوانبه، ولم أعد ـ وما أصعب ذلك ـ أحقق نفسي أو أشعر بوجودي... لم أستطع أن ألمس ذلك... كنت أحسّ أن وجودي غير ملموس وأني أعيش في حلم... وأني لا أستطيع أن أفكر بشيء أبعد مما أنا فيه أبداً، كأن لم يكن هناك فكر... وكانت نظراتي الشاردة تدلّ على ذلك...

في هذا اليوم بالذات... وبينما كان قاسم راكباً سيارته إذ أطلق عليه الرصاص من مجموعة رشاشات في إحدى مناطق شارع الرشيد... ثم منع التجوال بعد ذلك... ولكن قاسم لم يسلم الروح!!

١٢ تشرين الأول

الإنسان... لو ملأتُ صفحات هذه المذكرات عنه لما أوفت حقّه... فأنا عندما أكتب عن نفسي أكتب عن الإنسان... عندما

أكتب عن الماضي أكتب عن الإنسان... لأن الإنسان جزء من الزمن والزمن جزء من الإنسان... والمستقبل عندما أكتب عنه أكون قد كتبت عن الإنسان... النفس... الفكر... مجالات واسعة هي من صميم الإنسان، والكتابة عنها هي الكتابة عن الإنسان...

لو درسنا التاريخ الكامل لإنسان ما... التاريخ الذي يشمل تكوينه النفسي وجميع تطوراته وتفاعله وفكره... وجميع تدرّجه في سلم المعرفة الصاعد... وجسده... ورغباته... وأيامه، ماضيها بذكرياته وحاضرها بسعادته وألمه ومستقبلها باحتمالاته التي تكمن في اللاشعور وتكون الأساس الأول للقلق الإنساني... والأمل...

لو درسنا كل شيء عن هذا الإنسان... لقلنا بعد ذلك إنه دليل كبير... كبير... على وجود خالقه العظيم... العظيم...

١٦ تشرين الأول

يتسم الإسلام بالمرونة... فهو يرسم الخطوط العريضة لجميع أنظمة الحياة: نظام الحكم، الاقتصاد، الاجتماع، العلاقات الدولية، التربية والتعليم... الخ... ويدعُ التفاصيل والوسائل التي تهدف إلى الغايات... يدعُها فالزمن والتطور التاريخي هما اللذان يقرران ذلك، ما دام الأمر لا يغير في طبيعة الأهداف الثابتة التي ترتكز عليها الإنسانية...

فمن الخطوط الثابتة العريضة في نظام الحكم مثلاً مبدأ الشورى والعدالة... ولتختلف وسائل الحكم بعد ذلك حسب تطور التاريخ والمجتمع والأشياء... ليكون هنالك أهل الحل والعقد... أو

المجلس النيابي... أو مجلس العموم... أو... أو... ليكن هنالك رئيس للجمهورية يملك السلطة الفعلية... أو رئيس وزراء يملك هذه السلطة ما دام يستشير فيعدل.

١٧ تشرين الأول

الوجودية هي تقرير لسلوك الفرد في عالم الضمير... في العالم الداخلي... في عالم النفس... وبعد حدوث صدمة نفسية قوية يقف الإنسان في نظر الوجوديين في مفترق الطرق... حيث يتوجب عليه أن يختار لنفسه طريقها في الحياة... ذلك السلوك الداخلي الذي يؤثر على المظهر الخارجي فيتضح للجميع... والوجودية فلسفة تحوي في أساسها عنصر الاتجاه المتناقض؛ لأنها تستند على اختيار الإنسان لطريقه بعد حدوث تلك الصدمة... فهي من ناحية تقرر السلوك معتمدة على الصدفة المحضة من جهة، ومن جهة أخرى على طبيعة نفس الفرد وطبيعة تفاعلها.

لا يوجد هنالك نوع... النوع ينتفي في الفلسفة الوجودية... الفرد هو الموجود فقط... ولكل فرد اتجاه يختلف تماماً عن اتجاه الفرد الآخر... والفائدة التي يستطيع بها الوجودي أن يزجيها لغيره هو المثل الذي يضربه في تقرير وجوده (سلوكه الداخلي)... والوجودية ـ بعد ـ انتشرت في فرنسا كردّ فعل للجماعية؛ التي تستند عليها الفلسفة المادية الشيوعية؛ التي أذابت كيان الفرد في خضمّ الجماعة... ومن أعلام هذا المذهب سارتر وكيركجارد...

١٨ تشرين الأول

(شبهات حول الإسلام) لمحمد قطب... يعرض فيه للشبهات التي أثارها القوم هناك في أوربا، وتبعهم في ذلك العبيد هنا في الشرق... ويفند هذه الشبهات بأسلوب علمي موضوعي... عارضاً لنظام الإسلام في كل موضوع أثيرت حوله هذه الشبهات، وهي: الإسلام والرق، الإسلام والإقطاع، الإسلام والرأسمالية، الإسلام والملكية، الإسلام والطبقات، الإسلام والمرأة، الإسلام والصدقات، الإسلام والمثالية، الإسلام والشيوعية، الإسلام والحضارة، الإسلام والرجعية، الإسلام والكبت، الإسلام وحرية الفكر، الإسلام والطائفية، الدين أفيون الشعوب...

وأخيراً وتحت موضوع (كيف السبيل؟) وبعد أن يقرر بأن الإسلام هو خير مبدأ في الكون، فضلاً عن الحياة... يسأل: كيف السبيل إلى الوصول إلى إقرار هذا المبدأ في واقع الحياة؟... فيقول: لا يصلح هذا الأمر إلا بما صلح به أوله... الإيمان... القوة الجبارة التي تدفع أي شيء في طريق الحياة وتحوّله إلى واقع ملموس.

١٩ تشرين الأول

الماهية أو النوع سابقة ولا شكّ للوجود. وهي الفلسفة التي تتفق وفكرة الإسلام عن الإنسان والحياة... الخالق ﷻ أراد أن يخلق نوعاً... إنساناً وليس فرداً مجرّداً... إذاً لخلق آدم وحده، ولم يخلق معه حواء، ويخلق الوسيلة المفضية إلى إيجاد النوع

الإنساني... قبل أن يخلق أراد وكانت إرادته تتجلى في إنسان يتكاثر، ولم تكن تتجلى في فرد مطلق محدود في ذات الوقت... وفي الفلسفات المادية فإن الوجود سابق للماهية. فإذا افتقد عنصر الحياة المستقل وأخذت بنظر الاعتبار نظرية تطور الفرد، لكان مصدر الإنسان هو المادة... والمادة ولا شكّ هي وجود قبل أن تكون ماهية... وعن صدفة محضة وجد الإنسان وتطور عن غير قوة مسيطرة خالقة عالمة... لا بدّ في هذا المنظار أن يكون الوجود سابق للماهية... في عالم المادة تصنع الأشياء... تصنع الأنواع من المواد الخام... المادة الخام وجود بالنسبة للمادة المصنوعة... والإنسان مادة، حيث تنتفي الروح ابتداء... فهو وجود قبل أن يكون ماهية... وهي نظرة خاطئة من الأساس.

٢٠ تشرين الأول

الغرفة التي أسكن فيها هذه السنة في القسم الداخلي، تختلف في أجوائها تماماً عن غرفة العام الماضي... نحن الآن اثنا عشر طالباً من فروع شتى... يسود الغرفة من الثامنة مساء حتى الحادية عشرة هرج ومرج وضحك وصياح... وتخيب الأصوات المنادية بمنهج للدراسة يُلزمنا بالهدوء والصمت ساعتين مثلاً .. ويخيب كل من يدعو الجماعة إلى أن تكفَّ عن صراخها المضحك لكي يدرس... وبما أن هذه الأيام هي الأولى بالنسبة للدوام؛ فإن الكثيرين يحبذون هذا الجو الممتع المبتهج... المشاحنات معدومة تقريباً لأن عدد الطلاب مرتفع وهكذا تضيع... ولم يحدث ما حدث في الماضي،

عندما كنا ستة طلاب، وكان الجو كثيراً ما يعكّره ويسممه الجدال السخيف والمشاحنات الكريهة... ومهما يكن من أمر؛ فإن طبيعة الحياة في هذه الغرفة تختلف تماماً عن طبيعتها هناك... وأعتقد أنها ستكون أكثر صفاء وأعمق مودة... بإذن الله...

٢١ تشرين الأول

(قالت لي السمراء) ديوان شعر للشاعر نزار قباني... في رأيي إن امتزاج الفن بالألم الإنساني امتزاجاً قوياً متفاعلاً... يخلق الأشياء المثلى في عالم الشعر والرسم... إلى آخره... إن تكافؤ هاتين الناحيتين، بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى، فتخلّ بالتناسق الذي يدفع إلى أعماق الإنسان حزمة من الانفعالات والمشاعر، وإلى الفكر كثيراً من الإعجاب والإكبار...

في ديوان (وحدي مع الأيام) لفدوى طوقان رأيت هذا الامتزاج بعينه، فارتفعت بمشاعري إلى آفاق المثل الفنية العليا...

ولكنني أستدرك فأقول، بلى هنالك قصائد كثيرة في هذا الديوان اختلّ فيها التوازن وطغى الألم... هنا في ديوان القباني قصائد كثيرة طغى فيها الفن بصورة ملموسة... بل - في قصائد أخرى - كثيرة أيضاً أخرج الألم الإنساني من حسابه، رغم أن سعادة الأعماق هي بذاتها ألم إنساني رفيع...

٢٧ تشرين الأول

كان يجب علينا... ويا للسخرية المرّة... أن نقف بين الحين

والآخر، وسط الشوارع والحارات ونسطر ما تفور به نفوسنا وتضطرب... فالانفعالات التي تتفاعل في نفوس الكتاب... كثيراً ما تحدث وهم سائرون عبر الطرق... هنالك يدفعهم شوق شديد للكتابة... للتعبير... للإبداع... لتصوير ذلك الإحساس بعمق... كان يجب علينا ذلك... ولكنه سرعان ما يتبدّد... تذهب الانفعالات وتموت... تذهب المشاعر المشتعلة وتموت... يذهب الإحساس العميق ويموت... يذهب التأمل اللذيذ المؤلم ويموت... يذهب ويموت كل شعور يدفع الإنسان الشاعر للكتابة والتعبير وتصوير مشاعره بالكلمات ونقلها حيّة على الورق... وهي تختلج وتتنفس...

لكننا عندما نأتي هنا... ونجلس لنكتب... عن المشاعر ولنستثيرها كي تبدع...

فإننا، ولأقولها بصراحة، سنتكلف في أكثر الأحيان... فهذا الذي يؤلمنا أشد الألم... فكيف السبيل؟!

٤ تشرين الثاني

نقطة... ومنها تتدرج صعوداً ونزولاً... منها تبدأ رحلة الصعود في درجات الجمال والكمال... ومنها تهبط إلى مراحل القبح والنقص والانحطاط... في كل شيء من هذه الحياة تتمثل تلك النقطة... ولو عرضت لجمال المرأة مثلاً لرأيت الجمال الكامل... السماوي... ولرأيت القبح المنفّر الدميم... وبينهما مراحل تبتعد عن القبح من جهة وهي في طريقها إلى الجمال، وتبتعد عن الجمال من جهة أخرى وهي في طريقها إلى القبح...

وتلتقي هذه المدرجات في الوسط حيث تقف حائراً لا تستطيع أن تقول: هذا جمال رائع، ولا تستطيع أن تقول: هذا قبح منفر... لا يجذبك أي شيء آنذاك... هنالك تتجلى تلك النقطة: نقطة الوسط...

وهكذا الحياة... حركة دائبة بين الأشياء وبين البشر... جماعات تصعد في طريق الكمال وأخرى تهبط إلى الحضيض... والويل كل الويل لمن لا يدرك أنه ينحدر سريعاً، أو يقف عند تلك النقطة الوسط في هذه الحياة!!

٦ تشرين الثاني

كان يوماً مغبرّاً قاتماً... امتلأت السماء بغبار حجب نور الشمس، وجعل الأحياء تتحرك وسط بحر من ضباب رملي... ربما أحسست وأنت تسير بمفردك أن لا أحد من البشر يسير معك في هذا الطريق... ربما سيطر عليك شعور غريب بأنك يجب أن تسحق كل شيء، وبأن ميلك نحو الأشياء قد امّحى تماماً... وبأنك لا تحسّ بأية رغبة تدفعك إلى شيء معين... وهكذا عدت إدراجي عبر هذا الجو؛ الذي اقتحم على الطبيعة بمعان لم تحملها في يوم من الأيام... ووضعت رأسي على الوسادة... وكاد الألم يفتّت فؤادي... وكاد الضجر يخنقني... وكاد اليأس... لست أدري ماذا أقول... أردت أن أنام لأنسى كل شيء، ولو لم يكن هناك أشياء البتة... لم يكن أي شيء... وإنني أردت بنومي هذا أن أتخلص من اللاشيء الذي ملأ نفسي بمعان لم تحملها في يوم من

الأيام... ورحت في إغفاءة قلقة، حتى هي كانت غريبة شاذة... إيه يا حياة... ما أقساك وما أشقّك!!

١٠ تشرين الثاني

الحقيقة... عندما يستطيع الإنسان أن يدرك خطوطها العريضة فقد حقق وجوده على الأرض في هذه الحياة وفي السماء في حياة الأبد... وجود الإنسان ضخم، لكن عقله يستطيع إدراك ضخامته عند إدراكه للحقيقة... لم يأت هذا الإدراك من ذات العقل فحسب، وإنما اعتمد في أساسه على الخطوط التي رسمها الخالق في كتابه الخالد: القرآن...

إن هذا الإدراك، هو الأساس... ومن ثم يشيّد الإنسان الذي يريد أن يصل... وأن يقف على شرفات الحقيقة ليحقق كيانه... إدراكه للحقيقة على هذا الأساس... وهنا يشتغل العقل مرةً أخرى... في المرة الأولى أراد أن يبدأ وكان أمامه القرآن... وكان العقل طريقه إلى ذلك... حتى هذه البداية تستند على خطوات سابقة... ففي مجال الفطرة يؤمن الإنسان بمبادئ الحقيقة دون أن يدركها، فكأنه إيمان سلبي!! وعندما يستعين بالعقل ويدرك، يتكامل إيمانه ويأخذ صفة الإيجاب... ويعرف الإنسان، فيحقق وجوده!!

١١ تشرين الثاني

الحركات الصغيرة المتناهية في الصغر يضبطها قانون... الحركات الكبيرة التي يعجز العقل المحدود عن إدراك أبعادها، يضبطها قانون... الله وحده ﷻ هو الذي يضبط الحركات

الصغيرة المتناهية بقانون... الله وحده ﷻ هو الذي يضبط الحركات الكبيرة بقانون... الله وحده ﷻ هو القوة المطلقة التي تسيطر على الأشياء فتحركها وتضبطها بقانون...

الإنسان محدود... محدود في إدراكه... محدود في تخيّله... محدود في إحساسه... هو لا يدرك الأبعاد إلا بحدود... وعندما تبعد أكثر يعمى الإنسان... ينحدر أمام العماء المطلق والحدود البعيدة...

في الكون ليس ثمة مادة... أعني ليس ثمة أساس موحّد للوجود من المادة... إنما هي الحركة أساس الوجود... أساس الماديات كلها... والضبط المسيطر على هذه الحركة هو التكوين المادي للظواهر والأشياء... هذه الحركات الصغيرة المتناهية هي قانون الوجود المادي... والحركات الكبيرة اللامتناهية هي قانون الوجود الكوني... والأرض ذرّة في خضمِّها!!

١٤ تشرين الثاني

عندما تقلق... وعندما تسأم... وعندما تسيطر عليك معاني اليأس والقنوط... وعندما تريد منفذاً لروحك، تخرج منه إلى عالم السعادة والنور، فلا تجده... وتشعر بأنك ستفتقده إلى الأبد... عندما تنظر إلى الحياة بمنظار أسود قاتم... تكون حينذاك قد رسمت لنفسك خطوط الألم الذي تحيا فيه الأيام الطويلة... الكئيبة... المملة...؛

عندما تفتقد الأمل في أشياء كبيرة... وأشياء صغيرة؛ لأن

طبيعة محيطك تحوّل الآمال إلى أشياء مخيفة مظلمة... تكون حينذاك كمن ركب سفينة عبر البحار فأظلمت الدنيا... غيوم فوق غيوم فوق غيوم... ومركبك تتقاذفه هوج الرياح تحسّ تماماً بأنك قريب من الموت... يهزّك القلق... ويحيطك الفراغ النفسي الهائل... وترى فجأة إلى الغيوم تذوب وتتلاشى في كبد السماء، ويلمع بصيص من نور... وتطلع الشمس بكل جلائها... وتصبح هوج الرياح نسيماً عذباً رقيقاً... هكذا ومن وراء اللا شعور تحسّ ذلك الإحساس الذي ينقلك فجأة إلى عالم النور والصفاء والحياة... تماماً كذلك المركب الذي أخذ طريقه نحو شاطئ الأمن والسلام...

١٩ تشرين الثاني

كانت سفرتنا الطلابية اليوم إلى جنوب العراق شاذة بمعنى الكلمة... فقد اعترضتنا العقبات منذ الصباح حتى المساء... قررنا السفر في الساعة السابعة ولم تأت السيارة إلا في الثامنة... وفي إحدى الشوارع كانت ثمة سيارتان قد اصطدمتا فأدى ذلك إلى توقف حركة المرور أكثر من ساعة، وعندما استأنفنا المسير وبعد نصف ساعة أصيبت السيارة بعطب اضطرها إلى الوقوف، ونزلنا وانتظرنا باصاً آخر ليوصلنا إلى الحلّة على الأقل... وجاء باص وركبنا فيه لكنه لم يسر أكثر من نصف ساعة حتى نفد بنزينه، فاضطر إلى الوقوف واضطررنا إلى النزول وانتظرنا باصاً آخر... وجاء وركبنا حتى وصلنا الحلّة... وهناك ركبنا باصاً آخر...

وبعد وصولنا الكوفة نزلنا وتناولنا الغداء ثم غادرناها إلى النجف... وعند العودة تأخر الباص قبل أن يتحرك حوالي الساعة، وتأخر بعض الطلبة... وعندما تحرك لم نجد لنا مكاناً فيه فاضطررنا إلى تأجير تاكسي أوصلتنا إلى الحلّة، وهناك استبدلناها بالباص نفسه بعد أن تركه بعض الطلاب... وعدنا إلى بغداد وقد انتهت فترة التجوّل وبدأ المنع... وبعد رخصة من آمر الموقع تحرك الباص باتجاه الداخلي... وهكذا وصلنا ونحن في أقصى حالات التعب والقرف والإرهاق!!

٢٠ تشرين الثاني

حقيقة الحياة تكمُن في الإحساس بها... في التفاعل الحيّ في أعماق الإنسان... في الشعور بعمق بالإحساسات المختلفة، المتناقضة التي تخلقها وتثيرها... ثمة أشياء يصل إليها الشاعر والفيلسوف... أعني يصل إلى أعماقها... فإما النواح وإما السرور الباسم... وإما إحساسات سريعة يعبّر عنها الإنسان بردود الفعل التي تأخذ مظاهر شتى، ويجهد في أن تكون أقرب ما تكون من تلك الإحساسات...

وترى إلى الإنسان الشاعر الفيلسوف يحسّ فتلمع في رأسه فكرة وتنفجر أعماقه بالموسيقى... ذلك هو الشعر الحي... حيث تنبع الفكرة في ذات الوقت الذي تعزف فيه الأعماق موسيقى هي أقرب ما تكون إلى الحياة... وترى إليه يغرق في نشوة يمتزج فيها كل ما هو حي، يرفع الإنسان من حضيض الإحساس الميت إلى

سماء الشعور الحي المتفجر من الأعماق... ترى إليه يغرق في إحساسه المؤمن المحبّ الباسم...

الحياة هي الشعور بالحياة... والموت هو عدم الشعور... والإنتاج الفني يتأرجح بين الموت والحياة، عندما ينفجر عن هذا وعندما يتكلّفه ذاك!!

٢٣ تشرين الثاني

استيقظت صباح هذا اليوم ونظرت من النافذة فإذا بالسماء تحجبها الغيوم، وإذا بالمطر الشديد يتساقط، وإذا بي في يوم من أيام الشتاء... ولست أدري لماذا أحبّ هذا الجو كثيراً... ربما كان ذلك لذكريات رسبت في أعماقي فأصبحت جزءاً من كياني... وربما كان ذلك لآمال شتى يبعثها في نفسي هذا الجو... وربما ذكرت ـ بصورة لا إرادية ـ مجموعة من الأيام المتميزة في حياتي، والتي عشتها بكل جوارحي، فكانت أيام تفتحي للحياة... وأيام معرفتي الألم... وأيام شعوري بتلك الأحاسيس الحية التي تبعثها في مشاعر الكتاب والشعراء الذين قرأت لهم في تلك الأيام...

أيام قرأت (ماجدولين) للفونس كار، و(رسائل الأحزان) للرافعي، و(صوت أبي العلاء) لطه حسين، و(الأجنحة المتكسرة) لجبران، و(الجداول) لأبي ماضي، و(إبراهيم الكاتب) للمازني، و(البؤساء) لهوجو، و(المدينة المسحورة) لسيد قطب، و(راقصة المعبد) للحكيم... أيام قرأت لهم ولغيرهم في مثل هذه الأيام من صميم الشتاء...

٢٥ تشرين الثاني

غداً انتخاب لجان اتحاد الطلبة في جميع المدارس والمعاهد والكليات... وقد جرت اليوم بصورة خاصة حملة واسعة النطاق للدعاية للقوائم التي تقدمت لهذا الغرض... وقد قررت الجبهة الطلابية الموحدة الاجتماع في قاعة الكلية، لتوضيح أهدافها وللتعرف على مرشحيها... وجاءت الساعة الواحدة ودخلنا القاعة... لم نكن نظن قبل هذا اليوم أن هناك عدداً ضخماً من الأفراد المعادين للشيوعية في كليتنا... ولكن هذا اليوم أثبت لنا عكس ذلك...

فبعد مرور خمس دقائق على دخولنا القاعة امتلأت بالطلاب والطالبات... وعندما علم الشيوعيون بذلك، وكانوا مجتمعين في حديقة الكلية يطبّلون ويزمّرون لقائمتهم الديمقراطية الموحدة، استاؤوا كثيراً، وأصيبوا بصدمة إذ أنهم لم يكونوا يعلمون بوجود هذا العدد الكبير... وبعد افتتاح الاجتماع كان الشيوعيون قد ملؤوا القاعة وأطرافها... وقد ألقى بعض الطلبة كلمات وقصائد قوبلت بالتصفيق الشديد والعاطفة الحارة... وهنا ثار الشيوعيون وعادت إليهم طبيعتهم الوحشية، فراحوا يهتفون هتافات سياسية حمراء... عند ذلك غادرنا القاعة وتركناهم يولولون...

٢٦ تشرين الثاني

عندما دخلت فناء الكلية في طريقي إلى المطعم كان الطلاب يتجمهرون هناك... وكان بعضهم يهتف وبعضهم يصفق... وبعد أن

فطرت جئت إلى حيث يتجمهرون، وبعد قليل بدأ الانتخاب ولم ينته إلا في الساعة الواحدة... غادرنا بعدها الكلية إلى الداخلي، ومن هناك ذهبت لأستفسر في كلية الآداب عن نتائج الانتخابات... وكانت النتيجة القاسية التي لم نكن نتوقعها بأية حال من الأحوال كانت بانتصار القائمة الديمقراطية في أغلب الكليات... وتساءلنا عن السبب... في داخل القاعات لم يحدث أي تزوير... هذا ما قلناه... لم يكن إذن إلا تلك الطرق التي اتخذتها تلك القائمة بمساعدة الحكومة، والتي أدت بالتالي إلى انتصارهم... انتصار الشيوعيين الذين يتسترون بالديمقراطية وهي منهم براء...

أما الجبهة فقد حصلت على نسبة رائعة قياساً على هذه الظروف... حصلت على الثلث... إن هذا لا يعني أن أكثرية الطلاب هم من الشيوعيين... أبداً... أبداً... إنما يعني بل يحقق المثل القائل بأن الرعاع هم الذين يعملون أبداً على الظهور بمظهر المؤيد للسلطة ومؤسساتها مهما تقلبت السلطات وتغيرت مؤسساتها...

٢٨ تشرين الثاني

ما أبرد هذا الجو... إنه يجعلنا نرتجف كالأغصان... إن البرد ليتغلغل في العظام حتى يحسّ الفرد أنه ثقيل جداً... إنه لا يستطيع أن يتحرك... كنت أسير في أصيل هذا اليوم في طريقي إلى الداخلي، وأنا أعاني من البرد الشديد، حتى إذا وصلت وتناولت عشائي... جلست لأقرأ بعض الصفحات... لم يكن في الغرفة سوى خمسة من الطلاب... وبعد قليل جاء الآخرون...

وبدأت الضجة... فهذا يغني وهذا يتكلم وهذا يضحك... و... و... ثم يصبح الشاي جاهزاً فيركض الجميع نحو المنضدة وبيد كل منهم كوبه ليملأه...

في الساعة التاسعة نكون قد جعنا... وذلك لأننا تناولنا وجبة العشاء في ساعة مبكرة... فيذهب أحدنا إلى أقرب بقال، ليشتري له ما يسدّ به رمقه حتى صباح اليوم التالي، ويفعل الآخرون ما فعله الأول.

حتى إذا شارفت الساعة على الحادية عشرة كان بعض الطلاب قد غطّ في نومه، وأما الباقون فتأخذهم السكينة، فمنهم من يدرس، ومنهم من يستنسخ... وأجلس أنا هنا على سريري أسجل هذه المذكرات.

٣ كانون الأول

اليوم خرج قاسم من المستشفى عائداً إلى مقره في وزارة الدفاع... جرت احتفالات بسيطة في الكلية، وذهبت أنا إلى المكتبة لأدرس تحضيراً لإحدى الامتحانات الشهرية... وخرجت لأرتاح قليلاً ثم أعود إلى الدراسة من جديد... فوجدت أحد الأصدقاء هنالك، فخرجنا سوية من الكلية وأخذنا نتخطى على السدة تحت أشعة الشمس الدافئة... وكانت مئات الصرائف تمتد بمحاذاة السدة... يخيم عليها البق والعفن وتحيطها المياه الآسنة... وترى إلى الأطفال بلون الوحل يخوضون فيها في طريقهم إلى بيوتهم... وإلى أمهاتهم اللواتي لا وقت لديهن لكي يمنحن أطفالهن قليلاً من

الحنان... انما ذهبن لكي يجففن غائط البقر لاستخدامه وقوداً للطعام... والرجال ذهبوا إلى أماكن عملهم ليكدحوا ويحصلوا بعرق جبينهم على المال القليل الذي يسدّ رمقهم... ورمق أطفالهم الجائعين...

بينما هنالك في القصور، حيث الحياة المترفة... ليس ثمة جهد أو عمل... فكل شيء جاهز... حتى الطعام هنالك الخادمات اللواتي يقمن بطبخه حتى لا تتكلف السيدات!! إننا نهتف من أعماقنا بإصلاح هذا الوضع... وبالتقليل من هذا التناقض... ليس كما يريده الشيوعيون... وانما كما تريده الإنسانية ومبادئها الحقة!!

٤ كانون الأول

بينما كان عدد غفير من الناس يقفون على جانبي شارع الرشيد، ليروا إلى المسيرة تشق طريقها فيه، معربةً عن الابتهاج بسلامة الزعيم... كنت أنا في بيت أحد الأقرباء أشاهد ذلك في التلفزيون... نصف ساعة ودب الملل في أوصالي... واستمرت المسيرة هذه اثنتي عشرة ساعة تقريباً... وحسبها أكثر الناس تعبيراً مطلقاً عن فرحة الشعب بنجاة زعيمه... ولكني أقسم لكم أن هؤلاء هم الذين هتفوا (نحن جنودك يا سلام) وعندما توارى سلام وراء قضبان السجون هتفوا من أعماقهم الشاذة: أعدمْه يا كريم أعدمْه!! ولم يعدمْه كريم، وبقي عبد السلام حتى الآن هنالك وراء قضبان المعتقلات، يعجب للحياة هذه التي يحياها الشعب هنا في العراق...

هم الذين ملؤوا شوارع بغداد زينةً وأهازيج عندما توّج فيصل قبل سنين... وقبل أيام قليلة، وعندما أُطلق الرصاص على عبد الكريم قاسم، أقسم لكم أنه لم يبق أي فرد منهم في تلك المنطقة التي تعرضت لوابل من الرصاص... كلهم أطلقوا سيقانهم للريح... وتركوا زعيمهم يتخبط في دمه!!

١٤ كانون الأول

(الست هدى) مسرحية شعرية لأحمد شوقي... تقع حوادثها في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في مصر... حيث تمثل هذه المسرحية ناحية من نواحي الحياة العجيبة التي كانت تحياها الحريم في ذلك العهد... امرأة كهلة استغلت أموالها لإشباع شهواتها... فهي تتزوج من أولئك الذين يطمعون في أموالها، ويظنون أنها ستموت فيرثون ما عندها من ذهب أو عقار... إلا أنهم سرعان ما يموتون غير مأسوف عليهم، ويطلّقون غير مأسوف عليهم، وتبقى الأموال هي... هي... حتى إذا ما أحست الكهلة بدنوّ أجلها وهبت تلك الأموال لصديقاتها وجاراتها، ولم يخطر ببالها أيّ زوج يمكن أن تهبه إياها...

والقصة يحتويها إطار ضيق جداً، إذ إنها لا تمثل أبداً طبيعة الحياة الاجتماعية الواسعة التي كان يحياها الناس في ذلك الوقت... وإذا افترضنا أنها تمثل صورة من تلك الصور الاجتماعية، فكان يجب أن تبرز الناحية الفنية ماثلة للعيان لكي تعوّض عن ضيق الموضوع...

إن هذه المسرحية تفقد روعتها الفنية عندما تقارن بمسرحيات شوقي الأخرى مثل: مجنون ليلى، عنترة، قمبيز، مصرع كيلوباترا...

٢٥ كانون الأول

قبل سنين عديدة... عندما كنت في الصف الثالث المتوسط كنت أجد لذة نفسية كبيرة لدى قراءة الأبيات الشعرية الجميلة... وكنت أتذوق بعض القصائد وبعض الشعراء... في تلك الأيام بدأت أعماقي تضطرب بأحاسيس ومشاعر شتى، كانت تدفعني وتلحّ عليّ في أن أعبِّر عنها... وكنت عندما أقرأ بعض المقاطع الأدبية أحسّ بأني أرتفع بأفكاري ومشاعري إلى عوالم شتى من عوالم الروح والجمال والألوان...

قلت يوماً لصديقي وأنا جالس بجواره في الصف: إني أستطيع أن أكتب بعض الأبيات عن فلسطين... وكان في قولي هذا شيء من الجدّ... وكتبت بخط واضح (فلسطين) في إحدى صفحات كتاب (تاريخ الأدب) الذي كان مقرراً علينا في تلك السنة... وبعد قليل دق الجرس وانتهى الدرس...

في ظهر ذلك اليوم كنت أقرأ لبعض الأصدقاء قطعتين مما نسجتهما يداي... إحداهما من الشعر المقفى والأخرى من الشعر الحرّ... الأولى أخاطب فيها أحد الأصدقاء الذين فارقتهم منذ زمن قريب... والأخرى أخاطب فيها فلسطين!!

٢٩ كانون الأول

في هذه اللحظة التي أسطر فيها هذه الكلمات والعام يوشك على الانصرام... لأعلم علم اليقين بأن هذه الأوضاع التي تأخذ بخناق العراق لن تستمر ولن تدوم... إنها مناقضة لطبائع الأشياء... مناقضة للواقع وللحقيقة سواء ..

إني لأعلم علم اليقين بأن ألم الجموع سيدفعها يوماً لتسحق مصدر ألمها... وأنها ستنفجر يوماً لتقضي على حكامها الطغاة...

إني لأعلم علم اليقين بأن ثمة صفحات مشرقة ستسطّر عما قريب في صفحات أحد الأعوام المقبلة... وستغدو هذه الأيام، بما فيها من تعاسة وشقاء... في خبر كان!!

من مذكراتي اليومية

لعام ١٩٦٠م

٩ كانون الثاني

إني لأنظر فأرى الحياة بعيدة الحدود... وما أعجز الإنسان عن إدراك حدود الحياة... أمس كتبت إليك أقول إننا كبراعم الربيع عندما تطغى العواصف فتجعلها هباء... وإني لأذكر يوم أن قرأت رسالتك فامتلأت نفسي يومذاك بمعاني الألم... ألم الإنسان... كان ذلك اليوم مليئاً بالغيوم... كان قاتماً... وكنت أرى إلى الأشياء تخنقها الكآبة... لكن الابتسامة لم تفارق شفتي يوماً من الأيام... كنت أحسّ بأني سعيد بهذا الألم... وكنت أنظر إلى السماء معتقداً بأن الذي وهبنا الحياة لا بدّ وأن يخلق معها منافذ للنور...

إن أولئك الذين ماتت في أعماقهم معاني الحياة... أولئك الذين ليست لديهم أعماق يحسّون بها... لا يبحثون عن شيء، معتقدين أن الأشياء كلها انتهت... أولئك الذين يسخرون لأننا أحطنا أنفسنا بالحيرة والقلق... لأننا نبحث عن أشياء ليس لها

وجود!! لا يعلمون أن الحياة الإنسانية تقوم على هذه المعاني... وأننا نبحث عنها لأننا نريد أن (نحيا) وأن لا يهددنا الفناء!!

١٠ كانون الثاني

عندما خرجت من المكتبة مساء هذا اليوم... لم تكن نفسي تتفاعل بأيِّ معنى من معاني الحياة... كانت ثمة أشياء ذات معانٍ سطحية هي التي تحتل مكانها من نفسي، لكنها لا تمتد عميقاً، إنما أحسّها طافية على السطح... وأحياناً أخرى تمّحي كل المعاني من نفسي... فلا أعود أحسّ بأيِّ إحساس... وسرعان ما يتغلغل السأم في هذا الفراغ النفسي ويحسّ الإنسان عند ذاك أنه لا يريد أي شيء... إنه لا يستطيع أن يتحمل أيَّ إحساس، وربما رأى في أية لذة مادية مخرجاً من هذا الفراغ، أو ذلك السأم...

نظرت إلى السماء، وكانت عميقة... بعيدة الغور... زرقاء... تتلألأ في أعماقها النجوم وكأنها تذرف الدموع... وهناك في زاوية من زوايا السماء الواسعة العريضة كانت ثمة قطع بيضاء من السحاب... كأنها أجنحة لملائكة الله... وكان القمر الأزرق الوهاج يلقي ضوءه على هذه الغيوم فتتوهج ضياء وجمالاً... نظرت هناك، وتملّيت السماء كلها بما فيها من عمق وبعد ونجوم وقمر وغيوم وهدوء عجيب ينطوي على كل معاني الحياة والكون... عند ذاك انفتحت في قلبي المغلق كل معاني الإنسان الحي، تمتزج كلها في شعور عميق من الحب والإعجاب والتقدير والتقديس... تمتزج كلها في كلمات خرجت من أعماقي: رباه لشدّ ما نحن بحاجة إلى إيمان!!

١١ كانون الثاني

لست أدري لماذا خيمت الكآبة على نفسي هذا اليوم، وشعرت بالسأم يأخذ طريقه إليها، وأشياء أخرى كثيرة كانت تلقي ظلالها الثقيلة في أعماقي... وفي محاضرة (علم النفس) شعرت بارتياح واستقرار... ربما كانت أفكاري منصبّة على أشياء مسرّة... أشياء بيضاء تلقي أنوارها في نفسي، فأبتسم لأعبِّر عن إحساساتي الحية الهادئة المنسابة كقطعة موسيقية عميقة، تعزف بهدوء على شاطئ البحر الأزرق وتحت أشعة الشمس الذهبية.

وبعد الغداء جلست في فناء الكلية... وحدي... لم أكن لأفكر في أي شيء... كانت نفسي آنذاك خالية من أيِّ إحساس... لم أكن مستعداً لتقبُّل أيّ شعور يثيره خيالي...

ما أعجب النفس الإنسانية... إنها سر من أسرار هذا الكون العجيب... إنها بعيدة الغور عميقة... وإنها في أحيان أخرى لتغدو تافهة كأكثر الأشياء في هذه الحياة... الألم سعادة... والألم شقاء... والإنسان هو الإنسان... بعيد في وجوده، جدُّ بعيد... فمن أدرك فقد عرف الحياة وعاشها... ومن لم يدرك لم يعرف الحياة لكنه يعيش كلّ الحياة!!

١٢ كانون الثاني

الخيال... تلك الآفاق البعيدة التي يرسمها الإنسان لتعبر عن نفسه... ذلك العنصر الأساسي الذي يقوم عليه صرح الفن... وإن قيمة الفنان تستند قبل كل شيء على سعة خياله... إن الخيال هو

الألوان المتناسقة التي يضفيها الفنان على الحياة... ليشتق منها بعد ذلك نماذج فنية هي قطع من الحياة ذاتها... فهي ملونة تتناسق فيها الصور والظلال... عميقة بعيدة... وإن ذلك لا يأتي لنظرة مجرّدة يلقيها الإنسان على الحياة... إنها تأتي نتيجة تفاعل الفنان مع الحياة من جهة، فهو يحسُّها كاملة، ومن جهة أخرى هو يتعمق في تصور هذه الحياة ويذهب بعيداً في رسم حدودها... لأن الإحساس يختلف عن التصوّر... فالإحساس بلا حدود، أما التصوّر فله حدود، لكن بعد هذه الحدود، واتساع مداها، وسعة رقعتها... يحددها الخيال... خيال الفنان... فالإحساس الحي عندما يشترك في ذات الوقت مع خيال بعيد، أعني مع تصوّر مجسد، فإن الإنسان عند ذاك يستطيع أن يبدع صوراً من الحياة... يستطيع أن يكون فناناً!!

١٣ كانون الثاني

عبثاً يحاول الإنسان السيطرة على منابع السعادة في نفسه، وعبثاً يحاول القضاء على آلامه... فإذا كان كذلك فهراء أن يعمل ليسلك هذا الطريق أو ذاك بإرادته... إن إرادة الإنسان لتقف أحياناً عاجزة، أمام إيقافه عن السير في طريق معين، وبعثه من جديد للسير في طريق آخر... إن إيمانه المنطقي بشيء معين لا يعني أن الأمر انتهى، وأنه يستطيع بعد ذلك السلوك تجاهه حسب منطقه... لا...

إن ثمة عقبات لا إرادية تقف أمامه... تكتّف يديه... تغلّه عن

ذلك الاتجاه... وأحياناً ينطلق في الطريق الذي يؤمن به... وتتّسق في أعماقه عناصر النفس كلها وتحثّه على السير في ذلك الطريق... وتلك هي السعادة القصوى... إيمان بشيء تتّسق عند السلوك تجاهه جيع العناصر في النفس الإنسانية، سواء فيما يخص التفكير المنطقي، أعني الإيمان العقلي... أو فيما يخص المشاعر والانفعالات والأحاسيس وجميع عناصر النفس الأخرى، أعني الإيمان النفسي إن صح التعبير... والشقاء المحطم هو تنافر عنصرين من عناصر الذات في أعماق الإنسان... وصراعهما تجاه الأشياء...

١٥ كانون الثاني

إن الزمن شيء نسبي... إني لأراه أحياناً بطيئاً حتى يكاد أن يقف ولا يتحرك... وأحياناً أخرى تركض الأيام إثر الأيام بسرعة عجيبة حتى لتنفض يديك من مجموعة رائعة منها كما تنفضها من حفنة من تراب... وهكذا قدّر للزمن أن يكون... الشقاء ينبع من أعماق النفس لمؤثرات مختلفة... فإذا بالأيام التي يتخللها تناقض في سرعتها؛ تلك الأيام التي تخللتها السعادة المنبثقة من أعماق النفس وبمؤثرات مختلفة...

ما أبطأ هذه الأيام التي تسبق الامتحان... فالمراجعات التي نتسم بها... وانتظار العطلة بفارغ الصبر، والقلق الذي تورثه المناهج التي يجب أن تدرس... و... أشياء كثيرة تجعلنا نحسّ بأن الأيام تبطئ إلى درجة كبيرة... وستأتي بعدها أيام مقبلة ستمر سريعاً... تتلوها أيام أخرى ستبطئ في سيرها...

والزمن هو الزمن... لا يتغير ولا يحيد... وإنما الإنسان هو الذي يتغير ويحيد... إننا لنغضب على الزمن لأنه يبطئ أو لأنه يسرع... ولكننا لم يخطر ببالنا أبداً أن نغضب على أنفسنا... فنحن الذين نجعل الزمن يبطئ، ونحن الذين نجعله يمرّ كما يمرّ السحاب!!

١٧ كانون الثاني

إن المتناقضات في هذه الحياة تنبع من أعماق الإنسان... فسعادته هي التي تلقي على الأشياء ألوان السعادة... وشقاؤه هو الذي يلقي على ذات الأشياء ألوان الشقاء... وعمقه هو الذي يجعل الأشياء عميقة، وتفاهته هي التي تلقي على الأشياء مسحة السطحية والتفاهة...

سعادة الإنسان وشقاؤه هي التي تفرض نفسها عليه في أكثر الأحيان... فتأتي قطعه الفنية المعبرة أحياناً عن السعادة، المعبرة أحياناً أخرى عن الشقاء؛ متناقضة تماماً كأنها تنبع من أعماق فنانين أحدهما يسعد في هذه الحياة والآخر يشقى...

إلا أن السعادة والشقاء هما العنصران اللذان يستند عليهما الفنان... فالسعادة وحدها لا تفجّر في أعماقه منابع الوحي، والألم وحده لا يفجّر في أعماقه هذه المنابع... والسعادة والألم إن تعاقب أحدهما بعد الآخر أو امتزجا واندفعا في قلب الإنسان مرة واحدة؛ فإنهما سيجعلانه يدرك طبيعة الحياة... وطبيعتها هي

السعادة والألم... والذي لا يدرك طبائع الأشياء لا يستطيع أن يعبِّر عن الأشياء...

١٩ كانون الثاني

غداً امتحان نصفِ السنة... الموضوع الذي سنمتحن فيه هو التاريخ الأوربي... منذ أمس ونحن نقرأ في هذا الموضوع... إن المنهج واسعٌ، ولذلك وضعناه في أول يوم من الامتحان... في الصباح جلست في ساحة كرة القدم تحت أشعة الشمس الدافئة... وبدأت في الدراسة... وبعد الغداء ذهبت ثانية إلى هناك وكنت أشعر بسأم يملأ عليّ نفسي، فقررت أن أقرأ وأنا أتخطى... وبعد الغروب عدت إلى المكتبة وبقيت هناك حتى التاسعة والنصف.

إن أيام الامتحان شاقة وممتعة... إن لذة الانتهاء من كل امتحان لتطغى على النفس، وتُشعر الإنسان بسعادة بالغة... يضفي عليها اقتراب عطلة نصف السنة بهجة وجمالاً...

ها هم الأصدقاء في الغرفة ينامون في ساعة مبكرة من هذا المساء؛ لكي يستطيعوا أن يستيقظوا مبكرين صباح الغد... لقد تعب الجميع خلال هذا اليوم من أجل أن يجيبوا بصورة جيدة في الامتحان... ومن أجل أن يجتازوا مرحلة الدراسة في طريقهم إلى الحياة العملية.

٣٠ كانون الثاني

استيقظنا صباح هذا اليوم وجلسنا نتحدث في مواضيع من

هنا وهناك، حتى حان موعد مغادرتنا بغداد إلى مدينتنا الحبيبة الموصل، فركبنا سيارة أوصلتنا إلى الكراج... وذهبنا لتناول الغداء في أحد المطاعم القريبة... وعندما عدنا لم تمض سوى دقائق معدودات وتحركت الحافلة... الحقيقة أن الساعة الأولى من السفر ممتعة كثيراً، وأن الإنسان ليشعر بشيء من السأم بعد ذلك... مررنا في طريقنا بأراضٍ قاحلة... جرداء... قد خلت من أي لون أخضر يدلّ على وجود الحياة... الزرع... أراضٍ واسعة تمتد بمحاذاة النهر تخلو من النبات... لشدّ ما يحتاج هذا القطر الخصب إلى يد حكيمة، وعقول مدبرة لتستغل أراضيه الواسعة؛ التي تسخر من أولئك الذين أهملوها...

لشدّ ما يحتاج هذا الشعب إلى حكومة تستطيع أن ترتفع به من حضيض شقائه وتعاسته، إلى مستوى يمكن أن يصل إليه لتوفر الوسائل والإمكانيات... كانت تدور بفكري أشياء كثيرة أخرى... عن الشعب البائس... وعن المجتمع... عن الإنسان وعن الحياة... وكانت الشمس قد أخذت طريقها نحو الغروب فتلوّن الأفق بألوان رائعة، ورسمت على حواشيه لوحة رائعة عميقة بعيدة... بإرادة الله ﷻ... ليتأملها الإنسان ويدرك إبداعية الله في الخلق... وبعد ساعة ظهرت من البعيد أنوار متلألئة ممتدة إلى مسافة بعيدة... وعرفنا حينذاك أننا أشرفنا على مدينتنا الحبيبة...

٣ شباط

استيقظت صباح اليوم وكانت الغيوم الكثيفة تحجب السماء...

فقررت البقاء في البيت... وأخذت أطالع في أحد الكتب. ولم أشعر إلا والوقت قد مضى والساعة تقارب الثانية عصراً... خرجت من البيت لأتخطى في شوارع المدينة بعد طول غياب... وكانت السماء لا تزال غائمة... والريح تهب بسرعة فتحول دون الراحة في هذا التخطي... فركبت الباص عائداً إلى البيت... وعدت من جديد أطالع في أحد الكتب... ومنذ أتينا إلى الموصل لم نر الشمس وزرقة السماء ونسمات الربيع... وتلك الأجواء التي تتميز بها العطل الربيعية...

وها قد انقضى ما يقرب من نصف هذه العطلة تقريباً ولم يبق إلا النصف الآخر... وليس في نية الشمس أن تصحو... ومع ذلك فما أسرع ما تمضي الأيام... كأن هناك هدفاً تلاحقه... إن الإنسان عندما ينظر بشيء من العمق إلى هذه الحياة، يعود فيسأل نفسه: ما الذي يجب أن أفعله للإفادة من هذه الأيام الذاهبة... هل ثمة أشياء نستطيع أن نبدعها ونُبقي عليها في هذا الخضم الزائل من الزمن؟!

٤ شباط

إن الوحدة لتلذّ أحياناً... وتشقي الإنسان أحياناً أخرى... ذلك يعود إلى نفور النفس الإنسانية من استمرارية الحياة على نهج واحد... من تشابه الأشياء المحيطة... من بقاء المؤثرات الاجتماعية والنفسية والفكرية هي هي... إن الاستمرارية المتجانسة عنصر من عناصر الألم الإنساني المتشعب.

ولقد مررت بتجارب كثيرة... ومن ثم قلت هذا الكلام... فمن طبيعتي أني أحب الوحدة وأهفو إليها لأنها تحقق الكثير من حاجاتي النفسية والفكرية على السواء... ورغم ذلك كانت الوحشة وظلامها تخيم على الأجواء التي انعزلت فيها... وسرعان ما يدفعني هذا إلى الهروب من هذه الأجواء إلى حيث ألتقي مع أناس آخرين، أجد المتعة في القرب منهم والاختلاط بهم...

ولكني سرعان ما أشعر بجفاف نفسي من معاني الحياة، وأني بعيد عن ينابيع الروح التي تسمو بي أحياناً عن مستويات الحياة المادية المتكررة... وهكذا أهرب من هذه المجتمعات الصغيرة إلى حيث الوحدة من جديد... لأقرأ وأتأمل... لأحسّ وأحيا...

النفس الإنسانية لا تعرف (المطلق)، فهي تضطرب دائماً في مجالات الحياة... وعبثاً يحاول الإنسان الوصول إلى مبتغاه... عبثاً...

٥ شباط

(أدب الثورة) للدكتور محمد غلاب... يعرض فيه تراجم أدبية موجزة لأعلام المدرسة الرومانتيكية، أولئك الذين حملوا لواء هذه المدرسة ضد المدرسة الكلاسيكية القديمة... ويستند في تعريف الرومانتيكية على رأي ستاندال، من أن الأدب الذي يعبِّر عن الحاضر، ويصوِّر آمال الشعوب وآلامها... الأدب الذي يفتح المجال للعنصر النفسي لكي يحتلّ مكانه الأصيل فيه... الأدب الذي يستند على العاطفة والذي يعطي الحرية والانطلاق لصاحبه، هو الأدب الرومانتيكي الجديد...

وبعد مقدمة موجزة في تعريف الكلاسيكية والرومانتيكية يعرض لأعلام المدرسة الجديدة وهم: شاتوبريان، اللورد بايرون، فيكتور هوجو، الفريد دي فيني، الفريد دي موسيه... فيكتب عن خطوط حياتهم، ثم ينقد إنتاجهم نقداً لا يخلو من ضعف وتفكك... بل إن السمة التي يلاحظها القارئ لهذا الكتاب هي الضعف النقدي.

ويرى الكاتب أن هناك في العالم العربي أدباء مثّلوا هذه المدرسة وحملوا لواءها، وعبَّروا عن رغبات شعبهم وآلامه، ومن هؤلاء: البارودي، شوقي، المنفلوطي... والحقيقة أن شوقي يمثل نضج الأدب الرومانتيكي الحديث في مجال الشعر، والمنفلوطي يمثل هذا الأدب في مجال النثر.

٦ شباط

كان يوماً من أيام الربيع... فقد كان الجو دافئاً مشمساً، وكانت السماء صاحية تماماً، إلا من قطعات من السحب بيضاء كالقطن المندوف متفرقة هنا وهناك... وكنا نتخطى على الجسر الحديدي الجديد... وكانت دجلة تعكس بتموّجات مياهها الزرقاء أشعة الشمس فتحيلها إلى لون الذهب... وكانت ثمة نسمات رقيقة باردة تهبّ بين حين وآخر، فتنعش النفوس وتنقلها إلى عوالم الجمال والذكريات...

وما أروع هذه المدينة... الموصل... في مثل هذه الأيام... إن الربيع ليتمثل فيها تماماً، وإن أجواءها لتساعد تماماً على الصفاء

والاستقرار والتمتع بالجمال... وهناك في بغداد قليلاً ما تغيّم السماء، ومع ذلك فإن فصولها غير متميزة... فترى إلى الصيف ـ أحياناً ـ يسبق الربيع، وإلى الشتاء يسبق الخريف... إذ ذاك يمّحي من الطبيعة عنصر التنوع والجمال والهدوء والانسياب... تماماً كما تنساب مياه دجلة ذهبية متموجة... وكما تغيب الشمس وتلقي أشعتها الأخيرة فتلوّن الأفق بأروع الألوان... وكما تكتسي الأرض... كلّ الأرض... ببساط أخضر... كذلك الموصل في أوّل الربيع!!

٩ شباط

(غادة كربلاء) رواية تاريخية لجورجي زيدان، تعرض لإحدى فترات التاريخ الإسلامي... أيام الصراع بين بني أمية والثائرين على النظام الجديد الذي استحدثوه: نظام الوراثة... أعني ذلك الصراع الذي تجلى تماماً في ثورة الحسين ضد يزيد، تلك الثورة التي انتهت بمأساة خطيرة في التاريخ الإسلامي الطويل...

هذا التاريخ يعرضه بأسلوب قصصي شيِّق، ويخلق لقصته أبطالاً من نسج الخيال وآخرين حقيقيين... ويرسم لبعض شخصياته حياة غريبة تقرب من الخيال... ذلك لتتكون لديه قصة مؤثرة يدفع بها إلى القراء في سلسلته المتطاولة التي جاوزت العشرين عدداً... وهي مليئة على أية حال بالجمل والإيحاءات الخبيثة؛ التي يدس بها في بطون رواياته هذه، على الحقيقة وعلى التاريخ.

وجورجي زيدان، هو من أوائل الكتاب الذين مارسوا كتابة

الرواية التاريخية في وطننا العربي... ويطغى على أسلوبه بصورة عامة السرعة .. والتكرار... والسطحية .. وضعف السبك... لكن الشيء الشيق في رواياته هي العقد القصصية المنتشرة في كل رواية منها، والمفاجآت التي تنتهي إليها هذه العقد.

١٥ شباط

قبل أيام كنا جالسين في إحدى السيارات السائرة سريعاً في طريقنا إلى الموصل... وها نحن اليوم نجلس في تلك السيارة السائرة بنا سريعاً في طريقنا إلى بغداد... لقد انتهت العطلة وكنت مطمئناً إلى أن الأيام القادمة في بغداد ستكون أياماً رائعة حافلة بالمسرات... تخلو من هموم الدراسة الجدية... إذ إن شهر رمضان على الأبواب، وسيأتي عما قريب بلياليه الجميلة الطويلة...

عندما وصلنا سامراء، كانت الشمس تلقي نظرة الوداع الأخير على الكون... وكان منظراً رائعاً والسيارة تعبر السدة، والمياه الزرقاء تمتد بعيداً عبر إحدى جانبي الطريق... ومدينة سامراء بأضوائها المتلألئة وملويّتها الواضحة، تبرز في البعيد...

لست أدري لماذا تنتابني الأفكار والمشاعر كلما جلست في سيارة تنطلق بسرعة... وأشعر بنشوة طاغية عندما تنشد أعماقي الشعر... وتعزف الطبيعة لحناً ملؤه ألوان وجمال... فيمتزج الشعر بالجمال بالموسيقى... ووصلنا بغداد وفتحت باب الغرفة في القسم الداخلي وقلبي يخفق من بعد فراق طويل...

١٧ شباط

كثيراً ما أملأ هذه الصفحات بأشياء كثيرة، ما عدا تدوين الأحداث اليومية... لأنها مهما كتبت بأسلوب رصين فإنها تبدو ساذجة مضحكة لا تستحق التسجيل... الأحداث المهمة يحقّ لها أن تسجل... إن الأفكار والمشاعر إنما هي أحداث وأحداث كبيرة... وعندما تكتب هنا على صفحات هذه المذكرات فإنها تظهر بشكل رائع ينطوي على سمة المذكرات...

إن الأشياء تتلون بتلك الألوان التي تلقيها عليها نفس الإنسان... إن الشيء هو الشيء نفسه ولكن الإنسان يبكي... عندما يراه... ويضحك أحياناً أخرى عندما يراه... إنه كقطعة موسيقية تدفع سامعها لأن يذرف الدموع... وتلقي النشوة والفرح في أعماق الإنسان... وتنقبض نفسي وأنا أكتب هذه السطور... فعندما تمر الأشياء من أمامي بسرعة... أراها كئيبة خانقة... وعندما تنفتح نفسي وتشرق... وتمرّ ذات الأشياء... نعم... ذات الأشياء... فإني أراها آنذاك باسمة مشرقة... وإن نفسي لسريعة التقلب... وفي بعض الأحيان أنظر إلى الحياة... كل الحياة كشيء كئيب ثقيل... فتمتلئ نفسي بالسأم والفراغ .. آه...

١٩ شباط

ليس ثمة مشاعر وانفعالات قاسية ملأت نفسي هذا اليوم، شأن بعض الأيام الشاقة الثقيلة، سوى أني شعرت بالسأم الكئيب من المطالعة ومما حولي... وبكلمة أوسع... سئمت كل شيء... وكان ذلك

في ساعة متأخرة من هذه الليلة... لقد كنت مستلقياً على السرير منذ ساعات وأنا أقرأ (جين آير)، ولم تكن قراءتي سريعة منتظمة ورتيبة... إنما تخللتها أفكار كثيرة... فكنت أغفل عن الكتاب وأسيح بفكري في عوالم شتى ذات ألوان مختلفة... أشياء من صميم حياتي هذه... وكنت لا أرى فيها ما يغني... وكنت فيما سبق أجد فيها الإرهاق الشاق المرير...

أما اليوم، فإن طبيعتي صافية تماماً كماء يجري فوق ساقية حصباء أو كسماء زرقاء تخلو من أية قطعة من الغيوم... ولقد قضيت نهار اليوم في كتابة تقرير تاريخي ولم أدعه إلا وقد أتممته... كانت الساعة الخامسة... وكانت الشمس تنحدر نحو الأفق شيئاً فشيئاً... وتلقي أشعتها الصفراء عبر نوافذ الغرفة الواسعة... ووقفت عند الغروب في الشرفة أنظر إلى الأشجار الخضراء البعيدة تغرق في بحر من الضباب!!

٢٢ شباط

معانٍ كثيرة... متناقضة أحياناً... ومتسقة أحياناً أخرى... ثائرة صاخبة... وهادئة منسابة... عميقة بعيدة... وسطحية سخيفة... تنضح بالدم... تختنق بالألم... تشعّ سعادة وصفاء... تقطر حياة سامية منتشية... وتتّسم بالموت... تنكفئ على ذاتها في دوامة من الانسحاق النفسي... وتتّسع حتى تشمل الحياة... تدور بالشقاء... وتدور باللذة... تنتهي في نقطة يترنح عندها الإنسان ويفقد كل شيء... تنتهي هنالك، حيث يسمو الإنسان وتترع

روحه بمعاني السماء... تعني - أحياناً - حب الإنسانية واحتضانها... وأحياناً أخرى تكره وتمقت حتى الإنسان نفسه... تقوم على الحب الذي يرفع الإنسان وبه يسمو... تقوم على الغلّ والكراهية التي تذلّ الإنسان وبه تنحطّ... تعني انهيار الفرد... وتعني بناءه من جديد... مشرقة بالأمل... مختنقة باليأس... بيضاء بالجمال... سوداء بالقسوة... وعلى القمة تقوم معان وفي الحضيض تقوم أخرى... وبين النقيضين تضطرب الحياة وبمعانيها هنالك تمتلئ نفس الإنسان...

٢٨ شباط

هذا هو اليوم الثاني من أيام رمضان... إنه قدم والربيع بعدُ في عمر براعم الزهور... فكان أن امتزج الإيمان بالجمال... فاندفع الإنسان في طريق السموّ والحياة... ما أجمل ذلك وما أروعه... عندما تسجد لله ﷻ، وتصوم له في ذات الوقت الذي تتفتح فيه الزهور، وتنتشر الخضرة في كل مكان... وتهبّ نسائم منعشات مع الغروب.

في هذا الوقت غادرنا القسم الداخلي في طريقنا إلى الكلية... ودخلنا حديقتها... وكانت السجاجيد والحصران قد فرشت في طرف من أطرافها وجلس عليها قوم يتحدثون... وعندما حان الوقت قام أحدهم للأذان، فأذن فينا وبدأت الصلاة... وبعد أن انتهينا دخلنا المطعم وفطرنا... ثم خرجنا لنجلس في النادي بعض الوقت... وعدت أنا وجماعة من الأصدقاء

إلى الداخلي لنمارس لعبة رمضان المشهورة: المحيبس... والتي بدأت في الساعة الثامنة وانتهت في الثانية عشر والنصف... بانتصار «الموصل»... ومن ثم خرجنا في طريقنا إلى المطعم حيث حان وقت السحور... وعندما عدنا جلسنا نتحدث بعض الوقت في مواضيع شتى انتهت بنوم عميق...

٢٩ شباط

إن ثمة أشياء في هذه الحياة تدعو الإنسان، وتدعوه بقوة؛ لأن يمجد أخاه الإنسان... ففي هذا اليوم ـ وبعد أن ظن الفرنسيون أن تفجيرهم للقنبلة الذرية في الجزائر سيفتّ في عضد المجاهدين الجزائريين ـ قام جيش التحرير الجزائري بنشاط جبار ضد الغاصبين، خاب معه ظنهم وانثنوا يتقهقرون... (٤٧٩) هذا هو الرقم الذي طالعنا اليوم في الصحف... فعبر يومين فقط لا أكثر؛ حقق المجاهدون نتائج عظيمة تدعو الإنسان لأن يمجّد أخاه الإنسان... هذا هو الرقم الذي خطّه كفاح الحقّ ضد الباطل... جيش التحرير ضد فرنسا وضد حلف الأطلسي على السواء... (٤٧٩) قتيل في يومين فقط... يا ألله... كأن جيش المسلمين في فجر الإسلام بُعث فكان جيش التحرير هذا... ولا شكّ أن الإيمان هو القوة الدافعة، القوة المحركة لهؤلاء الأبطال... تماماً كما كان لأسلافهم... إنها نتائج تنذر فرنسا بأن تصغي لنداء الجزائر... وإلا فستنهار وتتحطم أمام (إيمان) جيش التحرير...

٢ آذار

في مراكش سمعنا اليوم أن ثمة مأساة دارت أحداثها هناك... وأن آلافاً من البشر سقطت ضحايا لهذه المأساة. ففي إحدى الموانئ التي تطلّ على بحر عميق الأغوار، وحيث ترتفع، إلى الخلف، سلاسل عالية من الجبال... في هذه المناطق كنا قد سمعنا بأن الطبيعة القاسية تثور أحياناً وتعبر عن ثورتها بزلزال جبار يهدّ مدناً بكاملها... ويشقق سطح الأرض ويغطي آلاف البشر بالأنقاض...

ولقد وقعت الواقعة في منتصف هذا اليوم عندما مادت الأرض بأهلها فمات مئات... وعندما اهتزت فجأة، ولم تمض على هزتها الفظيعة سوى ثواني معدودات، حتى كانت الآلاف تعاني سكرات الموت وتستشهد من بعد ذلك...

يا للبشرية المعذبة لم تكفها الطبيعة تقتيلاً ونشراً للموت والدم حتى راحت هي نفسها تقتل نفسها... وحتى نشرت هي نفسها الموت وأجرتِ الدماء هنا وهناك... فطوبى لكم يا شهداء أغادير وأنتم تحت الأنقاض... طوبى لكم وأنتم تسلّمون أرواحكم إلى خالقكم سبحانه وتعالى !!

٣ آذار

(جين آير) لشارلوت برونتي... إن ثمة صراعاً بعيد المدى يهز معاني النفس البشرية لتنتهي إلى الهدف الذي رسمته لنفسها... وليكن معه ـ بعد ذلك ـ الشقاء والعويل... ولتنهمر

الدموع... كذلك كانت قصة جين آير... لقد آمنت بأشياء، وكانت السعادة عندها أن لا تقف هذه الأشياء في طريق العواطف والأهداف الإنسانية... وشاء القدر أن يصطدم الحب بالإيمان... وكان عليها أن تختار... وهنا بالذات تكمن المأساة... مأساة جين آير... وبعد خوض مضطرب من الآلام... ومستنقع من الشقاء... تنفتح كوى من خلال الظلام لتلقي النور في طريق جين آير... وكان أن ملأت بعض جوانب نفسها المتعطشة للحب...

كانت وحيدة... وعندما اكتشفت أخوة لها في القربى؛ ذاقت طعم الحب من جديد، وكان هدفه الذي يسعى إليه لا يدعو إلى التصادم المروّع مع عقيده جين آير...

ولم يلبث الزمن أن عرض عليها مرةً أخرى (الإيمان) و(الحب) وكان عليها أن تختار أحدهما... وها هي ذي وسط دوامة من الصراع النفسي القاسي تسمع صوت حبيبها الأول يدعوها أن تعالي يا جين... وعندما ذهبت وجدت أن الحواجز التي كانت تقف بين الإيمان والحب قد انهارت... وانفتح طريق النور المطلق أمامها...

٧ آذار

ها هي أيام رمضان تمرّ بسرعة ولكن دونما ضوضاء أو إرهاق... إنها تمتاز بخطوط مكررة في كل يوم من أيامه... ففي الصباح نذهب إلى الكلية حيث تنتظرنا أربع محاضرات يومياً... وبعدها أعود إلى القسم الداخلي لأطالع وأكتب وأنام... ولأستيقظ

بعد ذلك قبيل الإفطار بقليل... فأتوضأ وأصلي العصر... ونخرج سوية إلى الكلية... وهناك في الحديقة نجلس على البسط ننتظر الأذان... وعندما يحين يؤذن أحدنا فينا، بينما نفطر نحن على التمر والماء ونصلي ونتجه إلى المطعم لتناول الإفطار... ثم نخرج بعده إلى النادي لشرب الشاي... أجلس قليلاً هناك ثم أتجه إلى المكتبة لأدرس بعض المواضيع ومن ثم أعود إلى الداخلي...

وهناك ترتفع الضجة وتملأ الغرفة ضوضاء وضحكات حتى يحين موعد السحور... ونخرج في منتصف الليل حيث الشوارع خالية من البشر إلّا نحن... في طريقنا إلى المطعم... وفي العودة يرتفع الغناء والضحك... وفي الغرفة تدور بعض الأحاديث لنستسلم بعدها للنوم... وفي بعض الليالي يأتينا جماعة من الأصدقاء، لنمارس معهم لعبة (المحيبس) الشهيرة حتى ساعة السحور!!

١٢ آذار

(لعبة الموت) مسرحية لتوفيق الحكيم... عندما تلعب البشرية الضالة لعبة الموت فيموت آلاف ممن أوتوا القوة لأن يعيشوا وينتجوا... ويتعرض آخرون للمصير ذاته ولكن بعد زمن معلوم... تبرز شخصيات من هؤلاء لتمثل ذات الدور، ولكن على نطاق فردي...

وكان بطل هذه المسرحية مثال لهؤلاء... فقد أراد أن يلعب (لعبة الموت) لأنه يعلم أن الإشعاع الذري الذي أصابه سيقضي عليه بعد أشهر معدودة، فدبر خطة ليقضي بها على نفسه

وآخرين... ظن أن أطماعهم ستوردهم مورد الهلاك، تماماً كما تفعل البشرية الضالة... وكان هذا مؤرخ مختص بالتاريخ القديم... قد ألف كتاباً عن كليوباترا... وعرف صدفة راقصة بهذا الاسم وأراد أن ينفذ خطته هذه عليها وعلى الذين يحيطون بها... لكن البطل كان مبالغاً في أوهامه وتصوراته وتشاؤمه، حتى ظن أن جميع ما تفعله (كليوباترا) إنْ هو إلا ضمن الخطة التي رسمها... والتي ستنتهي بموعد موتها...

وكانت هي تؤمن بالحب والصفاء... وقاست أفعاله بهذا المقياس... وعندما تعرف الحقيقة تكون صدمة بالنسبة إليها... لكن حبها أقوى من الصدمات، فتنقذ البطل من أوهامه، وترفعه من حضيض الكراهية والبغضاء إلى مشارف الحب والأمل.

١٣ آذار

(امرأة خاطئة) لبنت الشاطئ... مجموعة أقاصيص مستوحاة من حياة القرية المصرية... من الفقر المدقع الذي تحيا فيه تلك القرى ومن عاداتها وتقاليدها... فبنت الشاطئ ولا شكّ قد نشأت في القرية، ومرت بتجارب كثيرة هناك، حتى إذا ما عرضت لتلك الحياة، جاء عرضها صادقاً دقيقاً على أتم ما يكون الصدق والدقة...

في قصة (سيد العزبة) تصوير لفتاة طُلِّقت أمها وتزوّج أبوها، وكانت هي تحبه لكنه لم يشأ إلا أن يهجرها، بسبب ما أوحت إليه به زوجته الجديدة... وأخيراً سلّمها خادمة في

ضيعة أحد الأغنياء وأوصاها بأنها إن لم تعمل على إرضاء سيِّدها فليس لها مكان في الأرض... وتستقر هذه الكلمات في أعماقها... فكانت تعمل من أجل أن تصل إلى تلك المرحلة التي ترضي فيها سيدها!! ثم ترضيه... فتكون بذلك (امرأة خاطئة) وتلاحقها اللعنات من كل مكان، وتطارَد من قبل أهل القرية، ويلحّ في إيذائها أولئك الذين امتنعت عليهم... وأخيراً تستقر في مكان بعيد... وتموت هناك...

وفي الكتاب أقاصيص أخرى، كلها تصور ناحية من النواحي، هذا إذا اجتمعت كانت صورة للقرية المصرية...

١٥ آذار

(المعذبون في الأرض) لطه حسين... صور حية ناطقة لما يلقاه البشر من عذاب، عندما كانت الأكثرية الساحقة في مصر، تسير بهدوء وكلال، ترهقها القيود، وتكبّلها الاغلال... كان الفلاح المصري يحيا غير الحياة التي يحياها الإنسان... وكانت تلك الأكثرية يعرض لها في حياتها تلك من ألوان الشقاء والعذاب والبؤس؛ ما يقابلها من سعادة وغنى ونعيم لفئة قليلة من المصريين... تنعم بشقاء الآخرين، وترقص على أشلائهم...

في قصة (قاسم) تصوير لذلك الإنسان المعلول؛ الذي يسعى بما بقي له من قوة لكسب قوت يومه ويوم زوجته وابنته... تصوير للشقاء الإنساني المرير عندما يدفع الإنسان إلى إهدار كرامته ليحيا ولو في الحضيض... لكرامة الإنسان ذاته عندما تثور

فتحطم وتتحطم .. فقد زنت ابنة قاسم وأغرق هو نفسه في النهر حيث ابتلعته الأمواج...

ويلجأ الكاتب إلى التاريخ يستمد منه صور العدالة والحق... حيث تبددت صيحاته لإصلاح الأوضاع قبل فوات الأوان... فلم يُسمع منها إلا الصدى... هنالك يعرض لصور مؤثرة من تاريخ الإسلام...

١٦ آذار

لم أستيقظ إلا في الساعة الثانية عشرة... فلقد سهرت أمس حتى الرابعة صباحاً... خرجت من البيت إلى المكتبة، وجلست هناك أطالع في كتاب لتوفيق الحكيم، حتى إذا ما جاوزت الساعة الرابعة والنصف، حيث ينتهي دوام المكتبة خرجت...

وفي طريق العودة إلى البيت سلكت طريقاً أطول... فقد كان كل شيء ينبئ بأن فصل الربيع في أحلى حلله... وبأنه بلغ تلك المرحلة التي يبتسم فيها كل شيء... الشمس... السماء... الأرض... الزهور... النسيم... الجماد... والإنسان... كانت الخضرة تنتشر هنا وهناك، والأزهار تتفتح بألوان رائعة... وكانت الحديقة العامة ملأى بهذه الألوان... وخرجت من الحديقة إلى الشارع العام لأتخطى في الشمس الدافئة...

وعندما وصلت البيت كانت ساعة الإفطار قد حانت... وفي الليل، فيما بعد الساعة الثانية عشرة، جلست وحدي في الغرفة أستمع إلى قصة (الحي اللاتيني) لسهيل إدريس تذاع من

الراديو... وعندما انتهت كنت أمسك بيدي قلماً وورقة حيث تطرق سمعي موسيقى عميقة، رائعة... كنت أكتب قصيدة...

١٨ آذار

يعتقد أنصار النظرية المادية ـ الديالكتيكية بأن ثمة أنواعاً من الفن تمثل الأنانية والفردية المنكفئة على ذاتها؛ لأنها تعبِّر عن النفس الإنسانية، ولا تعبِّر عن المجموع الشقي الذي يكدح من أجل الخبز والسلام!! ولأنها لا تصوّر الفروق الطبقية، وتهتف بوجوب سحقها ليقف الجميع على صعيد واحد... ونحن لا ننكر على الفن تصويره هذه الخبرات وتعمّقه في التعبير عنها...

لكن الذي ننكره أشد الإنكار أن يطلق على الفن الأصيل الذي يعبِّر عن الإنسان... عن نفسه وعن أعماقه وأفكاره... بأنه يتصف بالأنانية والفردية التي لا تعرف إلا ذاتها... ولا تعبِّر إلّا عن نفسها...

إن عنوان نظريتهم يدلّ على خطأ حكمهم على الفن... إنهم ينفون الروح كعنصر من عنصري الإنسان... وهم، تبعاً لذلك... يريدون من الفن أن يكون وسيلة التعبير عن قضايا مادية... وهم يغفلون أن للإنسان قضايا روحية هي بأمسّ الحاجة إلى الفن الذي يعبِّر عنها...

٢٧ آذار

وأنا أسرع الخطى في طريق طويل تغمره أشعة الشمس وتحفّ به زهور الربيع وخضرة الحياة... أنا هنا في المدينة الحبيبة...

واليوم هو آخر أيام رمضان... وغداً العيد... إن نفسي تشعر بسعادة وانشراح، وتحسّ بصفاء كصفاء الربيع... قلت لصديقي: لشدّ ما أنا سعيد... أينما أسير وأجلس أنظر فأرى النور يغمر المكان... وأرى الصفاء يطبع الأشياء... وأنظر إلى الناس فأرى في سيماهم علائم السرور والغبطة... رمضان والعيد والربيع... ومنذ عام واحد كان الأمر غيره الآن...

هكذا الحياة... عجلة كبيرة تدور وتسحق في طريقها ما يعلق بها من حثالات وزبد... الصفاء والسعادة عناصر ثابتة في طبيعة هذه العجلة الدائرة... وشقاء الإنسانية شيء عارض سينسحق ولا شكّ بدورانها الذي لا يفتر لحظة واحدة ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]... فها هنا انسحق هذا الشقاء... سحقته الحياة ذاتها... وترى معاني السعادة والإشراق تأخذ مكانها في سير الحياة الطويل... إن ثمة أشياء كثيرة تدعو الإنسان إلى التفاؤل... وها أنا ذا أتفاءل من كل قلبي وأنا أرى وأحسّ برمضان والعيد والربيع!!

١ نيسان

كان ربيع بكلّ ما في الكلمة من صور وأضواء وظلال... وعندما كانت السيارة تسرع بنا لتبتعد عن الموصل؛ كانت الأراضي الخضراء والزهور الصفراء تبتسم على جانبي الطريق، وكأنها تدعونا لأن نمتع أنظارنا ونفوسنا من هذا الجمال الذي خلقه الله ﷻ ليكون عنصراً من عناصر الحياة في هذه الأرض...

كنت أنظر إلى هذه السهول الممتدة بعيداً وتسرح أفكاري الممتدة بعيداً... أحياناً تنطلق أفكار الإنسان وتتعمّق وتبعُد... ويحسّ بأنه يسمو بأفكاره هذه عن محيط الحياة العادي؛ الذي عاش فيه كثيراً حتى ملّه... أفكار تسبح لله وتقدسه في الجمال والحب والصفاء... حتى الألم يستحيل عند ذلك إلى لذة ينتشي الإنسان برحيقها...

وعندما تنطلق السيارة بصورة أسرع تنطلق معها مشاعر الإنسان وأفكاره بصورة أسرع!! تجتاز الحدود المألوفة وتحلق بعيداً... وأقبلنا على بغداد... هكذا بسرعة... وفي الطريق إلى القسم الداخلي كان عبير قدّاح البرتقال يفوح ويملأ الأجواء برائحة منتشية... وكنت أسير وحدي أفكر في أشياء متناقضة تعرضها الحياة...

٩ نيسان

الإنسان طموح... وطموحه لا يقف عند حدّ... إنه دائم الإحساس بأن ثمة أشياء وأشياء تنقصه... وعندما ينظر إلى شيء يعجبه يتمنى أن يكون له... له وحده... وترتفع الحسرة الحزينة من أعماقه؛ لأن هناك حواجز لا يستطيع تحطيمها للوصول إلى ما يريد .. إن الطموح قوة دافعة... وككل الأشياء تنقلب إلى وسيلة لتحطيم الإنسان عندما يتغلب عليه ضعفه ويأسه... والإنسان الذي يطمح... يندفع... فإن لم يحقق ما يصبو إليه، تنبت في

نفسه «شجرة الألم المقدس»، لكي تؤتي ثمارها بعد حين شعراً وفنّاً وفلسفة...

والإنسان الذي لا يطمح ليس بإنسان... لأنه لا يخوض التجربة التي تحتّمها عليه طبيعته الإنسانية... فالذي يقنع بما هو موجود، ويعيش دون أن تصطرع في نفسه معاني الألم والشقاء... ودون أن يجد لذة النصر ومرارة الهزيمة وحلاوة الإيمان وهلاك الشكوك؛ ليس إلا إنساناً باسمه فقط...

والإنسان الذي يعتقد بأن للحياة حدوداً يجب أن يقف عندها مخطئ أشد الخطأ... إنه يجهل طبيعة الحياة... إذ يجب على الإنسان عندما يحطم مانعاً أن ينظر إلى المانع الآخر، ويجمع قواه المادية والمعنوية لكي يحطمه وينطلق...

١١ نيسان

كنت أجلس في الغرفة أطالع في كتاب، وبين حين وآخر يطرق سمعي صدى موسيقى الجيش وهي تعزف قبل بدء استعراض جامعة بغداد... وبعد أن أنهيت قصة (آخر الطريق) لأمينة السعيد التي أطالع فيها؛ شعرت بانقباض حزين يملأ عليّ نفسي للنهاية القاتمة التي انتهت إليها تلك القصة الواقعية...

وأسرعت في طريقي إلى ساحة الكشافة، وعندما أخذت مكاني بين المشاهدين وأمامي فرقة موسيقية تعزف أجمل الألحان شعرت بارتياح شديد وانشراح ذاب معه ما كنت أحسّه من ألم...

وبدأ بعد قليل الاستعراض وكان حقّاً ممتعاً... كانت أكثر الفعاليات تجري على مقربة منا...

وعندما غابت الشمس وراء الأفق، كان الطلاب المشاركون في الاستعراض يقفون صفاً واحداً لاستلام الكؤوس... وارتفع القمر الأحمر المستدير من وراء قطعات من الغمام، ورقّت نسمات الهواء... فكانت ساعةً تدعو إلى التفتح والانشراح...

وها أنا ذا أنتظر بشوق متزايد الاستعراض العام لبطولة الجمهورية بين فرق الجيش والنوادي والجامعة يوم (٢٥) من هذا الشهر... وفي يوم (١٤) سيجري استعراض آخر يقوم به الجيش!!

١٢ نيسان

(آخر الطريق) لأمينة السعيد...

بأسلوب قصصي ممتع، وتحليل نفسي عميق، ونقد اجتماعي ساخر، تكتب أمينة السعيد قصتها هذه، وهي قصة واقعية من صميم الحياة... وتبلغ الكاتبة المدى في إلقاء روح المأساة على قصتها هذه، وخاصةً في فصولها الأولى، عندما تطوف الأم الشقية في القصر كروح حالمة لا تستقر على شيء، والألم يعتصر أعماقها ويطغى على تعابير وجهها الكئيب... وعندما يشقى الطفل التعس بمنظر وداع أمه الأخير، وهي تخرج من البيت لتختفي إلى الأبد، وهي تقول: «سامحك الله يا مدحت»... ذلك أنه أخطأ عن غير عمد، فكان السبب في تلك النهاية المؤلمة...

وتصوّر الأب الذي لم يبق له من حياته سوى ابنه الوحيد،

فيغلّه بقيود من عطفه وشفقته، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً... ذلك أنه حرم ابنه... وللحرمان نهاية محطمة... وفي القصة شيء يدفع القارئ بإلحاح لأن يرى ما سيتلو من الأحداث، وما هي نهاية ذلك التسيب الذي قضى على كل ركيزة من ركائز كيان مدحت، وجعله خادماً لزوجته العاهرة... تصوير للإنسان عندما تعميه الشهوة، فيندفع... وهو لا يحطم إلا نفسه...

١٤ نيسان

لقد كان هذا اليوم جميلاً سارّاً... لقد انقضى النصف الأول منه بين دراسة ومطالعة في الصحف وجلسات متقطعة في المكتبة والنادي والحديقة... وعندما عدت إلى الداخلي جلست هناك قليلاً لأستريح، ومن ثم أتجه إلى ساحة الكشافة لأشهد استعراض الفرقة الخامسة، وكان استعراضاً رياضياً ممتعاً قضينا فيه أجمل الساعات... وعندما انتهى كانت الساعة تشير إلى السادسة... غادرتُ الساحة وأخذت طريقي إلى كلية الحقوق، لأشهد سباقاً في الكرة الطائرة بين كلية الآداب وكليتنا، وانتهى بفور الثانية... واستأنفت رحلتي، فبعد أن مررت بإحدى المكتبات واشتريت جزأي الإلياذة اللذين كنت أبحث عنهما...

وبعد أن تناولت عشائي واسترحت قليلاً... دخلت نادي الهواة الرياضي، لأشهد سباقاً في كرة السلة بين نادي الأعظمية ونادي الهواة، وكانت لعبة فنية رائعة انتهت بفوز الفريق الثاني، وخرجت من النادي لأعود إلى الداخلي... وعندما وصلت كان التعب قد

أنهكني ولم يكن في الغرفة سوى صديق واحد... كان الهدوء يخيم على المكان... واستلقيت على السرير... وسرعان ما سرح فكري في عوالم ليست لها حدود...

١٦ نيسان

أريد أن أكتب... شأني في كل يوم... لكني أقف حائراً... أيُّ موضوع أكتب فيه؟ وفي كثير من الأحيان تتملكني هذه الحيرة... لست أدري... فإن هناك دافعاً ملحّاً يدفعني لأن أملي جميع صفحات هذه المذكرات .. وفي أيام أخرى أجد من الأحداث اليومية مادة للكتابة... ومن الانفعالات والأفكار صفحات كثيرة متتالية... وعندي أن المذكرات ليست للأحداث فقط كما يعتقد الكثيرون... إنما للتفاعل النفسي... للألم الشاق وللسعادة والانشراح... للتغرّب الذي يشعر به الإنسان الحساس في الأيام الأولى من فراقه لوطنه الصغير (المدينة)... للإحساس بالجمال... للإيمان الذي يرفع الإنسانَ درجاتٍ من السموّ والانطلاق... للفراغ النفسي الذي ينتاب الإنسان أحياناً، فلا يجد للحياة أيّ طعم أو لذة، ويشعر بالملل والسأم يأخذان طريقهما إلى نفسه... ولأشياء أخرى كثيرة تكون النفس الإنسانية مسرحاً لها... وكذلك للأفكار التي يؤمن بها الإنسان ويصل إليها عن طريق تأمّله للأشياء والكون والإنسان والحياة، وتحليله لما يراه ويمسّه... وللمثل العليا التي يراها الإنسان مصابيح تنير له الطريق الشائك المظلم... أي أن تمثل هذه المذكرات (الإنسان) في إحدى سنيّ حياته...

١٧ نيسان

كان ثمة احتفال صامت في نادي الكلية بمناسبة يوم الجلاء في سوريا... جلس الجميع لا ينبسون ببنت شفة... نصف ساعة وانفضت الجلسة أو الاحتفال كما يقولون!! ذهبنا إلى إحدى دوائر الصحة لأخذ أشعة الرئتين وقد ضاقت أنفاسنا هناك... إن ظلال المرض والضعف والانهيار... ظلال الموت أيضاً... يخيم على كل مكان يعالج فيه المرضى...

وعندما خرجنا دخلنا في طريقنا إلى متحف التاريخ الطبيعي، ورأينا هناك أنواعاً من الحيوانات والطيور المحنطة أسراباً ووحداناً... معروضة داخل معارض يمثل كل منها طبيعة المنطقة التي يعيش فيها ذلك الحيوان... ففي أحد المعارض منظر لعدة بحيرات تجمد ماؤها، وحولها أرض خضراء تنتشر فيها أزهار الشتاء وأشجار الصنوبر والسنديان المرتفعة... كان مجالاً صامتاً لكنه رائع... وكنا مسرعين فلم نتفحص ما كان هنالك من غرائب الحيوانات...

وفي الساعة الخامسة ذهبنا إلى المطار لاستقبال بلقاسم نائب رئيس الوزراء الجزائري... وكانت النهاية عجيبة وخطرة بيننا وبين الشيوعيين... ولكن الله ﷻ سلّم وأنجانا من الطابوق المنهمر علينا بغير حساب... ومن نطاقات الجنود البواسل!!

١٨ نيسان

ها قد حانت الدقائق التي أعيش فيها على صفحات هذه

المذكرات... لأكتب كل خاطرة وكل إحساس وكل حادثة لها في أعماقي أثر كبير... ألا إن التعبير عن الأشياء تخليد للأشياء ذاتها... والإنسان الذي لا يعرف الحواجز المطلقة، قد أعجز حتى الزمن الذي يقف حاجزاً كبيراً أمام الإنسان، يريد أن تفنى كل الأشياء وتمضي في عالم الإنسان... ولكن طموح الإنسان لا يؤمن بالفناء... يأبى إلّا أن تبقى الأشياء وإلا ألا يكون هنالك عدم... وقد حقق ما أراد... ذلك أنه عبّر عن كل الأشياء التي أراد لها الخلود... فكان لها الخلود...

وكان الفن والأدب هما الوسائل لتحقيق أهدافه، التي تحدى بها الزمن الهائل الجبار... وها نحن نرى ونعرف وندرك كل مأساة عاشها الشعراء والفلاسفة في قرون خلت... وكل قبس من قبسات الفكر الإنساني الذي يهزأ بالحدود... وكل العواطف النبيلة والمشاعر السامية التي رفعت الكثيرين قبلنا، وحلقت بهم فوق مستوى الرعاع... فلقد حقق الإنسان بالفن والأدب ما كان يطمح إليه من أمنية كبيرة تحدى بها الزمن: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]...

٢٢ نيسان

الله... والإنسان الذي خلق... والكون الذي خلقه قبل الإنسان... والمكان الهائل الذي احتله الكون... والزمان البعيد الممتد الذي سبق الإنسان والكون والمكان... والله العظيم المطلق الذي أراد فكان الزمان... أراد فكان المكان... أراد فكان الكون... أراد فكان الإنسان...

وقيمة الإنسان في روحه التي يؤمن بها وعقله الذي يدرك به... ولا إيمان بدون إدراك، ولا قيمة للإدراك بدون إيمان... فإن أدرك وآمن فقد عاش الحقيقة وحقق وجوده في الحياة... للإنسان طاقة باستطاعته أن يضبطها من أن تتبدد وتذهب جفاء... باستطاعته أن يوجهها في طريق ترسمه الفطرة ويقرّه العقل...

هنالك تنتج تلك الطاقة أشياء تخلد الإنسان وترفع الإنسانية درجات... وتحدّ من انحراف القيم، وتوسع مجالات الإنسان الخيرة وتسهم في سحق الشر... فالإنسان الذي ضاع في غمرة الحياة ولم يحقق وجوده... إنما هو طاقة مبددة لا تستطيع أن تستجمع قواها لتنتج وتبني وتهدم وتحطم... وبإدراك الحقيقة... بإدراك الله والإيمان به يجد الإنسان نفسه...

٢٥ نيسان

قلت لطالب معي في الداخلي ونحن عائدون من الكلية إلى القسم... والشمس تصلينا ناراً حامية... اذهب بكتبي إلى الغرفة فسأمر أنا إلى ساحة الكشافة، لأرى هل سيجري السباق النهائي لألعاب الساحة والميدان اليوم؟

وعندما اقتربت من الساحة لم يكن هناك ما ينبئ بوجود استعراض نهائي... ولكني دخلت الساحة وجلست في مكان منها... وفي الرابعة بدأ السباق... وانقضت ثلاث ساعات كنا نتابع فيها أبطال الرياضة في العراق وهم يسجلون أرقاماً قياسية جديدة أو يهبطون بأرقام. ثم دخلت المكتبة لأدرس شيئاً من علم النفس...

وفي العاشرة عدت إلى الداخلي وجلسنا نتحدث ونضحك ونطالع ونكتب... والبعض يجلس على هذا السرير أو ذاك... والآخر يتحرك ولا يستقرّ بمكان... وهناك من يجلس على سريره يدرس ولا ينبس ببنت شفة... والآخر يغطّ في نومه منذ ساعات... والآخرون لم يأتوا بعد... وإذا جاء أحدهم زادت الضوضاء... ثم تطفأ الأضواء، فأضطر لأغلاق ما بيدي لأنام أنا الآخر...

٢٧ نيسان

كنا هذا اليوم ننتظر ساعة الامتحان في علم النفس... ليس حباً به، ولكن تخلّصاً منه... وقد جلسنا في المكتبة نقرأ ونعيد القراءة، يتخللها ضحك طويل، إن هو إلا وسيلة لتخفيف التوتر الناشئ عن الدراسة...

وعندما دخلنا القاعة وجاءتنا الأسئلة نظرت إليها فعرفت أن الساعتين والنصف لا تكفيان لحلّها جميعاً... ومع ذلك فقد كان عدد الفراغات التي تركتها أقل بكثير من الامتحانات السابقة... وخرجنا من القاعة بعد انتهاء الوقت بدقائق عديدة... خرجنا ونحن نشعر بارتياح... وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فمنهم من يندم، ومنهم من يستبشر...

ذهبت أنا وأحد الأصدقاء إلى كلية الحقوق لنشاهد سباقاً في كرة السلة... ولكنا لم نجد هناك أي سباق. فجلسنا مع أحد الأصدقاء ثم عدنا إلى الكلية... وفي الساعة السابعة والنصف كنت أجلس في حديقة قاعة الشعب لمشاهدة بطولة الجيش في

المصارعة، وقضينا ساعة ممتعة... عدت بعدها إلى الداخلي حيث دار جدال هو أشبه بالعراك منه بالجدال... ذلك أن طالباً بعثياً قال: أنا أرشح مسيحي لرئاسة الجمهورية إذا تمت الوحدة... فلا فرق أبداً بين أي مرشح عربي!!

٢٩ نيسان

أنا أحب ذلك الأدب الذي يعبِّر عن الإنسان، عندما يمرّ بتجربة نفسية تنفتح من خلالها معاني الأشياء لعقله، وإحساسات الحياة لنفسه، وتحقق له الانطلاقة السريعة في عالم الروح... فمن خلال تلك التجربة يتحتم على الإنسان أن يعبِّر عنها، وعن كل الصور والظلال التي تتفجر عنها وتنتشر حواليها...

فالأدب الذي يعبِّر عن الأشياء السريعة الذاهبة... عندما يعبِّر عن أشياء لا تتعمّق الحياة... عندما يكون مجرّد مرآة لسطحيات، وصورة لفقاعات تطفو على السطح، ولا تلبث أن تتبدد وتفنى... هذا الأدب لا يستطيع أن يفرض نفسه على الخلود... وأن ينطلق وتحديات الزمن جنباً إلى جنب... إنه تماماً كالأشياء التي عبّر عنها لا يلبث أن يذهب أو يتبدد أو يفنى...

أما الذي يعبّر عن تجارب عميقة يمرّ بها الإنسان... في كل جيل وعلى طول الزمن... لأنها عنصر من عناصر الإنسان ذاته... تلك التجارب التي تتعمّق الحياة والأشياء، وتتوسع في مدركات العقل ومجالات الروح... فإنه الأدب الخالد، الذي يسير مع الزمن، لأنه كالخبرات التي صوّرها في عمقها وحيويتها وقدرتها على البقاء...

٧ مايس

الحرّ والبعوض والدراسة... أعداؤنا التقليديون في هذا الشهر الأخير من الموسم الدراسي... لشدّ ما نعانيه من إرهاق في هذه الأيام... لكأنها ضريبة يجب تأديتها لكي نتمتع بعد ذلك بأشهر طويلة، كلها راحة واستقرار ومتعة... إن ثمة عادة مزعجة تسيطر علينا هي عدّ الأيام واستعجالنا إياها... إننا نريدها أن تمضي سريعاً... إننا ندفعها دفعاً تماماً كما ندفع شيئاً ثقيلاً يكلفنا دفعه الكثير من الجهد والإنهاك الجسدي... أما هنا فجهد وإرهاق نفسي... وأي إرهاق؟!

والأشياء المزعجة في هذه الحياة تجتمع مرة واحدة لتشقي الإنسان... إذ إن امتحاننا سيكون مساء في الساعة الرابعة، وسيزيد ذلك ولا شكّ من إرهاقنا... على أية حال، فإن الأضواء الجميلة التي تشعّ في نفوسنا بين الحين والحين، كلما تذكرنا الأشهر القادمة وكيف سنقضيها... تقلل من هذا الإرهاق الذي خلقته شتى المزعجات... وعندما يمضي اليوم الأول من الامتحان... فستسرع باقي الأيام شأن كل الامتحانات... وسيأتي اليوم الذي نودع فيه بغداد غير مأسوف عليها...

٨ مايس

الشعر هو انعكاس ذاتي... إنه مرآة صافية لذات الإنسان... إن طبيعته هي طبيعة الإنسان نفسه... وكما أن هذه الطبيعة تنطلق على سجيتها وتتخطى الحدود الزائفة التي تريد أن تغلّها...

كذلك الشعر ينطلق مع طبيعة الإنسان، متخطياً الحواجز والحدود، التي تريد أن تفرض عليه اتجاهاً لا ينسجم وطبيعته... عندما يقال للشاعر: لماذا عبرّت عن هذا الشيء؟ لماذا لم تعبّر عن ذاك؟ لكأنما يقال له: لا تعبّر عن طبيعتك التي فطرت عليها...

ومن الجهل بطبائع الأشياء أن يقنن الشعر، أو أي مجال من مجالات الفن... أي أن يرسم له طريق معين يتحتّم عليه السير فيه... وحدود ثابتة يجب عليه ألا يخرج عليها... وغاية معينة يتوجب عليه أن يسعى من أجلها وحدها دون سواها... إن ذلك يخرج بالفن عن جوهره إلى شيء يصنع كأية مادة يحولها الإنسان بطرق معينة إلى ما يشاء من أشكال... فالفن يجب أن ينطلق دون أن تقف أمامه أية حواجز... وبكلمة أخرى: دون أن يؤمر!! لأن الفن هو ذات الإنسان... هو جوهر الإنسان... ولكل إنسان جوهر يختلف عن الآخرين، ويجب على الفن أن يحتويه ويظهره للوجود...

١١ ـ ١٣ مايس

إن الفن هو الجمال ذاته... لست أدري أين قرأت هذه العبارة «ليس الفن هو الجمال فحسب وإنما هو القبح أيضاً»... ويعني كاتبها أن الفن الذي هو وسيلة فقط للتعبير، قد يعبّر عن الشقاء، وعن المعاني الشائهة... وعن الانحراف... وعن تحطم القيم... وعن الإنسان عندما ينحدر بعيداً عن الأفق العالي الذي أريد له... في ذات الوقت الذي يعبر فيه عن السعادة والإشراق والتكامل والانطلاق... أي الجمال في شتى مجالاته وصوره وظلاله... وأنا

مع ذلك أقول: إن الفن هو الجمال ذاته... لأن التعبير الدقيق عن الشقاء لن تقدر عليه إلا قدرة خلاقة بارعة متعمّقة متكاملة مدركة... وهذه الصفات تحسب في شق الحياة الجميل... فهي قدرة جميلة ونتاجها جميل...

فإن كان الفن وسيلة... مجرّد وسيلة... فنتاج الجمال هو الجمال... وإن كان الفن غاية، فإن الجمال هو الجمال... وإن كان الفن وسيلة وغاية في ذات الوقت... فلا يخرج في ناحيتيه عن حدود الجمال.

إن لذة الألم هي انعكاس للشقاء عندما يراه الفن... فعندما ينظر الإنسان إلى الأشياء بعين الفن... أي عندما يلمسها بروحه... ويدركها بفكره... ذلك الإدراك الذي تمتزج فيه قوى الإنسان في أعمق مدياتها... عندما يصل إلى مرتبة الإلهام... يرى في الأشياء أشياء لا يستطيع رؤيتها في وقت آخر... عندما تدور نظراته هنا وهناك تريد أن تعرف فقط وتقنع بالمعرفة.

إن روحه تهتز نشوى... وفكره يتمتع بما كسبت يداه... إنه يحيا لحظات هي جوهر الحياة... لحظات يتحول فيها أشقى الشقاء إلى أسمى مراتب الجمال والسموّ والسعادة... إنه يسمو حتى على نفسه... لأن نفسه تغلّها أحياناً قيود وقيود...

فما الفن إذن؟ ما طبيعته؟ وما تكوينه؟ ما هي الصعدات التي ترفع الإنسان وتفجّر فيه ينابيع الإبداع الفني؟ وهل الفن عندما يعبّر عن الشقاء والتعاسة ويهز النفس الإنسانية... وهو

يتحدث عنها وفق رؤيته الخاصة... ألا يعني ذلك أنه يتمتع بدرجة من الجمال لا تستطيع إتيانها إلا قدرة مبدعة؟!

ومن الأشياء التي ألفتها أني عندما أمسك بالقلم لأعبّر عن فكرة ما، لا تحتاج لأكثر من كلمات معدودات... إني أراها تتفجر وتتّسع وتدفع بالقلم سريعاً سريعاً لكي لا تفلت منه... أرى أفكاراً تتدفق دون أن يكون لها وجود في مجال إدراكي قبل ذلك... وعندما تنسكب على الورق أرى ثمة أدلة متلاحقة تنسكب هي الأخرى على الورق، لتصل بتلك الفكرة إلى شيء من المنطق، لكي يقرها العقل ويطمئن لها القلب... أرى فكرة وأرى أمامها فكرّةً أخرى تناقضها... ولست أدري كيف أؤمن بإحداهما دون الأخرى ولماذا؟ وتسرع الأدلة ـ مرةً أخرى ـ لتثبت أن الفكرة المناقضة يجب أن تستبعد من مجال الإيمان بها والاطمئنان إليها...

والشعر... يا لروعة الشعر... إن الإنسان كله وليس فكره فحسب، هو الذي يفجر المعاني ممتزجةً بموسيقى تعزف بكل روعةٍ وجلال... إذا قلت إنه يسكر بخمرٍ حلال ليعود من بعد سكرته فيجد أمامه قصيدة متكاملة... فلست أدري كيف حدث ذلك سوى أن أقول: إن القلم هو الذي جاء بها من البعيد... من منطقة (اللاوعي) تلك المنطقة التي تفجر أسمى شعر... وأعذب القصائد... وأبدع الكلمات...

٣١ مايس

وانتهينا من الامتحان بعد جهد ومشقة يصعب وصفها...

والحمد لله أولاً وأخيراً... وكأننا تنفسنا الصعداء... والآن فإن لنا أن نذهب أنّى شئنا... خرجت مع صديق إلى باب المعظم لنشهد حفل توديع طلاب الجامعة في مقرّ الحزب الإسلامي هناك... ألقيت فيه كلمات وقصائد وأسئلة أجيب عنها... وخرجنا في نحو الساعة العاشرة مساءً... عبرنا جسر الشهداء وأتينا الكرخ، وجلسنا في إحدى الكازينوات المطلة على دجلة... وكان هنالك بعض الأصدقاء. وعندما قاربت الساعة الثانية عشرة عدنا في إحدى الباصات إلى باب المعظم، ومنه إلى القسم الداخلي...

عندما دخلت الغرفة لم يكن هناك سوى ثلاثة فقط... كان معظم الأصدقاء قد سافروا ولم يبق إلا هؤلاء الثلاثة، الذين يغطّون في نوم عميق... وكنت تعباً جداً... فاستلقيت على السرير لأنام دون أن أعدَّ شيئاً من لوازمي استعداداً للسفر... وقبل أن يأخذ النوم عيني... راح فكري يطوف في عوالم بعيدة من الإدراك والشعور... ولم يهدأ إلا بعد النوم الذي ينسى معه الإنسان كل شيء...

٣ حزيران

بدأت بوضع ما أتيت به من كتب في المكتبة، وبذلك استطعت أن أضيف رفّاً آخر إلى الرفّين السابقين في هذه المكتبة. وكنت بين الحين والآخر أتصفح أوراقاً قديمة ورسائل أقدم... وكم يلذ لي أن أقرأ ما كتبته في الماضي أو ما كتبه لي الأصدقاء... إنها تنقلني إلى أجواء عشناها من قبل، وتجعلني

أحسّها بكل ما فيها من مشاعر. وكنت أيضاً أتصفح بعض التصاوير حتى حان موعد الغداء، فأكلت وخرجت إلى السوق.

لم أعد إلا بعد العاشرة مساء... وانتهى هذا اليوم، وبانتهائه يكون هذان الشهران اللذان يفصلان بين العيدين قد انتهيا، وكان فيهما أشياء وأشياء... لو استرجع الإنسان شهراً واحداً عاشه من حياته لرأى فيه لوحة صادقة تمثل الإنسان كما هو... فثمة أشياء متناقضة وأخرى متّسقة... هذه الأشياء التي تصطدم حيناً، وتسير باتجاه موحّد حيناً آخر، هي التي تحتل هذه اللوحة الأمينة التي تصوّر الإنسان... فما الحياة سوى مشاعر وأفكار وحركات، لا يخلو منها يوم من أيام الحياة... ومن خلالها يرى الإنسان ذاته بكل جلاء ووضوح...

٤ حزيران

استيقظت على صوت كبش العيد يصيح في حديقة الدار...

وعندما أطلّيت من جدار السطح رأيت ثمة قصابين يدفعان به إلى الطرف الآخر من فناء الدار... وبعد التكبير عليه، وضع أحدهما قدمه على جسم الكبش وأعمل في عنقه السكين... كان الإغفاء لا يزال يداعب عيني... فلم أحسّ بأي شيء تجاه هذا الكبش المسكين؛ الذي سالت دماؤه القانية على الأرض أمامي تماماً... والإنسان يسخر من نفسه، عندما تجمد أمام مناظر تهزّ النفس الإنسانية ولو هزّاً رفيقاً... فكيف لا يسخر من نفسه وهو يجدها تجمد من الإحساس والشعور وهو يذبح أخاه الإنسان

ويقطعه كما يقطع هذا الكبش المسكين؟! كيف لا يحتقر الإنسان نفسه عندما يهبط من مستواه الإنساني الذي فُطر عليه إلى مستوى الحيوانات الشرسة؛ التي تعمل كل شيء لتأكل وتعيش؟!

ألا سحقاً للمبادئ التي لا ترتفع بالإنسان!... ألا سحقاً للمبادئ التي تهبط به إلى مستوى الحيوان!... ألا سحقاً للشيوعية!...

١٦ حزيران

(ديوان رامي) تأليف أحمد رامي... ديوان صغير نسبياً ضمَّنه أشعاره التي نظمها فيما بين (١٩١٦ ـ ١٩٣٠م)، وهي قصائد لا تعدو أن تكون المرحلة الأولى لشعر أحمد رامي... ولست أدري هل أعقبها بقصائد أعمق... أم أنه استمر على نسقه الذي نجده في ديوانه هذا... وقد عالج فيه موضوعاً واحداً كثيراً ما نراه يكرر فيه ذات المعاني... فمزق إذا شئت من الديوان نصفه دون أن تخسر شيئاً... كل قصائده تدور على هجر الحبيب وجفاه... ثم لقاءه ووفاءه... وألم الشاعر لفراق حبيبه هذا، أنه سوف يظل على عهده مهما نكث الحبيب، وانه سوف يتجاهل الظنون وما يقوله الناس... إنه سوف يعيش على اليقين... هكذا... دائماً...

وفي حنايا الديوان نلمس تلك الروح الإنسانية المتألمة... روح الشاعر الذي يهفو إلى أشياء لا يدري كنهها... الروح الغريب في هذه الحياة... ولكن ما نلمسه ما يلبث أن يدفن في غمرة من القصائد الدائرة في أفلاك من المعاني الضيقة السطحية... وأسلوب الشاعر واضح يخلو من الغموض، لكنه وضوحٌ أعتقد أنه

يرجع إلى عدم تعمّق الشاعر جوهر الحياة، وإلى عدم تكامل عقدة الألم الإنساني في أعماقه...

٢٣ حزيران

(صرخة في واد) ديوان شعر للشاعر محمود غنيم... والذي يقرأ الديوان يخرج منه برأي واضح هو بيان غنيم... أعني هذا الوضوح الذي لا يشوبه أي غموض... يعبّر عنه أسلوب سلس قلّت فيه إلى درجة كبيرة الكلمات الغامضة التي لا تجد معناها إلا في المعاجم... وهذه السلاسة لا تؤثر في المعاني التي يهدف إليها الشاعر في شيء، ولا تؤثر في العمق الذي يريده... ذلك أنه نوع من الشعر الذي ينتمي إلى مدرسة معينة هي مدرسة حافظ وشوقي...

أعتقد أن تلاميذها يقلّون على مرّ الزمان، يقابلها المدرسة الحديثة، التي تتعمّق الإنسان إلى درجة بعيدة، وتسلك طريقاً يساعدها على ذلك، هي هذه التعابير ذات الصور العديدة والظلال المتناثرة... وهي تلك الموسيقى التي تعزف فيظن في عزفها معاني عميقة يستخرجها الشاعر من قلب كل إنسان...

إن البراعة الفنية التي ينتمي إليها غنيم في مدرسته تلك إنما هي السلاسة والوضوح والبيان... وديوانه هو حقيقة صادقة لهذه الصفات... فغنيم إذن شاعر قدير... وديوانه صرخة في أتباع المدرسة التي ينتمي إليها، والتي هي بحاجة إلى الإصلاح والتدعيم...

٢٦ ـ ٢٧ حزيران

(عاشقة الليل) ديوان شعر للشاعرة نازك الملائكة... ومن خلاله ترى إلى تلك النفس التي تتعذب عذاباً يفجّر فيها معاني الألم؛ الذي ينبت بوجوده الفن الرفيع... إنه تحليل لمشاعر إنسانية ضاع منها شيء... فهي تريده ولا تريده... وهنا تعرفه الشاعرة... لأن من الأشياء الضائعة ما لا يعرفه الإنسان ويضل في شوق ملتهب إلى (لست أدري)... ومنها أشياء يعرفها...

وعاشقة الليل ضاع منها الحبيب، ومع الحبيب ضاع الماضي، وضاعت السعادة في ثناياه... ولكنه ضياع أدى إليه عنصر الغدر والمخاتلة، وربما الانحطاط في الإنسان، إن كانت هذه المعاني عنصراً في الإنسان... وهنا كان من الشاعرة شيئان متضادان، فهي تريد وتشتاق... وهي لا تريد وتنفر... هكذا في غمرة من الصراع الذي هو في شقيه محض ألم، نرى عاشقة الليل تدفع بفنها إلى الوجود...

في الديوان سمة التشاؤم... وثمة أشياء كوّنت في نفسها هذه السمة لا علينا منها... في الليل تجد الشاعرة ثمة أشياء تستطيع أن تلقي إليها كل الآلام وكل المشاعر وكل الخواطر التي تمرّ بتجربتها (نازك)... لأنها ترى في الليل كوة واحدة، ولكنها عميقة وبعيدة تطلّ منها على الوجود، وتمعن النظر فيه حتى لتكاد تحسّ بأنها شيء من أشيائه، وأنها عنصر من عناصر الطبيعة ليس إلا... هنالك تشاركها الطبيعة ألمها العاتي، ويشاركها الليل تشاؤمها الأسود...

مرضت نازك، وأصابتها الحمى، وحتى المرض إنما هو تجربة ومقياس... فأولئك العاديين يمرضون فلا يشعرون بشيء من معاني النفس... أما هذه الشاعرة فقد مرضت فجاءت هذه القصيدة الموسومة بـ (إلى فكّي الموت) وأروع ما فيها هذه الأبيات:

يا عيون النجوم... يا ورق الصفـ ـصاف... يا فتنة السكون وداعا
لن أغنيك بعد ليلي هذا آن أن ينشر الزمان الشراعا
عبثاً يا حياة دفعي للموج فلن أستطيع بعد... دفاعا
وغدا سوف يطمر اللج أشلائي وتمضي بها الرياح سراعا!!

هكذا وبهذا العمق تخاطب نازك الوجودَ بكلمات فيها عشق للّيل... وفيها تشاؤم حزين... وفيها شوق مجهول...

١ ـ ٣ تموز

(رباعيات عمر الخيام) تعريب وديع البستاني... إن في رباعيات الخيام شيئاً يجذب القارئ، هو الذي جعلها تنتشر هذا الانتشار الواسع، فترجمت إلى لغات عديدة، ثم إلى اللغة العربية، حيث كانت هذه المجموعة هي فاتحة الجهود في هذا السبيل... وكانت فاتحة رائعة...

إنها نظرات إلى الكون والحياة والإنسان... إنها فلسفة قائمة بذاتها، أو هي كما يقولون (نسيج وحدها)، لأنك تحسّ بأن لها روحاً متميزة وسمة واضحة... تلك الروح هي التي ينفخها

الفيلسوف القدير في فلسفته، والشاعر المبدع في شعره، والفيلسوف الشاعر في شعره الفلسفي...

ولا علينا عندما نقرأ بعض هذه الرباعيات، فنراها تتأرجح في مجال الشك والتعصب في النظر إلى الأشياء... وربما يفغر البعض فاه عندما أقول التعصب، بلى إن الإنسان عندما تسكره النشوة، أيّاً كان مصدرها، وعندما يشيح وهو في غمرة من تلك النشوة عن الحقائق ويظن أنها أوهام... وعندما يمزج بدون تفحص بين حقيقة الأشياء وبين واقعها الإنساني... انما هو يتعصب لشيء، مهما يكن ذلك الشيء...

لا علينا عندما نقرأ ذلك أن نطرب وننتشي، وتلك هي طبيعة الإنسان... إنه فن بمعنى الكلمة يجذبك بروحه، وبأسلوبه وبموسيقاه... وأنت تستطيع وأنت تقرأ أن ترسم لنفسك أجواء حالمة لتعيش فيها، تماماً كما فعل المنفلوطي عندما تخيّل الخيام في مكان تظلله الأشجار، وتعزف فيه مياه الأنهار، وتغني الأطيار...

ومن هناك حيث يجلس الخيام مع قمره وشعره وحبيبته... ينطلق لينظر إلى الكون والحياة والإنسان نظرة في صميمها روح المأساة... مأساة هذا الإنسان في هذه الحياة، ومن هناك يرى أول ما يرى أن المادة إنما هي شيء سيفنى ولا يدري أين يذهب؟.. وأن الروح ستنطلق بعدها إلى لا مكان... وأن هذه الحياة إنما هي شقاء محض؛ إن سلكنا فيها طريق الأوهام والزيف... فلنشرب ولننتش، فما الحياة في جوهرها إلا نشوة الروح...

لات يـومـي والـعـمـر سـكـراً تـقـضّـى
لـم أفـوّت لـلـخـمـر عـمـري فـرضـا
هـات إبـريـقـهـا وقـم نـتـوضـا
ولـيـقـولـوا أنـي هـتـكـت الـسـتـارا
وتـبـهـدلـت فـي عـيـون الـسـكـارى
أنـا نـعـم الـمـسـتـور إن شـق سـتـرى
وتـسـربـلـت نـشـوتـي سـربـالا

هكذا وبهذه الروح المنتشية، هارباً من المأساة، يغني الخيام:

«فـبـأوراق كـرمـةٍ كـفّـنـونـي
وبـجـرم بـيـن الـدوالـي ادفـنـونـي
واغـسـلـونـي بـالـخـمـر صـرفـاً سـلافـا
سـلـسـبـيـلا صـفـوا زلالاً حـلالا»

وعندما يحسّ بمعاني الفناء تمشي إليه لتدفنه في التراب... كما دفنت من قبل آخرين، اجتازوا مسرح الحياة بالشدو والغناء... فإنه يؤمن إذ ذاك بأن ثمة خلود ينتظره تحت التراب... إنه سيحترق هناك... ولكنه يريدها، لتطفئ غلته وتروي رفاته:

«وبـكـأس الـسـلاف قـف فـوق قـبـري
واسـكـب الـخـمـر فـوق عـشـبـي وزهـري
دمـعـة دمـعـة مـن الـكـأس قـطـرا
وارحـم الـحـي كـان كـونـا وحـالا»

٤ تموز

(القيثارة) ديوان شعر لإلياس أبي شبكة... إن للزمن أثراً كبيراً في حكمنا على النتاج الفني... ففي هذا الديوان صعدات وأسلوب جديدان إلى درجة ما في العصر الذي كتب فيه هذا الديوان... لكنها صعدات لا تتعمّق الظواهر والأشياء كثيراً، وأسلوب لا ينطلق كثيراً، إلا انهما بالمقارنة مع شعر عصره نراه ينطلق... اسمعه يقول:

أسمعيني لحن الردى أسمعيني   فحياتي على شفار المنون
واذرفي دمعة عليّ فبعد الموت   لا أستحل أن تبكيني
يا سليمى أغنية الموت هذي   ومراراً أنشدتها في جنوني
فاسمعيني أعيدها من قريب   فقريباً يحين يوم الدين...

هكذا وبهذه الروح المتشائمة انطلق أبو شبكة يعبّر عن مشاعره وعن أحاسيسه الأليمة السوداء... لقد مرّ بتجارب شتى... وعاشها، ثم انطلق يعبّر عن تفاعلات نفسه إزاءها.

إننا إذا أردنا أن نحلل الأغراض التي عالجها الشاعر في ديوانه هذا؛ وجدنا فيها ثورة على الواقع السافل المنحلّ... على الاستغلال والجمود... على الإنسان الضائع في غمرة من الأنانية والجهل... على الشعب المستعبد المغلول... ولكن الشاعر تعميه الثورة أحياناً فيكفر... وهذا محض جهل بطبيعة الظواهر والأشياء...

١٦ تموز

خرجت في الخامسة مساء إلى كازينو الخيام ومعي صديق عزيز... هو أوفى صديق في هذه الحياة، ذلك هو (الكتاب)، وعندما استرحت قليلاً بدأت أتصفح ديوان الشوقيات الذي رافقني هذا اليوم... كان يحوي بين دفتيه أروع القصائد التي تهز الإنسان... فهذه قصيدة يقول فيها:

شيعت أحلامي بقلب باكي   ولممت من طرق الملاح شباكي
يا جارة الوادي طربت وعادني   ما يشبه الأحلام من ذكراك

وتلك أخرى يقول فيها:

اختلاف النهار والليل ينسي   فاذكرا لي الصبا وأيام أنسي

وأخرى يقول فيها:

في مهرجان الحقّ أو يوم الدم   مهج من الشهداء لم تتكلم...

وأخرى يقول فيها:

يا ناعماً رقدت جفونه   مضناك لا تهدا شجونه
حمل الهوى لك كله...   إن لم تعنه فمن يعينه؟

وأخرى يقول فيها:

هل تيّم البان هديل الحمام   فناح فاستبكى جفون الغمام

وأخرى يقول فيها:

ردت الروح على المضنى معك   أحسن الأيام يوم أرجعك

وبينما أنا غارق في هذه الإبداعات إذا بصديق يقطع عليّ المتعة... فأضطر لإقفال الديوان والانصراف إليه...

١٣ آب

في الصباح أتممت مطالعة كتاب (أبو ذر الغفاري)، وعشت في أجواء الإنسان الحقّ عندما يسخر ـ بما له من إرادة ـ من كل براقع الزيف؛ التي بدأت تلقي ظلالها السوداء على المجتمع آنذاك... عندما يريد شيئاً تمليه عليه إنسانيته التي آمنت ـ الإيمان الحي ـ بالمبدأ الإنساني الخالد... الإسلام... فيصرخ في وجوه كل أولئك الذين يتنعمون على حساب ملايين الأشقياء... ولا يأبه بعد ذلك لشيء؛ لأنه هتف بالحق الذي يؤمن به ويعيشه...

ومؤلف الكتاب هو قدري قلعجي، مخرج سلسلة (أعلام الحرية)، وطريقته في عرض الأحداث شيقة وأمينة... ولكن تعليقه على أحداث وشخصيات تلك الفترة؛ فيه شيء من الانحراف عن الحقيقة التي تحتويها كل فترة من فترات التاريخ بأحداثه وشخصياته...

١٧ ـ ١٨ آب

في هذا اليوم رأينا طبيعة الله ﷻ بكل روعتها وجلالها... الطبيعة التي تدعوك لأن تخرّ ساجداً لله ﷻ !! استيقظنا والشمس لم تشرق بعد... وكانت أصوات الطيور تملأ الأجواء... ففطرنا وركبنا السيارة، وغادرنا شقلاوة في طريقنا نحو الشمال الشرقي إلى (كلي عليّ بيك)... وكانت الشمس تصعد في الأفق

الشرقي عندما كنا نحن نصعّد بسيارتنا في مرتفع ثم نهبط إلى وادي ذي زرع كثير...

كان الهواء بارداً منعشاً، وكانت أجواء المكان تفتح النفس على عالم كبير رائع مهيب... وقفنا في إحدى القرى واشترينا بيضاً وعنباً واستأنفنا المسير... وفي البعيد كان يقف ثمة جبل مرتفع... هائل... ذكرني بالآية الكريمة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طـه: ١٠٥]، وتصورت هذا الجبل المخيف ينتثر هباء ويعود قاعاً صفصفاً... فاعترت جسمي رجفة، وامتلأ قلبي بالوجل، وآمنت بالله الجبار... بعظمته... بجبروته... بجلاله...

وكان الجبل يقترب، وقبل أن نحاذيه اعترضنا مرتفع آخر،كان الطريق يتسلقه في دورات منتظمة ولكنها مخيفة... وعندما حاذينا الجبل لم نكن لنستطيع أن نرى قمته إلا أن نحني رؤوسنا كثيراً عبر نافذة السيارة... وعلى الجانب الآخر منه وادٍ عميق يصبّ فيه شلال كبير ذو صوت صاخب ومياه بيضاء متناثرة... هنالك جلسنا وتناولنا غداءنا... وفي الساعة الواحدة كانت السيارة تعود بنا سريعاً إلى الموصل: الجبل... المرتفع... القرية... شقلاوة... صلاح الدين... أربيل... الموصل... ودخلنا المدينة بعد فراق أكثر من أسبوع قضيناه في كركوك...

٢٦ آب

خرجت صباحاً إلى كازينو صغيرة متواضعة في حمام العليل حيث استأجرنا بيتاً... وبيدي قصة (في بيتنا رجل) والتي لم يبق

لي منها إلا الصفحات الأخيرة... وقرأتها هناك بكل شغف ومتعة... وها أنا ذا قد أنهيت هذه القصة الرائعة... إنها قصة الإنسان البطل الذي يحقق وجوده في هذه الحياة... فهو يعطي حتى ذاته في سبيل الغاية التي يؤمن بها ويتفاعل معها... قصة الحب الإنساني الأعمق؛ الذي ينتهي بأن يدفن هو تحت التراب، وتقف هي بعينين دامعتين تنظر إلى السماء لعلها تلقى روحه هناك!!

في القصة أناس يعيشون في عالم الضياع، فتصدمهم الأحداث ليروا من خلالها ذاتهم وقد وجدوها... إنهم الآن يسعون من أجل غاية يقدمون لها حتى ذاتهم... في القصة ذلك الرباط العائلي الذي لا يسمح بالعطاء إلا بمقدار، خوفاً من التشتت والانهيار... ولكن الحقيقة التي هي فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، أعمق من كل ذلك... تعطي وتعطي لتكون حقيقة واقعة... وقد كان...

٢٧ آب

وفي صباح هذا اليوم جلست في كازينو من كازينوات حمام العليل المتواضعة وبين يديَّ كرّاس كتب عليه (إلى الأبد)، وهو قصيدة للشاعر الياس أبو شبكة... وقرأته وأعدت قراءته لأن في سياق أحداثه غموض، لكني تبينت أخيراً بعض الخطوط... إن له قصصاً من الحب اتسمت في النهاية بسمة الغدر والحقد... ثم جاءته هي لتعرض عليه حباً جديداً فيه الصفاء والعطف والوفاء... وتردد... ولكنه رأى في عينيها كل هذه المعاني... وعاشا سنين في

أجواء الحب المحض، يحكي لها عن الذين أحبوا وماتوا في سبيل الحب... يحكي لها عن المجتمع الذي يرفض كل هذه القصص... يريدها أن تتمزق... وأخيراً مزق المجتمع هذه القصة وافترقا... أما الأسلوب فإنه هادئ، منساب، عميق... هذا هو أبو شبكة في قصيدته (إلى الأبد)...

٢٨ آب

وقرأت هذا اليوم (رباعيات الخيام) نقلها إلى العربية أحمد رامي... وفي الكتاب مقدمة عن الشاعر الفيلسوف وعن رباعياته:

سمعت صوتاً هاتفاً في السحر نادى من ألحان غفاة البشر

هبوا املؤوا كأس الطلى قبل أن يفعم كأس العمر كف القدر

هكذا وبهذه الروح الشاعرية المتفلسفة: يسرد الخيام مشاعره وأحاسيسه الممتزجة بأفكاره المتشائمة في رباعيات، كل منها نسيج وحدها... وتشاؤم الخيام يدفعه إلى أن يرشف كل لذات الحياة قبل أن يرشف الموت كأسه، فيدفنه في التراب ويعود طيناً من حيث جاء... طين سوف يقسو الخزاف في صنعه قوارير للشراب... ويقسو الإنسان عندما يدوس على قبره وهو لا يعلم أنه يدوس على صدر إنسان... ومن خلال هذا التشاؤم الثقيل تنفتح ثمة كوى يعيش الخيام من خلالها، هي الشعر والحب والخمر والجمال...

٣ أيلول

انتظرت أحد الأصدقاء بجانب البريد القديم. ولما أن جاء

قمنا بجولة واسعة النطاق في حفلات المولد النبوي الشريف... وعندما حان الظهر عاد كل منا إلى بيته... خرجت وإياه مساء إلى المسبح الذي يطلّ على النهر، حيث سيقام هناك مولد كبير... وفي الساعة السادسة والنصف بدأ الاحتفال وألقيت كلمات وخطب تعرض للإسلام ولشخصية الرسول ﷺ. استمر الاحتفال حتى الساعة التاسعة تقريباً... فقفلنا عائدين إلى البيت...

وهكذا كانت الحدباء في هذا اليوم في حركة دائبة مستمرة تماماً كذكرى العام الماضي... إن الأحداث التي جرت على مسرح العراق، وفي مدينة الموصل بالذات؛ كانت نتيجتها ردّ فعل عنيف وتمسّك بمبادئ الإسلام أكثر وأكثر... كانت المدينة اليوم كلها تهلّل وتكبّر... وتعرب عن اعتزازها بمولد النبي الإنسان الذي قادها إلى مشارف النور...

٤ أيلول

(القرآن والمبادئ الإنسانية) لمحمد عبد الله السمان... وهو كرّاس من سلسلة (الثقافة الإسلامية)... في هذا الكتاب يعرض المؤلف للمبادئ الإنسانية التي كانت هدف الإسلام، والتي أثبتها القرآن في صفحاته الخالدة... ويعتبر المؤلف أن ثمة قيماً ثلاثة هي التي تسعى الفلسفة لتحقيقها، ليسعد من ثم الإنسان، وتلك هي الحقّ والخير والجمال... ويعرض لكيفية معالجة القرآن لها وتكفّله إياها بالنمو والانتشار...

فالحق ووسائله من عدل ومساواة وتضحية وشجاعة، والخير

ووسائله من زكاة وتكافل اجتماعي ومعاملة إنسانية رائعة لليتيم... والجمال الأدبي والمادي وعناصرهما المختلفة، كلها تجدها مبادئ رئيسية في القرآن... يعرضها في عدة مواضع، ويحثّ عليها أكثر من مرة...

وفي الصفحات الأولى من الكتاب يبيّن المؤلف بإيجاز موقف الإسلام من الإنسان مقارناً بموقف بقية الفلسفات الأخرى... إنه في الحقيقة عرض سريع، موجز لمبادئ الإسلام الإنسانية عن جانب محدود... وهو في نهاية الأمر دراسة ناقصة إلى حدٍّ كبير...

٧ أيلول

ذهبت اليوم إلى أحد الأطباء ليخلّصني من زائدة لحمية صغيرة في أسفل أنفي... وانتظرت في العيادة طويلاً... ولما حان دوري قال لي إنها بسيطة سأكويها بالكهرباء... عُدْ مرةً أخرى... فلما عدت في الساعة السابعة انتظرت طويلاً... ولما انتهى من جميع مرضاه دعاني للدخول... وعندما كان يتكلم مع والدي كانت يده تركب الآلة الكهربائية... ثم قال لي أتتحمل قليلاً من الألم؟ فقلت له: بلى... ووضع الآلة على أنفي فشعرت بألم شديد إلى درجة فظيعة، فقفزت أريد الوقوف من شدة الألم... ولكنه قال: مرّةً أخرى فقط... ووضع الآلة المرة الأخرى... فأذاقني نفس الألم ولكن لعدة لحظات... وهكذا خلّصني منها والحمد لله...

وخرجت وأنا أفكر في الجحيم... في البشر ـ وأنا منهم ـ

الذين سيذوقون العذاب في أعماقها ـ إلّا برحمة من الله ـ كيف ذلك؟ كيف سيتحملون مسّ النار أياماً بل سنين طوالا... هنالك آمنت برحمة الله، وأنها فوق كل شيء... وأنها واسعة تسع الأشياء... كلها... كلها... ﷻ ... الذي **(وسعت رحمته كل شيء)**...

١٢ أيلول

(أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة) لأبي الأعلى المودودي... والذي يقرأ هذا الكتاب يخرج بوجهة نظر واضحة عن أسس الرأسمالية والشيوعية والنازية والفاشية والإسلام.

في الفصل الأول يستعرض المبادئ الكبرى الثلاثة، وفي الفصول الأخرى يأتي إلى الأسباب والعوامل التاريخية لنشوء النظام الرأسمالي، وللثورة الشيوعية ومبدئها... ثم لرد الفعل الذي أحدثته تلك الثورة متمثلاً في النازية والفاشية، وبعض الإصلاحات الرأسمالية التي لم تغير من طبيعة هذا النظام إلذي يقضي على المصلحة الجماعية...

وباستعراضه للإسلام ولطبيعة نظامه الاقتصادي؛ يتضح ذلك التوازن الرائع بين الفرد؛ الذي يمتلك حريته ومعاشه، وبين المجتمع الذي يسوده التكافل الاجتماعي...

ويأتي أخيراً إلى عناصر هذا النظام وإلى طبيعتها، حيث تتضح منها جميعاً خصائص متميزة للإسلام، هي ذلك التوازن بين القيم المادية والروحية... وبين الفرد والجماعة... توازن

افتقدته المبادئ الأخرى، فأدى إلى فشلها وإلحاقها الأضرار الإنسانية بالفرد والمجتمع على السواء...

١٤ أيلول

(الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية) لأبي الأعلى المودودي... وهي محاضرة ألقاها في مؤتمر الجماعة الإسلامية في باكستان، ثم نقحها ـ وهي خطبة مرتجلة ـ فكانت هذا الكتاب القيم... وفيه يوضح الأسس التي يجب أن ترتكز عليها الحركة الإسلامية لكي تبلغ أهدافها... إنه يعتبر هذه الأسس ماديات ومعنويات. ويعتبر الأخرى ذات شقين: الأول هو الأخلاق الإنسانية الأساسية، والثاني هو الأخلاق الإسلامية... فبهذين الشقين وبالوسائل المادية يكون النجاح المحتم...

ويقرر المودودي بأن للأخلاق الإسلامية قوةً كبيرةً جداً توازي قوى المادة تقريباً... فبها استطاع المسلمون الأوائل كسب النصر في جلّ معاركهم رغم قلة وسائلهم المادية.

والشيء الرائع في هذا الكتاب هو رسمه مخططاً للبناء الأخلاقي الإسلامي المكون من أربع طبقات، تقوم إحداها على الأخرى، ولا يمكن رسوخ أية واحدة منها قبل أن ترسخ التي تسبقها وتمتد وتشمل... هذه الطبقات هي: الإيمان... الإسلام... التقوى... الإحسان...

وقيمة المحاضرة تتركز كلها في هذا المخطط وليس فيما سبقها من كلام.

١٧ أيلول

أخذت أجرر خطاي في هذا الفصل الرائع... الخريف... عبر شوارع مدينتي الهادئة... الجميلة... وانتهى بي المطاف في البحيرة... جلست هنالك بعد أن أنهكني المسير... وكانت الساعة التي تسبق الغروب وتحاذيه وتعقبه... فرحت أمتع عيني بمنظر الشمس وهي تجرّ ذاتها لتختفي وراء المتحف بأعمدته المرتفعة البيضاء؛ التي تذكرني بعهود أثينا وروما...

وغابت الشمس... أعقبها جمال هذا المسرح الأزرق الأبدي: السماء، تنتشر في أنحائه النجوم التي تلهث وكأنها قلب كبير آمن فهزته النبضات... وأحبّ ... فسرت فيه رعشة حالمة لذيذة... أو محض نور لا يستطيع أن يثبت، فما أشقى السكون!.. هكذا كانت عيناي معلقتين في السماء... ومرّ بعد قليل القمر الاصطناعي يعبر هذا المسرح بسرعة في طريقه إلى الشرق... وعاد بعد ساعتين... كان قد جاوز فيهما صحارٍ شاسعة، ومدناً منتثرة، وبحاراً زرقاء... ومحيطات مخيفة هائلة... ثم عاد وقد دار حول الأرض دورةً كاملة في ساعتين من زمان!!

٢٢ أيلول

كان هذا اليوم هو آخر أيام العطلة الصيفية في الموصل... فلقد انتهت كل أيامها سريعاً... سريعاً... كأنها قطار ينهب الأرض ليقف في مكان... هكذا كان هذا اليوم... وقفة لقطار الأيام الذاهب سريعاً إلى مكان... كل شيء في هذا الكون يتحرك ليصل

إلى شيء آخر... الأنهار تصبّ في البحار... والبحار تتصل بخضمّها الأكبر... والخضمّ يبعث من مائه بخاراً تذروه الرياح ليعود في المدى مياهاً تغدو أنهاراً... هكذا كل شيء... والتراب يبعث الإنسان... والإنسانية كلها من آدم، وآدم من تراب...

جلست في الصباح مع أصدقاء في كازينو يجري دجلة أسفل منها، ثم ودّعتهم... وفي الليل جلسنا في كازينو الخيام آخر جلسة في هذه العطلة... ولعبنا وتكلمنا وضحكنا... وكان الوداع... خرجت لأنام وتعلّق بصري في نجمة تنث نوراً أزرق في الأفق البعيد... كل شيء يذهب ولا يبقى ثمة إلا النور!!

٢٣ أيلول

وتحركت السيارة... ببطء أولاً... ثم عندما غادرت المدينة أخذت تسرع... كأنها قطار الأيام الذاهب إلى مكان... وأشعل رجل يجلس بجواري سيكارته وأخذ منها نفساً عميقاً ثم نفخ في الهواء دخاناً... كأنه هباء الأيام... وكأنه أشلاء زمن... أو كأنه شباب إنسان... كل شيء يذهب كهذا الدخان، ولا يكون في النهاية إلا التوهج الذي يشعل السيكارة، ويطفئ غلتنا التي تزيد...

تمرّ السيارة... فتكون في الطريق جبال وسهول، وتكون وديان وأنهار، وتكون خضرة وجنات... كل شيء في الطريق... إلى أن وصلنا ووضعت قدمي في أرض بغداد... وكانت قد انقضت أشهر عديدة منذ كانت خطوتي الأخيرة على هذه الأرض...

وعندما وضعت الحقائب في الفندق خرجت لأسير... واتجهت

عبر شارع الرشيد إلى إحدى الكازينوات... كانت الأضواء مطفأة والظلام يخيم على المكان... ولما عدت خرجت سريعاً إلى السطح واستلقيت هناك على السرير، لأسمع صوتاً عميقاً رائعاً يرتل: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤١]...

٢٩ أيلول

جلست في إحدى الكازينوات ألعب الشطرنج مع صديق، وفزت الجولة الأولى، وعندما كنت أقترب من النهاية الخاسرة في الجولة الثانية جاءني صديقان خرجت بمعيتهما إلى أحد النوادي الإسلامية لنشهد حفلة ستقام هناك... وعبرنا أحد الشوارع العرضية وانحدرنا باتجاه شاطئ دجلة، حيث يقبع النادي الهادئ على تلك الضفاف... وحيث يسبح الجالسون هناك بنور القمر الحالم...

جلسنا وتحدثنا أحاديث ممتعة... وبدأ الحفل واستمر ساعتين... ثم غادرنا النادي بعد قضاء وقت رائع... ودّعت الأصدقاء وركبت الباص عائداً إلى القسم الداخلي... هنا حيث لعبنا الشطرنج ثم تحدثنا وضحكنا... وأطفئت الأضواء وكانت ساعة النوم... والأيام تتشابه أحياناً فيملّها الإنسان لولا بعض المناسبات؛ التي تعرض مع الزمن فتخرجنا من روتينيته المملة، وتجعلنا نحيا في عوالم جديدة، متغايرة... فيها كوى كثيرة يطلّ منها الإنسان على هذا الوجود.

١ تشرين الأول

اليوم يبدأ الموسم الدراسي لهذا العام... ودخلنا القاعة حيث تنتظرنا المحاضرة الأولى. هكذا أخطّ هنا كلمات هي الأحرف الأولى من مجرى الزمن... وفي مدى عابر سوف أنهي هذه الكلمة... وعندما نسعد نبطئ في الكتابة وعندما نشقى نريد الإسراع، ولكن وقتاً ما هو هو الذي سنستغرقه في كتابة كلمتنا هذه دون أن يعرف الزمن أننا نشقى ونسعد.

في الماضي البعيد كنا نشم رائحة الورق والأقلام والمماحي؛ التي ستوزَّع علينا في مدارسنا في بدء الدوام... وكنا نشعر بسعادة عندما نمسك بأيدينا كتاب القراءة المصورة نقلب في صفحاته ونبدأ ونعيد... هكذا كان البدء... كانت أمنيتنا أن نشتري أقلام الألوان ليس إلا... وتمرّ السنين، وفي كل سنة تمر الأيام التي نشمّ فيها تلك الروائح الرائعة تمتزج مع أجواء الخريف القارسة وشمسه الدافئة الصفراء... وجاءت سنة غادرنا فيها عهد الطفولة إلى الصبا... ومع العجلة الخالدة كنا ندور ولا زلنا ندور!!

٩ تشرين الأول

ركبنا نحن ثلاثة من الأصدقاء الباص في طريقنا إلى أحد الكازينوات... وجلسنا هناك... وبين الحين والآخر يأتي آخرون، حتى أصبحت الجلسة مملّة فقمنا لنتخطى ثم نعود... وعلى الجسر كنا نسير... كان الجو لطيفاً ومعتدلاً... ومياه دجلة تجري بكل

روعة وسكون... كنا نتحدث أحياناً ونصمت أكثر الأحيان... وألذّ حديث هو حديث الإنسان مع فكره وحديثه مع نفسه... هو حوار الإنسان للإنسان... فمع كل خطوة يموج إحساس... ومع كل نسمة تخطر فكرة، وبين كل ذلك هواجس ألم، وجراحات شعور، ومسامير تغرز في القلب، وضباب يغشي الفكر... وكان القمر قد بدأ يرتفع وكان يختفي وراء الأرض البعيدة... كان نوره يزداد توهجاً كلما ازداد ارتفاعاً... كل شيء يختفي في البعيد لا بدّ أن يظهر وأن يتوهج... وفي نهاية الجسر كانت ثمة نافورة للمياه تنثّ ماءها عبر أضواء جميلة وينساب رشاشها مع النسيم بارداً منعشاً... وعدنا... كنت تعباً من المسير... تعباً جداً...

١٠ تشرين الأول

عرفت أن هناك سباقاً نهائياً لإحراز بطولة السلة بين نوادي بغداد... وذهبت إلى نادي الهواة، حيث يجري السباق، وجلست هناك بين مئات من الجالسين... وفي الخامسة مساءً بدأ السباق بين الفريقين الأولين وأعقبه سباق آخر... وآخر... كانت الهتافات تتعالى من جانب واحد، أما الجانب الآخر ذو التوجه الشيوعي فكان ساكتاً لا يتكلم... ثم كانت الجولة الرابعة لكنها لم تستمر لحدوث خصام بين أحد الفريقين والحكم. وهكذا أنفضّ المشاهدون وأُجّل السباق...

ركبت الباص وعدت إلى الداخلي، وهنا كانت الساعات تمرّ ونحن منهمكون في لعبة الشطرنج... وما أن حانت ساعة النوم،

وهي عادة ما بعد الثانية عشرة، حتى أطفئت الأضواء... أعقبتها موجة من الصياح والضحك... وفي هذه الأمسية انتحيت ركناً من الغرفة وأمليت رسالة إلى أحد الأصدقاء، وهكذا تحيا مع صديق عندما ترسل إليه رسالة ساعة من زمان... كأن الكلمات التي تخطّها على الورق تنساب من بين شفتيك وأنت تكتب للصديق الذي تتحدث إليه.

١١ تشرين الأول

عبرتُ وصديق جسر الكرخ ودلفنا إلى إحدى الكازينوات التي تطل على دجلة... وبعد أن تناولنا نصف كيلو من الرطب بدأنا نلعب الشطرنج الذي استمر أكثر من ساعة ونصف... وجلسنا بعدها نتحدث... وما لبث أن بدأت ألعب (الداما) مع رجل بدوي كان ينظر إلينا أثناء اللعب، ولما خسرت في الجولة الأولى أعدت الكرة وأخذت الثأر... ذلك أني كنت أعتقد أن لا أحد يستطيع أن يغلبني وصديقين آخرين في هذه اللعبة؛ التي كنا نمارسها بشغف عبر العطل الماضية ساعات طويلة من النهار والليل، حتى أتقناها كل الإتقان... وهي لعبة رائعة فيها المؤامرات والخطط والحذر...

ثم جلسنا نشاهد بعض برامج التلفزيون وغادرنا الكازينو... وفي الطريق جلسنا قليلاً في كازينو أخرى نستمع إلى محاضرة في التلفزيون لمصطفى جواد عن مدينة الحيرة... وكان يتكلم مرتجلاً ما يقوله من التفاصيل الدقيقة... ثم عدنا مشياً على الأقدام في طريق خالٍ إلى الداخلي... وهنالك وبعد قليل خرجنا

لنتجول قليلاً في شوارع الوزيرية الخالية... كان الهواء بارداً وكان السكون يغمر الأشياء... وكانت ضجتنا تقتل السكون بقسوة بالغة!!

١٤ ـ ١٦ تشرين الأول

استيقظت في ساعة مبكرة ولما تذكرت أني على موعد مع السفرة الطلابية غمرتني نشوة كبيرة، وأسرعت في ارتداء ملابسي وذهبت إلى مطعم الكلية والشمس لا تزال غضة بعد... وبعد أن فطرت توجهت إلى المكان الذي اتفقنا على أن ننطلق منه... وجلسنا على خضرة الحديقة الواسعة ننتظر الأصدقاء الآخرين...

وفي الثامنة والنصف كان الباص يسير بنا في شوارع بغداد باتجاه الشارع الرئيسي الذي يمرّ بسامراء... وصلنا سامراء قبيل الظهر، وجلسنا في إحدى الكازينوات لنستريح قليلاً ثم قمنا لنتجول... ركبنا الباص بعد أداء الصلاة باتجاه قصر الخليفة المتوكل وهنالك كان الغداء... ووقفنا بعده على حافة المرتفع الذي يطلّ على واد كبير... واسع... أخضر... يجري عبره نهر دجلة بزرقته العميقة الرائعة... وقفت هناك على مرتفع ماتت عليه جموع... وسعدت جموع... وشقيت أخرى...

وقفت هناك على أنقاض عمارة الإنسان في المدى البعيد من الزمن... لقد افترسها الزمن... ولا زالت عوالم الحضارة قائمة هنا وهناك تخلّد عصراً زاهياً من عصور التاريخ... وأحسست أني أنتشي كأني استعدت ذكرى عزيزة على قلبي... وما التاريخ إلا ذكريات الإنسان لعصور لم يحيَها ولكنه رآها...

كان كل شيء ينطق بأجواء ذلك العصر... البحيرة العميقة... وديوان الخليفة... وسجن السباع الرهيب الذي ينطق بقسوة الإنسان وتجبره... و... الملوية ذلك الأثر الإسلامي الخالد في تاريخ الحضارة الإنسانية جمعاء... ولقد صعدنا على الملوية... وما كنا لنستطيع ونحن نصعد أن ننظر إلى أسفل، حيث أخذت الأشياء تتصاغر كلما زدنا ارتفاعاً... ووقفنا في أعلى المنارة ننظر في آفاق المكان...

هذه سامراء كلها أمامنا، وتلك آثار التاريخ قائمة في الأفق تتحدى الزمن... وذلك دجلة يسقي الحياة فتكون الحياة... ثم نزلنا وركبنا الباص وعدنا إلى سامراء... ودخلنا أحد المساجد ونزلنا على سلّمه حيث يقبع المهدي المنتظر... كانت الجدران مزدانة بالفضة والبلور... وكان كل شيء ينطق بالفن المترف... وكانت ثمة شخوص تقبّل الجدران وحديد النوافذ بشراهة وتضرّع بائس... غادرنا المكان ودلفنا إلى الخارج... وبعد أداء الصلاة ركبنا الباص وكان الظلام قد شمل الكون كله... وتحرك بنا في طريق العودة إلى بغداد.

في الطريق كان ثمة جمع من الغجر قد نزل إحدى القرى، وأقام حفلة صاخبة رقصوا فيها وغنوا... اجتزناهم ونحن نتحدث أحاديث الجد أكثر الأحيان... وأطلق خيالي أحياناً أخرى هنا وهناك... في كل شيء... وأرسم أجواء هانئة متلألئة وأخرى حزينة باكية... ووصلنا بغداد بعد يوم حافل مليء بالصور والظلال...

١٧ تشرين الأول

(العدالة الاجتماعية في الإسلام) لسيّد قطب؛ يبحث فيه عن العدالة الاجتماعية في الإسلام كمبدأ وكواقع تطبيقي... والإسلام مبدأ متكامل ووحدة لا تتجزأ، يصدر عن فكرة كلية عن الكون والحياة والإنسان... فدراسة ناحية من نواحيه لا يمكن فهمها إلا بعد عرض الفكرة الإسلامية هذه... إذ إن العدالة تتعين طبيعتها وأسسها ووسائلها استناداً إلى تلك الفكرة... وهكذا استعرض سيد قطب تلك الفكرة بوضوح وجلاء... ثم بدأ بتبيان طبيعة هذه العدالة وأسسها من مساواة إنسانية كاملة، وتحرّر وجداني مطلق، وتكافل اجتماعي وثيق...

وبعدئذ بدأ تفصيله في وسائل هذه العدالة من نظام الحكم وسياسة المال... وأعقبها بفصل عن الواقع التاريخي الذي امتدت فيه روح الإسلام وشملته في شقي الحياة التشريعي التوجيهي... أي القانوني والذاتي... مما يؤكد واقعية الإسلام ومدى هذه العدالة التي لن تصلها كل المبادئ الوضعية أبداً... عدالة التوازن بين المادة والروح... والاتساق التام بين الأفراد والجماعات... والسير بالجموع في طريق الإعمار والتقدم...

٢٠ تشرين الأول

كان هذا اليوم عطلة بسبب التلقيح ضد الكوليرا... وبعد الغداء شعرت بألم في اللوزتين وبحمى وصداع في الرأس شديد... وأما التنفس، فقد أضحى حلماً من الأحلام... كأن دخاناً يملأ

صدري... كأن شيئاً يسدّ منافذ الهواء إلى رئتيّ... كأن صوتاً يهتف عندما أسحب شيئاً من الهواء... لا... حذار... وهكذا أتقلب على الفراش كالطير الذبيح دونما هواء... وركبت الباص إلى البيت الذي يقطنه بعض الأقرباء والأصدقاء... وجلسنا هناك نستمع إلى الراديو ونتحدث حتى جاوزت الساعة السادسة؛ فخرجنا لنتعشى، ثم جلسنا في إحدى المقاهي نلعب الشطرنج، عدنا بعدها إلى البيت لنضحك قليلاً... ثم لأعود إلى الصراع مع ذلك الشيء الذي يهتف بالهواء محاولاً سحبه بقوة... لا... حذار... فأتقلب على الفراش تقلّب الطير الذبيح... كنت أتحدث مع صديق آخر كان مستلقياً على السرير في جانب من الغرفة يفكر مهموماً في السنة الدراسية التي ذهبت هباء لمجرّد ثلاث درجات لا غير...

٢٦ تشرين الأول

كنت أسير عصر هذا اليوم في طريقي إلى الكلية... وتمنيت من صميم قلبي أن لو يكون لكل طالب غرفة مستقلة يعيش فيها وحده... كنت أتصور هذه الوحدة التي أشتاقها أبداً وتهفو إليها نفسي في كل حين... هنالك كنت أستطيع أن أخلو إلى نفسي وإلى القلم... لنتحدث في شؤون الكون والحياة والإنسان، ولأغذي روحي التائهة بجمال الفن وإشراقات الفكر... وومضات الإيمان... ولأجرّر ذكريات عزيزة عليّ تمتلئ نفسي حين تمر بخاطري بشوق يفيض فيها كنارٍ هادئة...

ها أنا ذا أجلس وحدي فيمر بخاطري كتاب (رافائيل)

للشاعر الفرنسي لامرتين... هنالك أحسّ كأني انتقلت إلى ذلك العالم الرائع، وما فيه من حب عميق وجمال فتان وعواطف إنسانية؛ أروع ما فيها أنها تفجّر في أعماق الإنسان أنقى إيمان وأسمى فن!

ودلفت إلى القاعة حيث كانت هناك حفلة للتعارف بين طلاب قسم التاريخ... وكانت برامج الحفلة تبعث على السأم فعدت أدراجي... وفي الطريق أحسست بفيض من الإيمان يملأ قلبي... فرحت أرتل في أعماقي ترتيلة الإيمان وأسبح لله في عليائه... جلّ جلاله..

٢٧ تشرين الأول

ركبت الباص وذهبت إلى بيت أحد الأصدقاء... وجلسنا نتحدث وقتاً طويلاً... وأحسست بالجوع يفري معدتي، فلم أعد أستطيع أن ألتذّ بحديث أو أبتسم لشيء... ولم أستطع أن أفكر بشيء سوى الطعام... وعندما ذهبنا لنتعشى، ثم جلسنا في أحد المقاهي؛ أخذت أفكر بالجوع... يا له من حيوان مفترس... يا له من شبح مخيف... ورنّت في مسامعي... ومواكب الفقراء والبائسين تمر أمامي؛ فأحسّ صدى لوعتها وألمها العاتي، وذلك الشبح الذي يلوح لها بالتعاسة والبؤس والشقاء...

رنّت صيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لا تجيعوهم فتكفّروهم)!! وهل يستطيع الجائع أن يستشعر ومضات الإيمان؟ هل يستطيع أن يفكر في خلق السماوات والأرض، فيطمئن إلى أن

ما في خلقها من تفاوت لينقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير؟... يجب أن يأكل... بلى يجب أن يأكل... يجب أن يسحق ذلك الشبح الذي يهزّ وجوده ويصدّه عن معين الروح وآفاق الإنسان... ومرّت بخاطري صورة المخطط الذي رسمه الإسلام ليطعم الإنسان... إنه ـ بحقّ ـ أروع مخطط لإطعام الإنسان!!

٢٨ تشرين الأول

كان يتكلم ليعبّر عن إحساس الملايين من شعبي، ولو كان يستطيع أن يجمع هذه الملايين لفعل... كان يعتقد بأنهم ينتظرونه في الخارج، وبأن الطاغية قد رصد الآلاف من أتباعه هنا وهناك ليسكتوا كل خير... ليسكتوا الحقّ أينما كان... فلا أخوف على الطغاة من كلمة حق تقال، ومن باطل يشار إليه بالبنان... لم يكن صوته مرتفعاً، لا لشيء إلا لأن مواكب الشهداء رآها تمر أمامه، إلى حيث تنتظرها الوحوش الكاسرة في (أم الطبول)، لتصليها ناراً حامية... فتنزف دماء، ويهوي أبطال، وتصعد أرواح... كأن لم يكونوا بالأمس يصرخون في وجوه الأغبياء بكلماتهم المضيئة... بلى لقد قالها: إن الطاغية قاسم سيكون مصيره المحتوم... هو المصير الذي ينتظر كل من قطف بيديه الفاجرتين، الأزهار المتفتحة... مصير كل من حصد الحقّ والبطولة والجمال، وكمّم الحرية وغلّ الجموع بالحديد... وعندما مرّ بخاطري وأنا أنصت لخطبته طيفُ الأبطال الصرعى، لم أتمالك نفسي، شأن معظم المصلين، فانحدرت الدموع الصامتة من عيني...

٢ تشرين الثاني

كيف لا يتحطم قلب الإنسان وهو يرى شباب البعث، آلاف الشباب الذين كان يتحتم عليهم أن يستلهموا تاريخهم ويتعمّقوا عقيدتهم، قبل أن يلوِّحوا بأيديهم لإنسان آخر استلهم تاريخه وتعمّق عقيدته؟ يلوِّحون له بأيديهم أن يسكت، أن يكفَّ عن إطلاق شعارات الحق... شعارات تاريخنا وعقيدتنا... وليس شعارات قطع عقائدية مزيفة استوردوها من أوربا، وقالوا بأنها تنبع من صميم الأرض لتعالج مشاكل قومية واقعية؟!

كيف لا يتألم الإنسان وهو يرى شباباً عاشوا هنا وشربوا مياه أرضنا، يتقدمون بعصبية وعنف إلى إنسان آخر يهتف ـ عبر تظاهرة حاشدة ـ الله أكبر... ليكمِّموا فمه، وليقولوا له بكل غباء... إنه شعار يستفزّنا نحن الطلائع العربية... كيف لا يتألم وهو يرى جماعات كبيرة تريد أن تنسلخ بعروبتها عن الإسلام؛ الذي أوجد هذه العروبة وفي أحضانه عاشت ونمت؟

كلا... ليس شعار (الله أكبر) شعاراً استفزازياً، ولكنه الشعار الحق... شعار الإنسان... رغم المنحرفين...

٤ تشرين الثاني

لقد قبضوا عليه ـ أخيراً ـ ذلك الإنسان الفدائي، وألقوه في سجون الطاغية... ولا زالت صيحاته تتردد في أنحاء المسجد، فتضطرب معها قلوب المؤمنين وتمتلئ ثورة وغضباً... لا تدعوا منبر الحقّ يعلوه الدجالون والمنافقون... لا تدعوا منبر محمد ﷺ

موطئاً لأقدام المجرمين المتزلفين، الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً... وما يأكلون في بطونهم إلا النار...

بلى... ما هذه المنابر إلا منطلق الحق، ومبادئ الإنسان، ما هي إلا التعبير الصادق عن رأي الإسلام في كل الأحداث... في كل الشخصيات... في كل الأماكن وفي كل الأزمان...

إنها حكمة بالغة أن يقرر الإسلام مثل هذه الخطبة كل أسبوع في مئات المساجد في كل قطر... ومن منابر هذه المساجد يقول هذا الدين كلمته صريحة لا ريب فيها... هكذا يجب أن تكون... ولقد انحرف البشر عن أشياء كثيرة، منها هذا الانحراف الذي نراه ونلمسه، عندما نرى الدجالين يصعدون المنابر ويشترون بآيات الله ثمناً قليلاً... وما يأكلون في بطونهم إلا النار...

١١ تشرين الثاني

شاب آخر يقبض عليه زبانية الطاغية ويلقوه في غيابة السجن... ذلك أنه قال الحقيقة... سيظلّ الذين يمتلكون الشجاعة والإيمان يقولون الحقيقة مهما كانت نتائجها... ويعلنونها على المنابر ليسمعها الناس... ليكن معلوماً أن هذه المنابر إنما هي مدارج يصعد عليها الذين يريدون أن يقولوا الحقيقة... لا الزيف... ليكن معلوماً أن المنابر أماكن تنطلق منها أصوات الإنسان لتقول كلمة الحقّ التي لا ريب فيها... ومتى أسمع رأي الإسلام في أحداث الزمان والمكان، وفي أولئك الذين يوجهون هذه الأحداث؛ فإنه يستطيع أن يكشف عن مدى واقعيته وارتباطه بما هو كائن...

ألا سحقاً للجهلة الأغبياء!... لقد شوّهوا كل جمال... وأحالوا كل خير إلى نقيضه من الشرّ... وما كان لرجال الإصلاح في الإسلام أن يسلكوا غير هذا الذي سلكوه في ثورتهم على كل انحراف ألصقه الأغبياء بالإسلام الخالد... ولم تكن دعواتهم في شقها السلبي إلا حركة اقتضتها الظروف؛ التي وصل إليها انحراف المسلمين عبر القرون...

١٢ ـ ١٣ تشرين الثاني

(رسائل مؤرقة) للشاعر سليمان العيسى...

وتحمل في جنبيك المتعبين أواراً على شفتي منشد
وتمضي تدق صنوج الصباح كأنك منه على موعد
ويفتك باللاهثين الظما... فتسقيهم شبح المورد!

على هذا النغم الدامي ينشد سليمان قصائده كلها في هذا الديوان... دم... ولكن في أعماق لونه ثورة... موسيقى فيها دموع الثكالى، وأنّات الجرحى، وكبت اللاجئين... ولكن فيها ثورة الجموع؛ التي بكت كثيراً... فآن لها أن تنطلق لتسحق في دربها كل الأشياء التي أشقتها فأبكتها... وهكذا يلوح الفجر في المكان البعيد من مفازة الظلام ويترقرق الماء، شبحاً في صحراء الجفاف... والعطش... هكذا... ويكون الأمل...

لا بدّ من سحر قولي جننت إذن ستشرق الشمس في داري سأنتصر

من الله ﷻ تنطلق الحقيقة؛ التي تتهاوى عندها معاني

الشقاء، فباسمه يكون الانطلاق... ومن فوّارة الإيمان يتدفق عطاء الإنسان الذي لا ينضب؛ لكي يحقق الخير ويسحق الشر... فما بال الشاعر تأخذه دوامة اليأس التي خط سطورها في أعماقه ظلم البشر، فيضع خطاه في طريق الجحود، ويظن أن الله ﷻ وحاشاه لا يحقق إرادته ليسحق الفجّار أعداء الحقيقة...

وإن الإله العليّ القدير ونحن بمرضاته أخلق
سينزل بالغاصبين الدمار ولم أره غيرنا يمحق!
ويرتع في دارنا الغاصبون ....

ألا تلمس وأنت تقرأ هذه الأبيات انحرافها، وجهلها، وتسرّعها... وجحودها؟ ألا ترى بين ثناياها شيئاً من كل هذا؟ بلى... وأرى أشياء أخرى أكثر من هذه تثير في النفس أحاسيس قوية تريد أن تصرخ بالشاعر... إنك إذ تنشد للجموع المحطمة، وتعزف للشقاء... وتنفخ في أعماقها ثورة... وترسم لها غدها المشرق... كان عليك أن تعرف مصدر الشقاء... وأن تعرف معه المنطلق الذي سيحطم الشقاء... ذلك هو الله جلّ في علاه...

١٥ تشرين الثاني

صراع الأسلوب... أزمة يعانيها كل إنسان يريد التعبير... ويمرّ بخاطري توفيق الحكيم الشاب الأديب الذي كان يمزق مئات الصفحات التي كان يكتبها تعبيراً عن إحساسه بالحياة وآرائه بالأشياء والظواهر... وأخيراً استطاع أن يختار طريق التعبير، وأن يجد ذاته تبدع فنّاً اتخذ المسرحية طريقاً له... هكذا رأى الحكيم

أنه عن طريق المسرح... يستطيع أن يضع أفكاره وأحاسيسه وفلسفته في الحياة في قالب مبدع...

وهكذا كثير من البشر الذي يريدون التعبير... تراهم يعيشون فترة يتأرجحون فيها بين مسالك التعبير... تارةً يسلكون طريق الشعر، وطوراً طريق الأدب، وتارةً أخرى طريق الشعر الحرّ أو الأدب الرمزي... أو الفلسفة، أو المقالة، أو النقد، أو القصة أو الرواية... فكأنها كلها منافذ للتعبير... والسعيد المحظوظ هو ذلك الذي يجد في أعماقه ثمة عوامل ترجح عنده طريقاً على آخر، ليصبّ طاقته الفنية في ذلك الطريق، فيبدع... ولكنه قبل ذلك سيجرب كل هذه الطرق، وسيضيّع الكثير من طاقته قبل أن يجد الطريق...

١٨ تشرين الثاني

استيقظنا صباحاً على أصوات المطر المنهمر بغير حساب... وكانت السماء مغطاة بالغيوم السوداء... فلذّ لنا أن نبقى كلٌّ في فراشه حتى ساعة متأخرة... واتجهنا قبيل الظهر إلى مسجد أبي حنيفة، وجلسنا هناك نستمع إلى خطبة الجمعة... وخرج الخطيب، واستمر أكثر من خمس دقائق يصلي ويسلم ويدعو لآل البيت، ويسمي أسماء الستة البررة الذين هم تمام العشرة المبشرة... ثم بدأ بعد ذلك يسرد النصائح التي تدعو المسلمين إلى الورع والزهد... وراح يهتف من أعماقه بضراعة تثير الدموع وتشق القلوب... أن يترك المسلمون ما لا يعنيهم... وكانت خطبته

إضافةً إلى كل هذه المحاسن، مرتلة ترتيلاً يجعل معانيها تنساب إلى القلوب قبل أن تصل الآذان!!

كان يرتل ما يقوله من كلمات، كلُّها حثٌّ على الورع، وتركٌ لشؤون الحياة... والاتجاه إلى الآخرة، والاعتكاف لشؤون العبادة... وإذا استطعنا أن نصوم الدهر كله فلنفعل... ونصلي الساعات كلها فلنفعل... فهكذا يجب أن يكون المسلم!!

١٩ تشرين الثاني

كان أستاذ التاريخ الأوربي يتكلم وهو يعتقد أنه يحيط بالتاريخ علماً... ولم يكن ثمة مجال لكي أردّ عليه في بعض ما يقول... كان يمطّ شفتيه عندما يذكر الصدقات وما إليها من عواطف إنسانية تتصدق بها حكومة إنكلترا على الفقراء... لم يكن يقصد إلا إلى أشياء ما كان ليكشفها علانيةً... ولو كان قد كشفها لأبنتُ له أن الإسلام لا يقيم نظامه الاقتصادي على الصدقات، وأنه يعالج هذا القطاع الكبير أعمق علاج... ويرسم له أكثر المخططات انطباقاً على الواقع البشري، وما الصدقات إلا مظهر فحسب من المظاهر التي تعكس حالة نفسية عاطفية من التكافل الاجتماعي، ولكن ليس هذا كل شيء... أبداً... وليس هذا بعض الشيء...

إن الإسلام وجّه ضرباته الجذرية للنظام الرأسمالي: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن

كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩] ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]...

على هذه الأسس يستحيل قيام نظام رأسمالي مستقلّ، ويستحيل معه معالجة الأوضاع الاقتصادية استناداً إلى عواطف الإنسان في شقها الذي يمنن فيستكثر... وخرجتُ من المحاضرة وأنا أتمنى من صميم قلبي أن لو يفهم هؤلاء... لو يدركون!!

٢٠ تشرين الثاني

(رمال عطشى) للشاعر سليمان العيسى... من العبث أن أثبت هنا ما يصور طبيعة شاعرية سليمان... فكل قصيدة من قصائده في هذا الديوان هي وحدة فنية متكاملة: بموسيقاها، بصورها وظلالها، بجرسها، بمعانيها، بألفاظها وقافيتها... ذلك أنه فنّ يعبّر عن حياة... فنٌّ تجري في شرايينه إحساسات الوجود كلها... آلام الأمة التي شقيت، فاستحال شقاؤها جحيماً يذيب حتى الحديد... والتي نضحت بالدم قروناً، فاستحالت دماؤها مشاعل حمراء تنير الطريق...

والأمل الأخضر ينتظر الذين شقوا كثيراً، فآن لهم أن يسعدوا... والشاعر هو الذي يرسم خطوط السعادة الخضراء ويبشّر بها من بعيد... في الديوان ذلك التناغم مع الشقاء عندما يستحيل دوياً يفرض على الصخور أن تنصهر، وعلى الصحراء أن تنفجر ماءً زلالاً، لكي ترتوي الرمال العطشى... ويزهر الطريق...

٢٢ تشرين الثاني

هكذا تمر هذه الأيام هادئة رتيبة... فالأشياء في الخارج تكاد تكون ساكنة لا تتحرك إلا للنسيم ثم تعود بعدها إلى السكون... كل يوم نستيقظ على ضوء الشمس، ثم نقوم بجولتنا في الحياة... وتتحرك الشمس عبر السماء، ثم تغيب ويجيء الليل... فيزداد سكون الأشياء... حتى النسيم يهبّ فلا يستطيع أن يحرّك شيئاً...

الذي يرانا نروح ونغدو يعتقد أننا كهذه الأشياء الساكنة التي لا يحركها إلا النسيم وتعود بعده إلى السكون... يرانا نفتح عيوننا على شيء ليس بجديد... ونقوم بجولتنا في الحياة ولا جديد... ثم تغيب الشمس ويجيء الليل، وما هو إلا الظلام الذي لا بدّ منه، ستضيء بعده الأشياء هكذا...

الذي يرانا لا يعلم أن بين جوانحنا قلوباً تحترق... وأن في أعماقنا أشواقاً حيرى... وأننا نريد من الأشياء أن تتحرك ولا من مجيب... وأننا نقوم بجولتنا في الحياة وفي أرواحنا أيضاً تشرق شمس، ويجيء ليل... ويهب نسيم...

٢٥ تشرين الثاني

هذه هي الساعة التي تسبق الغروب... غروب الشتاء... حيث لا ترى الشمس... فالغيوم الشاحبة تستقر في أعماق السماء، وأصوات الطيور تملأ الأجواء... ثمة قطرات من الرذاذ تنث في المدى الذي يفصل الأرض عن السماء... ها أنا ذا أسدل الستائر

فلا أعود أرى شيئاً أبداً... الأضواء التي تنير الغرفة خافتة، كئيبة هي الأخرى... وليس ثمة أحد في الغرفة سواي... لقد سئمت المطالعة في بعض المصادر التي تبحث عن بسمارك، الشخصية التي اخترتها لكتابة تقريري... فوضعت هذه الكتب على طرف المنضدة، وفتحت المذكرات لأكتب بعض الشيء، علّي أقضي على هذه الساعة التي استحالت هنا كآبة خانقة...

وكالطبيعة هي نفوسنا... تارةً تشرق وتتفتح... وطوراً تعتم وتنسحق... لكنها لمّا أن تصفو تجد الجرأة لأن تهتف: لتمتلئ السماء غيوماً، ولتخنق الأجواء الكآبة، ولتصدح أصوات الطيور بكاء... فنشوتي لا تذيبها غيوم الطبيعة... وصفائي لا تذروه الرياح...

٢٩ تشرين الثاني

كانت ذكرى سوداء... كانت منطلق الشقاء الذي أحاق بشعب كامل... كانت تعني جموع اللاجئين تعيش في خيام مزّقتها مقاصف الأنواء... جموع تجوع وتعرى... وأطفال تسري في دمائهم معاني البؤس والشقاء... كانت ذكرى تقسيم فلسطين...

ويوم أعلنتها هيئة الأمم المتحدة على مسمع من العالم ومشهد منه، مزّقت بذلك كل براقع الزيف؛ التي كانت تغطي نوايا هذه الهيئة المجرمة، اللاإنسانية...

ويوم اعترفت كل الدول الكبرى بإسرائيل، أدركنا أن فلسطين كانت ضحية حرب صليبية عمياء... وأن ليس ثمة خلاف عقائدي

جذري بين الشرق والغرب، وإنما هو خلاف المصالح المادية التي تطفو على السطح، ولا تتعمّق الاتجاه السياسي لكلا الدولتين...

لا فرق بين روسيا وأمريكا... كلتاهما اعترفتا بشقاء شعبنا، الذي انتثر في العراء كما تنتثر الزهور وتذبل... ولكنه عائد... هكذا كل شيء يعود إلى طبيعته، طال الوقت أم قصر... شعبنا سيعود إلى فلسطين، واليهود سيذهبون إلى الجحيم... ولكن ليس قبل أن نعدّ لهم القوة التي ترهبهم... وآخرين لا نعلمهم... الله يعلمهم!!

٣ كانون الأول

ها أنا ذا أسير في الطريق... وحدي... ليس ثمة إنسان آخر هنا... الجو بارد إلى درجة الانجماد... كل الأشياء ساكنة تكاد لا تتحرك... حتى أنا... أسير ولكن كل أعضائي تسير إلى التجمد... لكن في أعماقي تضطرب معانٍ كثيرة وأشياء... إن السماء صاحية زرقاء... والشمس على أروع ما تكون صفرة ذهبية... إنه جوّ حالم يذكّرني بأشياء كثيرة، فتتحول أعماقي إلى مسرح تضطرب فيه أجواء من الذكريات السعيدة أو المريرة على السواء... إنها ذكريات تمرّ أمامي واحدة تلو الأخرى... ثورة الشعب ضد عملاء الإنكليز... إغلاق المدارس شهرين متتاليين... كتب رائعة كنت أطالعها بنهم في غرفة البيت المنخفضة وأمامي النار تحترق بهدوء... شوارع الموصل تغسلها أشعة الشمس، وترى إلى أبنائها يتجمعون هنا وهناك، يريدون صيحة واحدة ليعبّروا عما في نفوسهم من ثورة... وأشياء كثيرة... كثيرة تذكّرني بها هذه الأجواء...

ها أنا ذا أسير وحدي في الطريق... اليوم ذكرى سلامة شجرة البؤس التي مدّت جذورها في أرض العراق... حتى الموصل التي أعلنت ثورتها أيام زمان، وكانت مع ذلك تغسلها الشمس، ظللتها هذه الشجرة الكئيبة بظلالها السوداء... وصبغتها بالدم...

٥ كانون الأول

كنا نسرع في كل شيء لندرك محاضرة الاقتصاد... أدركناها بعد مرور ربع ساعة... وكان الأستاذ المتأنق كالعادة يمطّ بشفتيه ويخرج كلماته بنغمة مضحكة، فيضج الطلاب كلهم بالضحك المتواصل... وجلسنا في النادي قبيل الغداء نتحدث في مواضيع شتى... وبعد الغداء سلّمت أحد الأصدقاء مجموعة من الأوراق كتب في أعلاها (العلمانية انحراف) علّه يعثر لها على ناشر في إحدى الصحف المحلية...

عدت إلى الداخلي وصعدت إلى الغرفة الأخرى... فما أن فتحت الباب إلا ورأيت الدخان يملأ الغرفة وأصوات عدد كبير من الأصدقاء تعلو علوّاً كبيراً، فتمتزج هذه الأصوات بذلك الدخان، فيكون للغرفة جوٌّ خاصّ هو جوّ الجائعين الذين ينتظرون التقام الكبب المشوية على النار... وقد جاء من الخارج من جاء لكي لا تفوتهم هذه الوجبة الدسمة... وعدنا إلى الكلية... وبقينا هناك كالعادة حتى العاشرة مساء... ثم عدت... كان الطريق يبدو أطول بكثير مما هو عليه... كان الجو بارداً... بارداً جداً... ووصلت... ولم يكن في الغرفة إلا صديق واحد...

٧ كانون الأول

مرت بسرعة ساعتان ونحن جالسون في غرفة أعدت للمناقشة الاجتماعية في مواضيع التربية وأصول التدريس، وكان الأستاذ الدكتور مسارع الراوي يتكلم كلاماً عميقاً وواضحاً في آن واحد، ويربط الحقائق بصميم الواقع. كان كلامه من ذلك النوع الذي يضطرك لأن تشدَّ كل حواسك إليه...

وبعد الساعة الثالثة كنا في المكتبة نكتب ونقرأ... ووقفنا قبيل العشاء أمام بناية القسم الملحق من الكلية ننظر إلى الغادين والرائحين... كانت الأمطار تتساقط بقوة، حتى أنها عندما ترتطم بالأرض ما تلبث أن ترتفع عنها بمقدار... وكان الذين يأتون لتناول عشائهم يأتون راكضين... والذين يعودون من هذا العشاء الرائع الذي يستحق أن يغرق الإنسان بالماء من أجل الحصول عليه... كانوا يعودون راكضين أيضاً...

عدنا... وكانت الحمّام الساخنة تنتظرنا، ولكنا ما كدنا ننتهي من الاستحمام حتى تحوّل ماؤها إلى ماء بارد مثلج... فخرجنا راكضين...

٢٠ كانون الأول

مع أشعة شمس الشتاء الدافئة التي تسلم الإنسان إلى أفكاره ومشاعره، وتدفعه ليحيا في دوامة بعيدة المدى عميقة المعاني... مع هذه الشمس رحنا نتحدث حيناً ونستسلم للصمت المتكلم حيناً، والكلام الصامت أحياناً أخرى... وكان إلى قريب منا

مجموعة من طلاب الآداب يتناقشون مع أستاذهم في موضوع (الشعر)، وكان نقاشاً هزيلاً تطفو معانيه على السطح، وتتناثر في الهواء هباء لا قيمة له... وكان أستاذهم متخصصاً في الأدب الأندلسي يلقي عليهم أسئلة شتى عن الشعر والأدب... ومرت ساعة غادرنا بعدها المكان.

بعد الغداء بساعات ذهبت وصديق إلى أحد الأطباء لأفحص عيني، وفي الطريق لاحت جموع محتشدة تسير عبر شارع الرشيد ببطء حاملة اللافتات، تتقدمها جوقة تدق الطبول والصاجات ناشدة الأناشيد التي تمجد الوطن الأم: روسيا، لمساندتها الجزائر... كانت مظاهرة قام بها الشيوعيون ليثبتوا وجودهم المهزوز، لا لينصروا الجزائر... بلى لإثبات وجودهم ليس إلا...

٢٤ ـ ٢٥ كانون الأول

دخلنا محاضرة التاريخ الإسلامي، ووقفنا قبيل الدخول في ممر الطابق الثاني نستمتع بأشعة الشمس... ما أروع شمس الشتاء... ما أروع زرقة السماء، وما أروع الهواء الساكن الذي يلفح الوجوه فيردّها إلى أجواء مشرقة باسمة... وجاء أستاذ التاريخ الإسلامي، الدكتور محمد الهاشمي... يذرع الأرض بسرعة كبيرة، كأنه هارب من شيء مخيف، وكأنه يريد الوصول إلى شيء بأقصى ما يستطيع من سرعة... وقفز السلم ذا الدرجات الثلاث واستأنف المسير... وسرنا نحن أمامه... ودخلنا الغرفة... وكالعادة مرّت

الساعة في التعليقات والضحك وغناء الأستاذ وضربه على المنضدة... حقّاً أنه أستاذ متواضع بسيط... هكذا يراه الطلاب...

ولكن وراء هذا السلوك أشياء أخرى عميقة مؤلمة بعيدة الغور... وراء هذا السلوك ـ ان لم يكذبني ظني ـ صراع نفسي مرير لزمن طويل... وراءه ألم متواصل... والإنسان عندما تسدّ أمامه طرق الإشراق والاستقرار النفسي يريد أن يصرخ... أن يغني... أن يذرع الأرض بكل ما أوتي من سعة في خطوه وتفنّن في مشيته... يريد أن يتحرك بأيّ شكل من الأشكال لكي ينسى... لكي يخرج من دوّامة الصراع إلى عالم آخر مهما يكون... حتى لو كان الصراخ والغناء... لكي يحطم الأفلاك التي تشده إلى الصراع...

وجاءنا الأستاذ هذا اليوم محمرّ الوجه كالعادة، وقفز إلى المنصة ضارباً بها قبضته ومخرجاً صوتاً مدوياً... وبدأت المحاضرة... ثمة أسطر محدودة عن سقوط الفاطميين، فيها خروج عن روتين الدراسات التاريخية... وفيها شيء من التجديد... وخرجنا...

٢٩ كانون الأول

وخرجت أسير في الطريق وحدي، وأنا أحيا وجودي عندما أسير وحدي... لم أجد ذلك الإنسان الذي يعكس ذاتي، لم أجد إلا أولئك الذين يرون فيَّ إنساناً آخر... لم أعد أستطيع أن أكون إنسانين، الإنسان الذي تربطه القيود الاجتماعية، والإنسان الذي يحيا في دوامة ذاته... دوامة الأشياء الحية المتفاعلة التي تريد

أن تعكس ذاتها على أي شيء... ويكون الصراع... وكثيرون هم أولئك الذين يخوضون هذا الصراع... صراع الإنسان الذي يريد أن يكون إنساناً واحداً لا إنسانين...

الدوامة التي نحياها في ذاتنا... فنّها وفكرها وطموحها وإيمانها... تريد أن تصرخ... تريد أن تهتف بالناس... تريد أن تقول شيئاً... لأن الإنسان يحيا ويريد أن تكون حياته هي... هي... مع ذاتها ومع الآخرين... ومن لا يوحّد إنسانَيّه، يحيا الصراع ويغرق في المأساة، ويجرِّر خطاه في طريق الضياع...

٣١ كانون الأول

من دوامة الشقاء ينطلق الفن... تماماً كما ينطلق من دوامة الحياة في شقّها الرائع الجميل... وعندما يعود الزمن القهقرى ويتلاشى فلسوف ينشر ظلاله على عمر الإنسان... ظلال تعزف لها الأجراس وهي تقرع بموسيقى شجية للعام الجديد... ظلال ترى خلالها دموع الإنسان، وبسمة الإنسان، وانطلاقة الإنسان... يا أجراس الزمان، تقرع للإنسان عمره الذاهب وأيامه القادمة...

أنا إن ضعت سنين من حياتي... فإن في أعماقي قوة جبارة من الإيمان تصرخ في الكون... لن أضيع والقيود يسحقها الزمن... لن أضيع ما دام في الحياة شمس تشرق بعد كل ليل... وها نحن نبسم للشمس وهي تشرق من جديد... مؤذنة ببدء عام جديد...

من مذكراتي اليومية

لعام ١٩٦١م

١ كانون الثاني

بسم الله رب الحياة... بسم الله خالق الأشياء... بسم الله مفجِّر العيون في الأرض، وباعث الربيع في صحاري الوجود... وخالق السُّدُم تسبح في مسارح الأكوان... بسم الله الجميل الذي يحب الجمال... مصوِّر الإنسان من طين، ونافخ فيه من روحه... وقائل له: كن فكان... كان في أحسن تقويم... كانْ بناء الله في الأرض... كان المثل الأعلى لإرادة الله...

بسم الخالق تشرق الشمس بنوره، وتسبح السماوات بحمده، ويسجد الإنسان لعظمته... بسم الجبار الذي تنفطر الجبال لذكره وتندكّ بأمره... بسم الله أخطّ كلماتي الأولى في البدء من وحدة أخرى من عمر الإنسان... جاءت لتمضي وتغرق في لجّة الزمان... ولا يبقى ثمة إلا البناء يشيده الإنسان... بما له من قوة وإرادة في هذا الوجود...

٢ - ٣ كانون الثاني

كانت كازينو معتمة كئيبة... وكانت مصابيحها لا تضيء إلا

ما حولها... فقد كانت كل الأشياء هذا اليوم غارقة في شحوب الطبيعة وبكائها الحزين... وكنا نقلّب الصفحات... كل منا يقرأ في موضوع ما... ومرت بخاطري وأنا أقرأ، صور من الأمس تدعو إلى التأمّل والوقوف عندها؛ لكي يرى ما وراءها وما بين يديها من معانٍ...

كانت ثمة جماعتان من الطلاب تصطرعان في كلية التربية... كان كل منهما يريد سحق الآخر... كل منهما يكاد يتميز من الغيظ... واستمر الصراع ساعة من زمان... كانت ثمة جماعتان وقفت إحداهما أمام الأخرى، في البدء، كل منهما تهتف هتافاً يخفت صداه حيناً ويعلو أحياناً، ولم يكن أحد ليتصور أن الأمر سيستمر على هذه الحال، وأن إحدى الجماعتين ستتنازل...

وحلّق أحدهم كرسيه في الهواء وبدأ الصراع... وفي لحظات تراجع الجبناء وتركوا النادي ليقفوا على مرتفع سكة الحديد التي تخترق الكلية، ويرجموا الآخرين بما عندهم من حجارة... كانت هذه الصور تمرّ بخاطري وأنا أقلّب الصفحات... وحان المساء ومرت بعده ساعات عدنا بعدها إلى القسم الداخلي في جو بارد مطير...

انهزم الجبناء لمّا رأوا جموعنا تلاحقهم في فناء الكلية... واحتموا بأقسامهم الداخلية... أغلقوا الأبواب، وصعدوا إلى السطوح وبأيديهم قطع من الطابوق راحوا يرموننا بها بغزارة، ولكن الله سلّم... وجاء الانضباط العسكري ففكّ الاشتباك بين الطرفين...

وجلسنا بعد الغداء، ثلاثة من الأصدقاء، نتحدث في مواضيع

شتى، وكانت جلسة أخوية رائعة، عدتُ بعدها إلى القسم الداخلي... كانت السماء لا تزال شاحبة كئيبة... ولكن أعماقي كانت مشرقة متفتحة... كنت أحسّ بصفاء أكثر، واستقرار أعمق... واتجهت إلى المعهد، وبدأت أقرأ في التاريخ الأوربي بعض مواضيعه الشائقة... وفي الطريق إلى الداخلي كنا نتحدث عن امتحانات نصف السنة، واحتمال تأجيلها إلى حين... فكثير من الطلبة يشعرون بقلق لا تستقيم معه الدراسة...

وفي الداخلي جلس كلٌّ منا على سريره... وغرق في تيار وعيه الباطني... ولم يستيقظ إلا على صوت أحد الداخلين وهو يقول: لقد أعلنت كليتنا العطلة... وتأجّل الامتحان إلى ما بعد انقضائها... فكانت فرحة غمرت الجميع، وراحوا يتهيؤون للمغادرة صباح يوم غد...

٥ كانون الثاني

استيقظت في الصباح، وكان الانسجام منعدماً أيضاً بين الأجواء الشاحبة التي يخنقها ضباب كثيف، وبين أعماقي التي أشرقت فيها ألف شمس... ذهبنا إلى الكلية لتناول الفطور... وبعد مغادرة المطعم راعني وأضحكني منظر جديد وظريف... كان الشيوعيون الجبناء قادمين إلى مطعم الكلية، وكانوا قد تجمعوا وانتظموا وأخذوا يجتازون فناء الكلية كما تسير قطعة من الجيش في أيام الاحتفالات... ولكن كانت سيماء الذلة والخنوع تصبغ وجوههم...

واتفقتُ مع الأخ عدنان الدليمي وعشرة من الطلبة أن نتصدى لهم عند مغادرتهم المطعم... ووقفنا ننتظر خروجهم، ولكنهم لم يخرجوا لا بعد ساعة ولا بعد ساعتين... لقد غادروا الكلية من أحد الأبواب الخلفية خوفاً من الاصطدام... وبمساعدة الانضباط العسكري... وسبحان مغيّر الأحوال...

بعد الظهر كانت الحافلة تسرع بنا في الطريق إلى الموصل... كنا نتكلم حيناً ونصمت أحياناً... نحيا دوامات الإشراق حيناً، ونعيش أزمات الصراع النفسي والقلق والسأم أحياناً... وقبيل الغروب كان قرص الشمس يلوِّن نفسه بين الغيوم بأروع لون... لون لم أشاهده طيلة حياتي...

١٠ كانون الثاني

كنت غارقاً صباح هذا اليوم في أجواء الصراع الطبقي الذي شهدته فرنسا فيما بين ثورتها الكبرى وحرب السبعين... وكان الجو صاحياً والشمس تنشر أشعتها الصفراء بلون الذهب على الأشياء... وبعد الغداء اختفت الشمس وراء رداء شاحب من الغيوم الرقيقة، وخرجتُ لأقضي الوقت هنا وهناك...

وفي إحدى المكتبات لمحت عدداً جديداً من مجلة (التضامن) فالتقطته بسرعة، وأخذت أقلب صفحاته علّي أعثر على تلك المقالة التي أرسلها ذلك الإنسان المجهول بعنوان (العلمانية انحراف)، والذي لم تنعكس حقيقته في يوم من الأيام على أي شيء... وتساءلت: هل سيظلّ يعيش... أزمة الضياع...

ضياع الذات المتفجرة في صحراء سرعان ما تلقي في جوفها كل ما على سطحها من ماء العيون... هل سيظلّ هكذا يحسّ ويشعر ويخطّ شعوره وإحساسه فنّاً... ويفكر في الكون والحياة ويخطّ أفكاره ظلال عقائد ومبادئ دون أن تعكس فنه وأفكاره؛ أية مرآة؟ وكان الجواب في المجلة ذاتها حيث لم أجد مقالة ذلك الإنسان المجهول!!

١١ كانون الثاني

الغيوم السوداء تملأ السماء، والظلام يحيط بالأشياء... والمطر ينث قوياً حيناً وضعيفاً حيناً آخر... وجلست أنا في الغرفة أقرأ الصفحات الأخيرة من ملزمة علم نفس الطفل... وتمر ساعة وساعتان أسرح خلالهما بأفكاري عبر جدران الغرفة، بل عبر هذه الغيوم التي تحجب حقيقة السماء... وأسرح بعيداً بعيداً... في طريقي إلى الله ﷻ لأحسّ عظمته وأتأمل جبروته... وليسجد له قلبي الغريق... وأسرح بعيداً بعيداً إلى عوالم الشعر والفن وأسمع أنغاماً من الموسيقى تنقلني إلى مكان آخر غير هذا المكان، وتحييني في زمن آخر غير هذا الزمان...

وأعود إلى المحاضرة لأقرأ ولأنهي هذه الصفحات المنشورة أمامي... ويأتي المساء والسماء لا تزال تغطيها السحب... فنلعب حيناً، ونستمع إلى الراديو حيناً آخر... ونأكل حيناً ثالثاً... ثم نتحدث حيناً أخيراً... وها أنا ذا أسطر هذه الكلمات على أنغام متماوجة يرسلها المذياع...

٢١ كانون الثاني

وعدنا إلى الداخلي من جديد... ومرت الساعات سريعة كما اعتادت أن تمرَّ في كل ليلة... أحاديث متقطعة حول مواضيع أكثر ما تكون شيقة... وأكثر من الحديث الضحك... وأكثر من الجد الهزل... فما هي إلا الساعات التي نفرغ فيها من عناء النهار.. وننسى فيها ونحن في غمار المقالب والضحك دوامات الأفكار القاسية والقلق الهاصر... وما هي إلا ساعات الإنسان عندما يغدو لا أبالياً... عندما لا يفكر في شيء إلا في لحظته... وهذا هو جوهر اللاأبالية...

هنا في الداخلي نغدو كلنا لا أباليون... لا نأبه لشيء ولا نفكر في شيء... وغداً سيكون الامتحان... اليوم الأول من الامتحان... فترى إلى البعض وهم مستلقون على أسرتهم يطالعون بعض ما تيسّر مطالعته... وآخرون يتكلمون بأصوات عالية، فيغدو جوُّ الغرفة محض ضجيج وصراخ... ها هم الطلبة يستقبلون امتحانهم بنفوس راضية حيناً.. ساخطة أحياناً...

٢٣ كانون الثاني

من الضجيج تنبعث السكينة... هكذا انطلقت بنا السيارة هذا اليوم عبر رحلة عائلية في طريقنا إلى الحبانية... وخلفت ورائي محاضرات عديدة ودفاتر كثيرة ملأت رأسي منذ أيام بمعلومات لا تسمن ولا تغني من جوع...

كان الجو مشرقاً والطريق جميلاً تمتد على جانبيه أراض

واسعة جرداء إلّا من بعض الخضرة هنا وهناك... وبعد مرور ساعة لاحت البحيرة الزرقاء الرائعة تمتد على مدى البصر ولا تبين لها نهاية... وكان ثمة نسيم رقيق يهب فيحرك مياهها أمواجاً هادئة منسابة... ولكنه نسيم بارد... فلم نستطع البقاء إلا ريثما أخذنا بعض التصاوير.

ودخلنا الحبانية وهي مدينة هادئة جميلة... كلها حدائق وأشجار وبساتين وزهور... والذين يريدون السكينة والاستقرار يحصلون على ما يريدون في مثل هذه المدن الرائعة؛ التي لا تسمع فيها إلا حفيف الأغصان يحركها النسيم...

وجاء المساء وعدنا من حيث أتينا... وعدت من جديد إلى الدفاتر والكتب والمحاضرات.

٢٩ كانون الثاني

استيقظنا في وقت مبكر وكان الظلام لا يزال يلقي ظلاله على الأشياء... وعبر النافذة بدت زرقة السماء على أروع ما تكون... كنت غارقاً في جدال عنيف مع أحد الأصدقاء في حلم طويل... كنت أصيح فيه وكأني ضجر من شيء أو مسرع إلى شيء: الحدود وضعها الاستعمار فيجب أن تزول مباشرة بعد زوال الاستعمار... يجب أن تمحى فوراً بعد أن ينمحي الاستعمار... يجب أن تحطَّم في اللحظة التي يجرّ فيها الاستعمار جنازته عائداً إلى بلاده وراء البحار إلى غير رجعة...

وفتحت عيني... قمنا لنغسّل بالماء البارد، والذي ينشّط

الأجساد التي أطالت الرقود، ولنذهب بعدها إلى الكلية... كان الطريق خالياً من كل إنسان، وبدت رؤوس الأشجار ذهبية رائعة... وبدا كل شيء وكأنه يبتسم لإشراقة الكون وتراجع الظلام...

كان امتحاننا اليوم في تاريخ الدويلات الإسلامية... وعبر ساعات الامتحان كنت أعيش مع الحضارة الإسلامية الرائعة في الأندلس، وأجوس خلال القرون الوسطى، وما تتخبط به أوربا يومها من ظلام القرون...

٣ شباط

كان القطار عائداً إلى الموصل ينساب فوق الحديد بسرعة لم نشعر بها... كان كلٌّ منا غارقاً في مطالعة كتاب... وكنت أقرأ قصائد من ديوان (أنشودة المطر) للسياب... وعبر زجاج النافذة لم يبدُ أيُّ شيء سوى صفحات المياه تعكس بعض الأضواء التي يرسلها القمر بين الحين والحين من بين قطعات الغيوم، التي تقترب لتخنق القمر وأشعته... وفي لحظة يغدو كل شيء غارقاً في الظلام...

استيقظنا مع الفجر... كان كل شيء يبتسم... يشعّ حياة وجمالاً... كانت الأضواء التي يرسلها قلب الشمس الكبير تشعّ من كل الأشياء... وفي البعيد بدت المدينة شامخة بمنائرها الخالدة المتطاولة إلى السماء... تمجّد الله... وتفخر بعباده الذين قضوا على القطيع المتوحش الذي سعى في الأرض فساداً... وأجرى الدماء... وصبغ كل شيء بلون الدم الأحمر... وقبيل الغروب كنت

أتخطى في شوارع المدينة تحت أشعة الشمس الدفيئة، وأحيا الهدوء ينشر جناحيه على الأماكن والأشياء...

٧ شباط

مرةً أخرى في كازينو الساحل ننظر إلى الضفة الأخرى، حيث بدت معالم الربيع الأخضر... وجرّتنا الأحاديث إلى جدال طويل... نظرت إلى الساعة وكانت قد جاوزت الواحدة والنصف ظهراً، فغادرت الكازينو عائداً إلى البيت...

عادت الغيوم الكثيفة السوداء فطغت على مسرح السماء، وعادت الرياح قوية عنيفة، وأنذرت الطبيعة بمطر غزير وجلست أنا في البحيرة أنتظر أحد الأصدقاء... وراح يتكلم بحماسة وانطلاق، وبمنطق رائع، أثّر في نفسي أشد التأثير، وشدّني إلى قافلة الفكرة العاملة في واقع الحياة... وغادرنا المكان إلى إحدى الكازينوات... وهنالك وضعت يدي في يده... وعاهدته...

في الغرفة جلست وحدي، وعبر أصوات الموسيقى المنبعثة من المذياع والرياح المزمجرة في الخارج؛ رحت أكتب صفحات متلاحقة من المرئيات الحركية، لأقدمها إلى قافلة الفكرة العاملة في واقع الحياة...

١٣ شباط

كان الدرس الأول في الاقتصاد موضوع (التوازن)، ولست أدري لم وجدت متعة كبيرة في الموضوع... والدرس الثاني في التاريخ

الأوربي... ثم دخلنا القاعة لأداء امتحان في أصول التدريس وخرجنا... كان الجو صافياً مشمساً، وعرض عليَّ أحد الأصدقاء الذهاب بسفرة قصيرة إلى كلية الزراعة... وبعد الغداء كنا نركب دراجة بخارية عبر شوارع بغداد في طريقنا إلى أبي غريب... وهناك جلسنا بعض الوقت في أحد الأقسام نتحدث مع جمع من الأصدقاء في مواضيع شتى... ثم خرجنا لنتجول في ساحات الكلية، وحقولها الرائعة، ومزارعها الخضراء... والتقطنا هناك عدداً من الصور التذكارية قرب النافورات وأحواض المياه والحدائق المدرّجة... وعدنا إلى الداخلي... واستلقى كل منا على سريره يستمع إلى أغان وبرامج يرسلها المذياع ويشرد في آفاق الخيال...

١٦ شباط

هذا هو اليوم الأول من شهر رمضان المبارك... لقد تحررنا من روتين الأوقات الثلاثة للطعام، ودخلنا في نوع من الحياة الجديدة؛ التي يختلف منهاجها عما يسبقها وعما يعقبها من أيام... ذهبنا إلى الكلية... وفي فترات الفراغ كنا نجلس على إحدى المصاطب لنتحدث ونضحك... وبعد الدرس الأخير عدنا إلى الداخلي... وجلست على السرير أقرأ في سورة الكهف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٢ و١٨] هكذا في أسمى فنّ... ثم وضعت رأسي على الوسادة ولم أستيقظ إلا قبيل الغروب بدقائق قليلة...

وفي الطريق إلى الكلية كنت أتخطى وحدي... وأنا منشرح النفس... وفي حديقة الكلية جلسنا على السجاجيد ننتظر الأذان... ثم صلينا وفطرنا... وركبت الباص إلى بيت أحد الأصدقاء. وهنالك جلسنا حيناً من الزمن، ثم خرجنا إلى الكازينو لنقضي ساعات أخرى في الأحاديث ذوات الشجون... وعندما عدت إلى الداخلي كانت الأمطار تنزل من السماء قوية عنيفة حتى لقد امتلأت بدلتي بالماء...

١ آذار

إن كان هنالك من يشك بتقدّم الإنسانية، ويرى إليها وهي تعود بعد كل رحلة إلى الظلام العميق، ويخيم عليها الليل ليضيئه القمر بعد حين، كالشعر الحالم العميق... ثم لتشرق الشمس قويةً ساطعة كالعلم الصراح المبين... ثم لتعود الشمس إلى الأفق وتختفي من جديد، لتدخل الإنسان في ظلام القرون وهكذا... هي دوامة لا بداية لها ولا نهاية... والسلام هو منطلق الإنسانية، والحرب صخرة سيزيف؛ التي كُتب عليها أن تحملها وتشقى بحملها لتنهار من بعدُ إلى القرار السحيق... إن كان من يؤمن بهذا... فهناك في الشق الآخر من ينظر إلى الحياة نظرةً ملؤها الإيمان والثقة، ويرى إلى الإنسانية وهي تحثّ الخطى لتصل القمة في يوم من الأيام... لا عودة إلى الظلام... لا بداية بعد النهاية... لا ليل بعد النهار... هو الليل يضيئه القمر حيناً من الزمن، ثم تكسفه الشمس إلى الأبد...

وبين هؤلاء وهؤلاء يعيش الآلاف من الفلاسفة والفنانين والأدباء في دوامات الصراع مع الشكّ، الذي لا يعرف ليلاً ولا نهاراً... ويتجاهل الشمس والقمر!!

٢ آذار

في غرفة صغيرة أنيقة تطل على شارع الرشيد، حيث تلتمع الأضواء الزرقاء قبيل الغروب، وحيث تنساب العربات بهدوء رائحة غادية، جلسنا مع جماعة من الأصدقاء التونسيين نستمع إلى المذياع وهو يرسل أنغاماً مرتلة... كانت الدقائق الأخيرة قبيل الإفطار... ولما أذن المؤذن وأدّينا الصلاة... بدأنا بالتهام ما على المائدة من طعام الكسكس المفلفل اللذيذ، وجلسنا نتحدث في مواضيع شتى، ثم سلّمت على الأصدقاء وخرجت...

في قاعة كلية الحقوق كانت ثمة جموع حاشدة من الطلبة تستمع إلى أحدهم وهو يلقي كلمة افتتاحية لحفلة اليوم... وبين الحين والحين تضجّ القاعة المزدحمة بالتصفيق الحار، ويرتفع صوت جهوري ملؤه الإيمان والقوة:

أخي فامضِ لا تلتفت للوراء طريقُك قد خضّبته الدماء
ولا تلتفتْ ها هنا أو هناك ولا تتطلعْ لغيرِ السماء...
فلسنا بطيرٍ مهيضِ الجناح... ولن نُستذلَّ ولن نُستباح

فتشتعل الثورة في أعماق كلِّ فرد منا... بينما يمضي الصوت متعالياً:

أخي إنني اليوم صلب المراسِ أدقُّ صخور الجبال الرواسي
غداً سأشيح بفأسِ الخلاص رؤوسَ الأفاعي إلى أن تبيد...

٨ ـ ١٣ آذار

مع الفجر حملنا حقائبنا، والمشاعر الممتعة التي تغمر قلب الإنسان في فجر كل رحلة تملأ قلوبنا، فتنساب سمات مستبشرة على الوجوه وفي الضمائر... وانطلقت بنا الحافلة الكبيرة من فناء الكلية لنبدأ رحلة طويلة بإشراف الدكتور حسين أمين أستاذ التاريخ الإسلامي، في جنوب العراق... وصلنا الحِلّة وأخذنا بعض الصور التذكارية هناك، واستأنفنا السفر إلى الديوانية حيث نزلنا وتجوّلنا في شوارعها القديمة، والتقطنا صوراً أخرى هناك... وفي الواحدة ظهراً انطلقت بنا السيارة من جديد... وقبيل الغروب كنا نعبر جسر الناصرية ونمرّ بشوارعها الجميلة... فنضع متاعنا في إحدى المدارس، نستمع من براعم الحياة لأروع الأناشيد والأنغام... ولنخرج بعدها لنفطر، ولنتجول في شوارعها الرائعة، وهي تمتد بمحاذاة الفرات، ثم لنعود في ساعة متأخرة إلى المدرسة...

كانت أمسية أمس رائعة، فقد جلسنا في الغرفة التي أُعدَّت لنومنا بقلوب منسجمة وأرواح متآلفة نلعب المحيبس، ولكن شيئاً من التعب كان يبدو في حركاتنا ووجوهنا... ثم بدأنا بعد ذلك بتناول السحور ونمنا... وفي ساعة مبكرة ركبنا السيارة واتجهنا إلى (أور) أقدم مدينة في تاريخ العراق، وهنالك صعدنا فوق المرتفع الذي تشغله، والتقطنا صوراً رائعة في مسالك زقورتها

الشاهقة... وعدنا إلى الناصرية... ذهبنا لنشتري قليلاً من الغذاء فطوراً لنا، فقد تقرر أن يكون مبيتنا الليلة في الجبايش!

وبعد أن سارت بنا السيارة مسافة نصف ساعة غادرناها وركبنا مركباً صغيراً جميلاً، انطلق بنا في هدوء يشقُّ مياه الفرات، التي فتحت قلبها لأشعة الشمس الذهبية الصفراء، وعلى الجانبين امتدت بساتين النخيل الخضراء... كان حقّاً منظراً لا يُنسى... ودخلنا هور الحمار، فإذا بالمركب يشق طريقه في مستنقع لا نهاية لمياهه... وغربت الشمس، وكان لغروبها منظر حالم جميل، وأُشعل المصباح الزيتي، وعلى ضوئه الخافت تناولنا فطوراً متواضعاً يليق بالمكان الذي جلسنا فيه... وأخيراً توقف المركب على ساحل مدينة صغيرة هي الجبايش...

كان سكان المدينة على درجة كبيرة من الطيبة، فسرعان ما أحضروا الأسرّة والفرش، وسرعان ما انسجموا معنا، فرحنا نلعب سوية لعبة المحيبس... وجلسنا في إحدى مقاهيها فترة من الزمن لنشرب الشاي ولنعود بعد ذلك إلى الغرفة... وكانت ليلة شاقة قضيناها مع البراغيث... لم ينم أحد منا، وامتُصَّ من دمائنا الشيء الكثير... واستيقظنا في الصباح مرهقين، وانطلق بنا المركب من جديد...

كانت البيوت تمتد على طول الساحل، يفصل بين أحدها والآخر مستنقع من المياه الملأى بالقصب، فعلى هذا القصب يعيش سكان هذه المناطق... وغادرنا المركب في ناحية المدينة... جلسنا

في النادي قليلاً ثم ركبنا السيارة من جديد وأخذنا طريقنا إلى البصرة... وبدت المدينة جميلة بشوارعها، وحدائقها عندما كانت السيارة تجتازها لتصل بنا إلى إحدى الأندية، حيث استرحنا قليلاً ثم نقلنا متاعنا إلى إحدى المدارس، ليكون مبيتنا هناك...

وقبيل الإفطار بساعة رحنا نتجول في شوارع البصرة وعلى الكورنيش الرائع، ثم أجّرنا مركباً لينطلق بنا بعض الوقت في مياه شط العرب حيث ترسو السفن الكبيرة هنا وهناك... ثم عدنا للبحث عن أحد المطاعم، وبعد عناء كبير دخلنا مطعماً مزدحماً تناولنا فيه فطورنا ونحن نحسّ بجوع شديد...

كانت أمسية يوم أمس في فندق شطّ العرب... جلسنا جماعات جماعات نتحدث حيناً ونصمت حيناً آخر... ثم قمنا لنتخطى بعض الوقت في الشارع الطويل، ثم لنركب الباص ونعود... في الصباح كان الجو غائماً والأمطار تتساقط باستمرار... ركبنا الباص واتجهنا إلى مدينة الزبير واشترينا بعض البضائع الرخيصة ثم عدنا... استلقيت على الفراش ورحت في إغفاءة قصيرة.

وعندما استيقظت كانت السيارات واقفة عند المدرسة والطلبة قد استعدوا للسفرة إلى العمارة... وفي الساعة الرابعة وبينما كانت الأمطار تهطل بقوة والريح تهب باردة والغيوم السوداء تتحرك بسرعة عبر مسرح السماء، انطلقت بنا السيارات في طريق العمارة... وقضينا ساعات ممتعة في الطريق...

وقبيل الغروب وصلنا العمارة، وهي مدينة منظمة وهادئة..

دخلنا إحدى البنايات لنبيت هناك... وبعد العشاء جلسنا بعض الوقت في إحدى الكازينوات البسيطة، ثم ذهبنا إلى نادي الموظفين لنقضي أمسية طيبة هناك، ثم عدنا إلى المكان التي سنبيت فيه، وهنالك جلسنا حتى موعد السحور فتسحرنا ثم أسلمنا أنفسنا لنوم عميق...

في الصباح، وفي الساعات الأولى كانت السماء ترسل مطراً مدراراً، ولكن سرعان ما تشققت السحب، وكفّت الأمطار، وظهرت الشمس بنورها الساطع، وخرجتُ مع صديقين آخرين لنتجول في المدينة... وقبيل الظهر ركبنا السيارات وقفلنا عائدين إلى البصرة... كانت السماء صافية تماماً والهواء منعشاً... وبدأنا نقضي الوقت في لعبة المحيبس... كان الطلبة مدعوين للغداء عند أحد الأصدقاء في إحدى الضواحي... بينما رحنا نحن الصائمون نتخطى في تلك المدينة التي يلتقي عندها دجلة والفرات ويبدأ شطّ العرب... ووقفنا في الملتقى تماماً لننظر إلى النهرين الخالدين وهما يتعانقان... ثم بدأ الجو بالاكفهرار من جديد، فقفلنا عائدين... وصلنا البصرة قبيل الغروب، وبعد استراحة قصيرة خرجنا لنفطر في أحد المطاعم ثم لنجلس في إحدى المقاهي... كان الجو بارداً لا يحتمل، فما لبثنا أن غادرنا المكان عائدين إلى المدرسة.

في الصباح جلسنا بعض الوقت في إحدى الدوائر عند أحد الأصدقاء... ثم ركبنا سيارة اتجهت بنا إلى قضاء أبو الخصيب...

كان الشارع يمتد بين بساتين النخيل، حيث تقوم على جانبيه آلاف الشجرات... وفي أبو الخصيب تجولنا بعض الوقت ثم قفلنا عائدين... وبدأ الاستعداد للرجوع إلى بغداد... وفي الساعة الخامسة كنا في محطة قطار البصرة الصاعد إلى بغداد... رحت أنا أتخطى وأسرح في خيالي، فلا ألذ إلى الإنسان من أن يسرح في عالم الخيال...

وفي الخامسة والنصف تحرك القطار، ورحنا ننتظر لحظة الإفطار، ونحن نرقب قرص الشمس، وهو ينسحب في الأفق البعيد... وبعد أن أفطرنا جلسنا نتحدث حيناً ونطالع في المجلات حيناً آخر حتى ساعة متأخرة من الليل... ونام الأصدقاء وجلست أنا أحيا مع أفكاري ساعات طويلة دون أن أنام لحظة واحدة... ثم استيقظ الجميع، وأشرقت الشمس وبدأ النهار... وعندما وصلنا بغداد كان التعب قد رسم آثاره على وجوهنا بعد ليلة طويلة من السهر والإرهاق...

٢٤ آذار

أخذت بيدي قطعة من الحديد وأردت أن أنقش بها على الشجرة الوحيدة في ذلك المكان فلم أستطع... أردت أن أنقش بضع كلمات للذكرى... ورأيت قريباً مني فراشة جميلة الألوان فحاولت أن أمسك بها فلم أستطع... أردت أن أتأمل ألوانها وجمالها... ونظرت إلى الأيام التي مضت وتمنيت لو تعود... ولكنها لن تعود... أردتها لأحيا الأيام التي شعرت فيها بالإشراق

والسعادة... ورأيت إلى الحياة كعجلة تركض بسرعة إلى غاية في نهاية الطريق لتقف هنالك الوقفة الأخيرة... وتمنيت لو تبطئ في سيرها؛ كي لا تذهب حياتنا كما تذهب البراعم مع الريح...

وجرّتني الأفكار إلى عوالم تمنيت أن أحياها، وإلى عوالم أخرى تمنيت ألا أمرّ فيها أبداً... كنت متكئاً على جذع شجرة قديمة، وفي الطرف الآخر جلس صديق آخر، ورحنا نتحدث حديثاً متقطعاً... وقلت له: إنه مكان تحلو فيه المطالعة... ليت معنا الآن ديوان من الشعر لنقرأ فيه عصارة الروح وتجربة الشعور... كانت الغيوم تركض في السماء، وكانت الشمس تنسحب بهدوء لتلقي نظرة الوداع على الوجود... الوداع الأخير...

٢٦ آذار

أيشتكي الفقرَ غادينا ورائحُنا ونحن نمشي على أرضٍ من الذهبِ؟!

بالأمس رفع رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة، ودون استشارة مجلس الوزراء سعر البنزين... وكان ذلك أذى لأصحاب سيارات الأجرة وتهديداً في رزقهم... كان يعني تجويعهم في أرض تتفجر بالخير والثروة... وقرر سوّاق السيارات الإضراب إعلاناً عن سخطهم، وانتصاراً لحقّهم في الحياة والعيش...

أما الشعب الذي امتلأ قلبه بالثورة والغضب ضد طاغيته، فقد أعلن تأييده للسوّاق في إضرابهم... حتى الأطفال وقفوا عبر الشوارع يمنعون السيارات العامة من المرور... وكان مصير السائق الذي يتحدى إرادتهم تحطيم زجاج سيارته... كان رئيس الوزراء

وأتباعه يظنون أن هذا الإضراب أمرٌ هيِّن، سينتهي بين يوم وليلة، إذ ليس بمقدور السوّاق المقاومة لفترة طويلة... ولكن الشعب الذي ذاق الكثير من مرارة الدكتاتورية عرف كيف يستغلّ هذه المناسبة ويعلن ثورته...

٢٧ آذار

جلس أستاذ الاقتصاد الأنيق على منصته، وحملق في الطلبة بعض الوقت، ثم ما لبث أن قال: إنه لمن المؤسف أن تكون نتيجة هذه الخطوة الشرعية الطبيعية في رفع الأسعار هذا الإضراب وهذه الأعمال الوحشية؛ التي تدلّ على نفسية الإجرام والتخريب عند الشعب العراقي... ولكن الأستاذ لم يدرِ وهو يحيا مطمئناً على مورده؛ أن هنالك من تهدد هذه العشرين فلساً مورد رزقه... ولم يدرِ أيضاً أن كلَّ شعب عندما لا يسمع حكامه رأيه وما يريد بالطرق المشروعة المسالمة؛ سوف يلجأ إلى إسماعها للحكام بالقوة وبالعنف، وهذا هو منطق الأشياء...

في هذا اليوم أعلن طلبة الكليات تضامنهم مع سوّاق السيارات فأضربوا عن الدوام، وتبعهم بقية الطلبة في المدارس الثانوية والمتوسطة... خلت الشوارع إلا من باصات المصلحة التي كُسرت معظم نوافذها ومنعت من المرور في بعض الشوارع...

٢٨ آذار

انظروا إلى هذا الموقف: مئات من ذوي الدخل المحدود

ينتظرهم الجوع الذي لا يرحم، يريدون أن تتحقق إرادتهم التي لا تعني إلا الاطمئنان على الموارد... وزعيم يتحدى هذه الإرادة، بل هو لا يأبه لهذا الإضراب، وكأنه يصرخ فيهم أن يعملوا ما شاؤوا وأن يضربوا أنى شاؤوا، فلا من مجيب... وشعب اشتعلت أعماقه بنار الثورة ضد الدكتاتورية، يرى إليها وهي تتجسد بهذا الموقف... فماذا تكون النتيجة؟ الثورة والضحايا...

لقد ثار الشعب في صبيحة هذا اليوم، وانطلق يعلن للتاريخ بأنه ما من شعب يستكين أبداً للطغاة... وأنه لن يقبل الحياة الهادئة الوادعة إلا أولئك الذين باعوا عقائدهم للشيطان... وفي منطقة الأعظمية اصطدمت جموع المتظاهرين بقوات الجيش، وأطلقت النيران، وسقطت الضحايا... وسال الدم... وفي مناطق أخرى سقط آخرون... هكذا وبهذه الروح سيلحق الطاغية بمن سبقه... ولن تتراجع الشعوب عن حقّها المشروع أبداً...

٢٩ آذار

فُرض منع التجوال في منطقة الأعظمية، ووقفت الدبابات الكثيرة في ساحات بغداد... ومدّت أكياس الرمل في وزارة الدفاع، واستلقى خلفها الجنود بخوذهم الحربية ورشاشاتهم الثقيلة... وقهقهة الزعيم: لن يستطيع شعب العراق أن ينتصر عليّ... لن يقهر إرادتي...

كان الجو غائماً... والأمطار تتساقط بين الحين والآخر... وفي فناء الكلية وقف جمع من الطلاب يهتفون: الله أكبر والموت

للطاغية... الخزي والعار للجزار... ثم وقفوا حداداً على أرواح الشهداء الذين سقطوا يوم أمس...

يا زمن... لتكن وحدك الكلمة الحقة التي تُسمع الطغاة مصائرهم... قل لهم بأن الشعب لن يخوض نهاياته المفجعة إلا ليبدأ من جديد... ولكن نهاياتكم تعني دفنكم بالتراب إلى الأبد... ولنعلم نحن بأن نار الثورة المقدسة عندما تشتعل في الأعماق فلن يطفئها أي شيء، حتى تأتي على آخر إنسان سام شعبه سوء العذاب...

٣٠ آذار

أيشتكي الفقرَ غادينا ورائحُنا ونحن نمشي على أرضٍ من الذهبِ؟!

مرةً أخرى أعود إلى هذا البيت... فقد خرج المساكين وقد هددهم شبح الجوع، خرجوا عن إضرابهم وتنازلوا عن إرادتهم، وأي شيء أقتل للقيم والمبادئ من شبح الجوع؟... ولا زالت صيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترنّ في الأسماع: (لا تجيعوهم فتكفروهم)... بلى لقد كانت كلمة هي من صميم الواقع الإنساني... ومع هذا فكلّ فرد يعجب من أعماقه كيف، ونحن نملك منابع الذهب الأسود، وهناك الغادون والرائحون يشتكون الفقر؟ إنه جوهر الاستعمار... يمتص دماء الشعب... يمتص روحه... ويتركه مريضاً هزيلاً لا يقدر على شيء... إنها مأساة الاستعمار عندما يتخم شعبه وراء البحار، ويجيع شعباً آخر يتدفق في أرضه الخير العميم والموارد التي لا تنتهي...

١ نيسان

في فناء الكلية... والساعة التاسعة صباحاً... الطلبة تجمهروا في الفناء... كان كل شيء ينبئ بأن هنالك أمراً سيقع... انتظر الجميع النتيجة الأخيرة لإنهاء الإضراب أو الاستمرار فيه، وصعد أحد الطلبة البعثيين وألقى كلمة طويلة، ثم قفز طالب آخر وأعلن إنهاء الإضراب باسم الشعب... كان هذا الطالب شيوعياً في العام الماضي تنازل عن مبدئه لعدم ترشيحه لعضوية اتحاد الطلبة... وفي هذا العام عاد من جديد ليعلن للملأ باسم حزب البعث إنهاء الإضراب... بعد دقائق أراد الشيوعيون إعلان رأيهم في الإضراب، ولكن الجماعة الإسلامية منعتهم وهي تذكر أعمالهم الوحشية بعد ثورة الشواف، وهي تذكر شعاراتهم التي ملؤوا بها الأزقة والجدران بأن لا حرية لأعداء الشعب... وسرعان ما طغت عليهم موجة من الجبن والذلة... وأرادوا أن ينسحبوا لولا تدخل البعثيين الذين هتفوا بلسان أحد أشقيائهم: سيلقون كلمتهم رغماً عن الجميع!! ولكن إرادة الحقّ وقفت لهم بالمرصاد حتى اللحظة الأخيرة...

٣ نيسان

ألحّتْ عليَّ فكرة الاضطهاد والتعذيب والاعتقال... ألحّت عليّ... جعلتني أتمنى لو أُعذَّب وأضطهد وأسجن الآن... هذه اللحظة... ألحّتْ عليَّ وملأت كل جارحة من جوارحي... ورأيت الإنسان الذي يضحّي بكل شيء هو وحده الإنسان الذي يستحقّ الحياة... ألحّتْ عليَّ... وسمعت أصواتاً هائلة تصرخ فيَّ أن أتقدّم لأقول الكلمة التي

تعذبني وتشقيني... ما أروع الشقاء... ما أحلى العذاب من أجل الكلمة الحقّة... من أجل مبدأ ضخم... من أجل الإسلام!

وهتفت من أعماقي: رباه دعني أشقى من أجلك... دعني أتعذَّبَ في سبيل مبدئك... هنالك فقط يكون لحياتي معنى ولِذاتي وجود... هنالك فقط أشدُّ ذرّتي التائهة بالكيان الأعظم... وأرى الخلود تجسّده في طريقي كلمة الحقّ والتضحية والعذاب... ألحَّتْ عليّ، وعندما جاء رجال الأمن ليفتشوا الأقسام الداخلية، تمنيت آنذاك لو أنني قمت بشيء... لو أنني قلت كلمة الحق، لأستحقَّ أن أذهبَ معهم إلى المعتقل لأجد ذاتي هناك!!

٤ نيسان

أَلحَّتْ عليَّ فكرة الاضطهاد والتعذيب والاعتقال... ولكن كيف أستطيع أن أحقق هذه الأهداف؟ ولما عدت أمس ليلاً إلى القسم الداخلي، كنت أعيش تجربة جديدة... لقد نسيت كلَّ شيء، ولم أعد أرى أمامي إلا طريقاً واحداً يستحق أن يسير الإنسان فيه... طريق التضحية والعذاب من أجل المبدأ... من أجل الإسلام... وبدأت أكتب على ورقة بيدي كلمات ثائرة عن العميل والاستعمار المقنّع، وأرواح الضحايا التي تضرّجت بدمائها... والمساكين الذين يئنون من الجوع... وتمنيت أن لو يسمح لي القدر أن أقولها من على منبر... أن أصرخ بها في وجه الطاغوت... ورأيت إلى الدم يغلي في أعماقي وأنّ ثمة قوة جبارة تهتف في أرجاء الكون: إن الإنسان خُلق لشيء، وهو ليس مجرّد هباءة تافهة في هذا الوجود...

إن الإنسان خُلق لغاية، فهو أعظم من الحياة التي يحياها قيماً سلبية تطفو على السطح جفاء... كنت أطالع في كتاب (هذا الدين) لسيد قطب فيزداد إيماني بهذا المبدأ الكبير وأتمنى لو أعمل في سبيله... لو أضحِّي من أجله... انه مبدأ يستحق التضحية والفداء... وتذكرت ما فعلته قبل أيام عندما صرخت متعمداً وسط تجمع إسلامي في كلية التربية: الله أكبر والموت للطاغية... الله اكبر والموت للجزار...

كان هدفي واضحاً... فالهجوم المباشر على طاغية العراق يقود أصحابه إلى السجون والمعتقلات... ولكن شاءت إرادة الله أن تمضي صرختي بسلام دون أن ينتبه لها رجال الأمن... وإن كان ذلك قد ترك في نفسي جرحاً عميقاً.. آه...

١٤ نيسان

قضيت وقتاً ممتعاً مع أحد الأصدقاء الدعاة في أحد الأقسام الداخلية... رحنا نتحدث في مواضيع شتى على شيء من الأهمية... وكان بيننا عهد وثيق... وخرجت... جلست في الغرفة أتصفح كتاب (معركة التقاليد) لمحمد قطب، وأندمج في أسلوبه الرائع وأفكاره المنطقية المقنعة... وبعد الغداء عدت إلى الداخلي لنقضي ساعات طويلة في الحديث والمطالعة والضحك والصمت... وخرجت إلى بيت أحد الأقرباء قبيل الغروب ورحت أتخطى في شوارع الأعظمية الهادئة التي امتدت على جانبيها أشجار البرتقال، وراحت رائحة القدّاح تملأ الأجواء...

في طريق العودة التقيت جمعاً من الأصدقاء، فجئت بهم إلى الداخلي وجلسنا نتحدث في مواضيع ممتعة... عن الأبطال الذين كوّنتهم العقيدة ورسمت لهم تاريخاً لا يهمله التاريخ... وفي الساعة الأخيرة، وقبل أن نسلم أنفسنا للنوم كانت عاصفة من الضحك والهتافات تملأ أجواء القسم، وتنقل ضوضاءها إلى الغرف الأخرى، فترتفع أصوات الاستنكار والتذمر والشكوى...

١٩ نيسان

أيقظني أحد الأصدقاء في السادسة صباحاً، فقمت سريعاً لأتوضأ وأبدِّل ثم لأحمل معي الخارطة وأتجه إلى موقف الباص... وفي الطريق كنت أفطر على قطعة من الكيك لم أدر أنها مسمَّمة وأنها ستكون سبباً في مرضي المفاجئ أثناء قيامي بالتطبيق... وفي فناء المدرسة رحنا نتحدث ونحن ننتظر دقة الجرس... ثم دخلنا الصف... وبدأت بإلقاء الدرس مع بعض الأسئلة، ولكن سرعان ما شعرت باضطراب في معدتي ودوار في رأسي... وتمنيت لو أتقيأ ما في بطني من طعام، ثم راح الصداع يعصر العرق من وجهي، ويريني الشيء الواحد كمجموعة متكررة من الأشياء... وتمنيت لو أستلقي على الأرض... أو أجلس على الكرسي الذي وضع بجانبي... ولكنني لم أستطع... وظللت واقفاً ألقي الدرس وأنا أترنّح...

وعندما خرجنا قلت للأستاذ المشرف الدكتور مسارع الراوي... أتسمح لي أن أنقد نفسي؟ قال: نعم... فقلت: لقد كنت

فاشلاً في التطبيق إلى درجة كبيرة... وبالرغم من أنه حاول أن يظهر العديد من المحاسن، إلا أني لم أر أمامي آنذاك سوى مساوئ شتى من بداية الدرس حتى نهايته... وانقضى اليوم وأنا أفكر في حادثة اليوم...

٢٣ نيسان

سيطر اليمينيون على القيادة الاستعمارية في الجزائر... فليس ثمة حدود للشر... إنه بلا قرار... إن ديغول وحكومة فرنسا التي سفكت في الجزائر دماء بريئة، وقطعت شرايين النساء والأطفال والشيوخ ومثلت بهم... كان شرّها أعلى درجة من حقد هؤلاء اليمينيين، الذين لو تسنح لهم الفرصة لأبادوا كل فرد في الجزائر يقول: أنا مسلم... بلى إنها الروح الصليبية المنغرسة في الأعماق عبر الأجيال، والجشع المادي الذي يدفع الإنسان إلى سلوك طريق الوحشية والانحطاط..

يعتقد اليمينيون المتطرفون أن الجزائر قطعة من فرنسا... إنها فرنسية لا يفصلها عن الوطن الأم سوى البحر... فمن يقول لهم بأن الجزائر يفصلها عنهم شيء أبعد من حدود البحر، وأعمق من أغواره... شيء سيقرر في النهاية أن قوتهم هذه محض زيف وسخرية وخداع؟.. إنها العقيدة... العقيدة هي التي تفصل الجزائر عن فرنسا فلا يستطيع اليمينيون الاستعماريون مهما طغوا وتجاهلوا حقائق الأشياء... إن يحققوا قوتهم هذه ويجعلوها أمراً واقعاً...

٢ أيار

هكذا دخلنا هذا الشهر الأخير من الموسم الدراسي بعد انتظار شاق... فلا شيء أزعج للإنسان من أن يريد دفع الزمن بسرعة للوصول إلى يوم بالذات... وأيامنا هنا في الكلية... وخاصةً الشهران الأخيران، مليئة بالقلق والإزعاج... فنحن نريد أن ندفع الأيام دفعاً لكي يأتي الامتحان، ثم ينتهي ونعود بعده إلى الموصل حيث العطلة الصيفية الطويلة...

نحن الآن في الأيام التي تسبق الامتحان، وهي أيام يسيطر عليها روتين شاقّ مملّ... ففي الصباح نحمل كتبنا، ونذهب إلى المكتبة أو إلى المعهد... ونعود بعد الغداء لنستريح بعض الوقت... وقبيل الغروب نعود ثانية إلى المكتبة أو إلى المعهد حاملين معنا كتبنا لندرس من جديد... وفي العاشرة نقفل عائدين إلى القسم الداخلي... وهناك حيث نريد أن ننسى تعب اليوم كله وقلقه، نفتح بوابة المزاح على مصراعيها قولاً وفعلاً، وترتفع أصوات الضحك والصياح ورفع الأسرّة وسكب المياه... حتى يخرج المراقب ويسمعنا بعض كلماته الثقيلة... هنالك نكفّ عن الضجيج ونسلم أنفسنا للنوم...

١٦ أيار

إن الإنسان يعجز أحياناً عن أن يصور يوماً من أيام تعاسته وشقائه... فتحت عيني على جو مغبرّ مليء بالتراب... جو خانق لا يسمح للإنسان أن يتذوق طعم الهواء... كانت النزلة الصدرية

تزمجر في أعماقي... وكانت أزمة ضيق النفس تشدد نكيرها عليّ، فلا أستطيع أن أتنفس حتى هواء ملؤه تراب وطين... فتحت عيني على روتين المراجعة الشاقة والامتحانات... ذهبت إلى المطعم... وخرجت بعدها إلى طبابة صحة الطلاب... ولم أحقق ما أريد فخرجت وقلبي مليء بالغيظ والحقد على هؤلاء الموظفين اللاأباليين...

اتجهت إلى المستشفى الجمهوري، وعلى الطريق بدت مناظر الكآبة والشقاء... ساعة من زمان مظلمة قضيتها هناك ثم عدت إلى دار الطلبة لأواصل القراءة... وفي العصر ذهبت إلى الطبيب فكشف عن متاعب في الرئة زادتني هماً وغماً...

٢٣ أيار

كان يوماً بلغ فيه الشقاء حدَّه والسعادة حدَّها... كان يوماً متناقضاً... بين قاعات وروائح ومرضى المستشفى الجمهوري، وبين السيارة المنطلقة بي مع نخبة من الأصدقاء إلى المدينة الحبيبة... الموصل... وعندما دخلت المستشفى وفحصني الطبيب، ذهبت من جديد لأخذ أشعة لأنفي حيث تلتهب الجيوب... ولأعود إلى الداخلي لآتي بالأشعة القديمة، ولأجلس أمام الطبيب فيضع عوداً في أنفي يريني نجوم السماء... وليقول الطبيب لي: لا نستطيع إذن أن نغسل أنفك... عُدّ بعد العيد... وما أن قال ذلك حتى انطلقت سريعاً لأخرج من هذا المكان المشؤوم، ولأحمل حقائبي بسرعة كبيرة، خوفاً من أن يكون أحد الأصدقاء قد سحب الحجز من الشركة... ولما وصلت هناك كان التعب قد هدّني هدّاً... وبدت آثار الضعف والانهيار

واضحة على ملامحي... ولما انطلقت الحافلة كانت المقاعد الخلفية التي جلسنا عليها تعلّمنا درساً جيداً في فن الرقص... ولكننا أغرقنا أنفسنا في أجواء الضحك والنكات واستشعرنا قلب الإنسان عندما ينفتح رغماً عن كل شيء...

٣٠ أيار

كانت الجلسة الأولى هنا في هذه الشرفة التي أدين لها بكل إنتاجي... فهذه هي العطلة الرابعة... التي أجلس هنا كل صباح لأمسك بيدي القلم وأخطّ بعض الذكريات، وشيئاً من الشعر... وخواطر وأفكار عن الكون والحياة والإسلام... وتمرّ الساعات بسرعة وأنا غارق في مشاعري وأفكاري...

جمعت اليوم قصاصات الأوراق التي كتبت عليها مطالع القصائد، أو رؤوس أقلام لمواضيع، أو أسئلة تحتاج إلى جواب... طيلة هذا الموسم الدراسي الذي لم يسمح بأية فرصة أخلو فيها إلى القلم لأكتب قصيدة أو أدوّن فكرة... ورحت أنقلها على الدفتر بشيء من التنظيم... وبعد ثلاث ساعات كنت قد نقلت كل شيء ومزّقت القصاصات وما فيها من أفكار...

اللهم اني أطلب منك القوة يا ذا القوة المطلقة، وأن تمدَّني بالصحة والعون كي أسهم بتمجيدك عندما أمجد خلقك وكونك ودينك... ولنريَ الذين لا يعلمون آياتك الجبارة في الآفاق وفي أنفسنا حتى يتبين لهم أنه الحق!!

٣ حزيران

في الصباح رحت أدوِّن بعض المذكرات وأكتب بعض الرسائل للأصدقاء... وبعد أن استيقظت من نومة الظهر، حملت معي كتاب (في النفس والمجتمع) لمحمد قطب، واتجهت إلى كازينو البلدية التراثية المطلّة على نهر دجلة... وهنالك كان الاجتماع الأسري الأول بيني وبين أكرم ضياء العمري ومحمد شاكر الغنام... وجلسنا بعده نتحدث في مواضيع مختلفة... وعندما غادر الأصدقاء المقهى... جلست أنا أنظر إلى جمال الطبيعة الصامت، وأمتع جوارحي بألوانه وروعته...

كان النهر ينساب بهدوء بلونه الأزرق ومياهه التي كسرتها نسمات الغروب... وعلى الضفة الأخرى امتدت أشجار الصنوبر الخضراء، تهتز كلما مر عليها النسيم... وعندما طغى الظلام على بانوراما الطبيعة هذه، فتحت الكتاب وغرقت في أفكاره وومضاته العميقة الرائعة... ولم أشعر بالوقت وهو يمرّ سريعاً، حين أخذ صنّاع الكازينو يستعدون لغلقها والانصراف، فأقفلت الكتاب ويمّمت وجهي صوب البيت...

٥ حزيران

هنالك فكرة، لست أدري هل عبّر أحد الكتاب عنها، أم أنها لم تخطر ببال أحد منهم؟! وهي مع ذلك فكرة ضرورية جداً للإنتاج والإبداع... ففي مجال الفن كثيراً ما تذكر عبارة (اللاوعي)... ذلك المعين السحري الذي يفجّر أسمى الفنون...

وعندما يفرغ الفنان من إنتاج أثر رائع، يعود ليرى إلى تلك الروعة، وكأنه ليس منتجها ومبدعها... كان إنساناً آخر أو قوة أخرى هي التي أبدعت كل هذا...

وفي مجال الفكر أتذكر عبارة من هذا القبيل... مع أن المفكر يأتي ليكتب فكرة واحدة خطرت له، وإذا بقلمه يتفجّر عن بحر من الأفكار... وإذا بقلمه يجرّه إلى عوالم أعمق وأبعد من فكرته تلك... وإذا به يغرق في نشوة فكرية دافقة، لا يستيقظ بعدها إلا وأمامه قطعة من الإنتاج الفكري المتكامل، لا ينقصه معنى أو يعوزه دليل... ويأتي المفكر أحياناً أخرى وفي رأسه أفكار مضطربة، غير منسقة، وعندما يبدأ يجرّه القلم عبر مسالك منسّقة، وينهي بحثه على أروع ما يكون البحث المنظم المتناسق... فيا سبحان الله! ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤ ـ ٥]!!

٢٠ حزيران

كثيراً ما أسأل نفسي هذا السؤال، ولكن دونما وصول إلى جواب قاطع: هل باستطاعة الإنسان أن يسيطر على إحساساته ومشاعره وأن يوجِّهها كيفما يشاء؟! أحياناً يضغط الإنسان على نفسه ويجعلها تفرح أو تحزن أو تحبّ... وأحياناً أخرى كثيرة تفرض مشاعره عليه فرضاً، ولا يجد بدّاً، بعد دفاعها وصراعها من الاستسلام لها وتركها تمرّ على مسرح نفسه محدثة بعض الآثار المؤلمة...

إن الإنسان عندما يريد أن يستشعر بعض الأحاسيس ويبحث

عن الوسائل فقد يحقق ما يريد... ولكنه كثيراً ما يعود وقد خاب فيما أراد... والحقّ أن هذه (اللاإرادية الشعورية) تحمل معنيين كأي شيء في هذه الحياة... تحمل معنى السعادة والإشراق؛ عندما تجد نفسك فجأة تتفتح على مشاعر الإيمان والجمال والأمن والطمأنينة، وتحمل معنى الشقاء والظلمة؛ عندما تنغلق نفسك فجأة على مشاعر السأم والكره والحقد والشكّ والخوف والقلق!!

٢٢ حزيران

إن الإنسان ليحسّ أحياناً بصغره وضآلته، وبأنه ذرّة هائمة في ملكوت الله... وبأن أيامه على الأرض محدودة مهما طالت أزمانها، وبعدت نهاياتها... ويرى إليها وهي تمرّ سريعاً فلا تعود... ولن يجدي الإنسان إذن من زمانه سوى أن يتذرع بالقوة الكبرى، المطلقة... كيما يكون له زمان لا نهاية له ولا حدود... ويبحث عن الإيمان... وعندما يستشعره تنسحق معه كل آلام الخوف ومشاعر النهاية المفجعة، والظلام الأسود اللا متناهي في أعماق التراب، ويحسّ آنذاك بأن كل شيء في هذه الحياة يحمل معنى، ويهدف إلى غاية... وما أحراه هو، وهو أكرم خلق الله أن يحمل معنى وأن يسعى إلى غاية... عند ذاك يتحرر من النظرات السابقة؛ التي كان يرى من خلالها ذاته نظرات الضآلة والصغر، ويحسّ بأنه يمتلك وجوداً ضخماً يستطيع أن يعمل وأن يحقق ما يريد...

٢٣ حزيران

ما أشقى الإنسان إذ يعبر مسرح الحياة دونما موسيقى تعزف

لمسيرته الشاقة، وإذ يجرّر خطاه في الصحراء اللاهثة دونما قلوب تتفجّر بالشعر والجمال... وإذ يرى إلى مناظر الشقاء دونما لوحات تجمِّلها وتلقي عليها الألوان والظلال... فلا يقف وجهاً لوجه أمام بشاعة الأشياء وظلام النهايات... هكذا يبعث الفن في أعماق الإنسان مشاعر تعينه على احتمال الظمأ وتقرِّبه من غايته؛ التي لو لم يستطع تحقيقها؛ فإن بإمكان الفن ذاته أن يحمله على جناحيه ويطوف به في عوالم السحر والجمال، فلا يسلمه للشقاء المحض...

هكذا يرسم الفن أجواء يعيشها الإنسان، فينسى إذ ذاك كل ما يؤلمه، ويطهِّره من كل ما يؤذيه... ويبعده عن عوالم سأمه الجوفاء ليضع خطاه في عالم يملأ عليه كل مشاعره... عالم يسمع في جنباته صوت الحياة في أجمل صورها وأروعها... على الإطلاق...

٢٤ حزيران

ما أسعد الإنسان وهو يصعّد في عوالم الفكر... عبر مسارح الكون والأشياء... الفكر... تلك القوة المكينة التي تستطيع أن تفسر غموض الظواهر والأشياء... وأن تعرف أسباب الروعة والعمق في مخلوقات الله... الفكر... تلك الوسيلة التي يستطيع بها الإنسان أن يعمّق وجوده، وأن يسعى لغاية... أن يعرف... فما أضأل الإنسان الجاهل الذي لا يعرف كل شيء... ولا يتفاعل إلا مع الواقع المنظور... الواقع فحسب... وعندما يصعد الفكر في مسرح الكون... عندما يشاهد الإنسان بناء الكون المعجز، وهو يسمع في أعماقه ترتيلة الإيمان والتقديس الإلهي... آنذاك تصل

مشاعره القمة في العمق والانطلاق... آنذاك تنسحق كل القيود التي تغلّ هذه المشاعر، وينفتح الطريق واضحاً رائعاً، ليصل بالإنسان في طريقه المقدس... إلى الله...

٦ تموز

لعله من قبيل الموافقة الرائعة أن أكتب إليك هذه الرسالة إثر انتهائي من مطالعتي ـ لأول مرة ـ كتاباً من تأليف مفكّر له صلة بفكرك ونفسك... ذلك هو الأستاذ (مالك بن نبي)... لقد أنهيت قراءة هذا الكتاب وهو (حديث في البناء الجديد) وبودّي لو أقرأه مرةً أخرى... وكيف؟ وأنا لا زلت أذكر جملة قلتها لي في نهاية السنة الدراسية الفائتة: (سوف أعيد مطالعة كل ما كتبه مالك مرةً أخرى)... بلى... لقد أدركت الآن سبب إعجابك الفائق بهذا المفكر (العميق)، وسبب عرض بعض أفكاره في معظم جلساتنا الطلابية في نادي الكلية... ويوم عرضتَ على جمع من الأصدقاء وكنتُ أنا معهم سؤالاً عن الحضارة، فتخبّطنا في الجواب وحِرنا في حقيقة هذا المفهوم... وأخيراً جاء من تلميذ (مالك) الجواب الحق: الحضارة = إنسان + تراب + وقت!!

١ آب

الذي يتتبع (الأخبار) يوماً بعد يوم يلاحظ ثمة ظاهرة واضحة هي أن حادثة مهمة تحدث في وقت معيّن... فإذا بها تستغرق معظم هذه الأخبار، فإذا ما انتهت هذه الحادثة وخفّت آثارها، إذا بحادثة أخرى تحدث في الوقت الذي يعقب انتهاء

الأولى، وتروح هي الأخرى تستغرق معظم (الأخبار)... وهكذا نجد الأخبار العالمية كلها تتجه في وقت معين اتجاهاً واحداً، لتنقل للأسماع المصغية ملامح وتفاصيل حدث من الأحداث، طغى على غيره من الأحداث...

لقد كانت أزمة الكويت في وقت من الأوقات هي محور (الأخبار)، أعقبتها خطوات الجمهورية العربية المتحدة نحو الاشتراكية والتأميم... ولا زلنا نعيش حتى الآن أزمة (بنزرت)، حيث تهدد كل لحظة تمرّ بانفجار رهيب واصطدام مسلح بين قوى الخير والشر... إنها أزمة هزت الشعب العربي المسلم في تونس وحرّكته، وعلّمته إرادة الحياة... فلا بدّ أن ينتصر...

٤ آب

لشدّ ما أتمنى أن تتحقق بعض الأمنيات المتواضعة التي أتمناها... إن لدينا فراغاً كبيراً واسعاً وباستطاعتنا أن نستغلّه أروع استغلال... فنحقق فيه كل ما يشبع وجودنا الحائر القلق... هنالك مجالات الفن وهنالك مجالات الفكر... فلو أستطعنا أن نقيم بعض الندوات الفنية والفكرية؛ لكنا قد أعطينا وجودنا حقه، وبدأنا الطريق الإنساني المنتج...

ولكن... أين نجد أولئك الأصدقاء الذين يجتمعون على كلمة واحدة... ويرسمون معاً طريق الحياة المبدع؟ إن مفهوم الصداقة هنا في الشرق ـ ويا للأسف ـ لا يتعدى اللقاء السلبي الذي يعني الجلوس في مكان ما والتحدث عن أشياء سطحية تافهة، أو

مهاجمة هذا وذاك والطعن فيه وهو غائب... أو اللعب الذي لا نجد معدّى عنه، كيما يخلصنا من الضجر الذي يفرضه علينا الفراغ الطويل... ليتني أجد أولئك الأصدقاء الذين يعرفون كيف يرتوي الوجود... وكيف يقدّس الفكر والفن...

٨ آب

كان يوم أمس قطعة رائعة من الحياة التي تنشد السكينة والإشراق... في الصباح جلست لأكتب بعض الصفحات فهو تقليد عزيز عليّ... كان الغداء بسيطاً متواضعاً... كان (فول مدمّس) ذكّرني بالقصص المصرية التي يكتبها نجيب محفوظ... رحت ألتهم الطعام بنَهم وأنا شارد بفكري إلى أبطال هذه الروايات...

وفي العصر جلسنا في شرفة البيت نتحدث حيناً ونلعب الداما والشطرنج حيناً آخر... وعندما قاربت الساعة السادسة والنصف وغدت أشعة الشمس محتملة، خرجنا من البيت لنركب (عربة) متواضعة يجرّها حصان واحد... عبرت بنا بعض الشوارع... غادرنا لنتخطى بعدها على الجسر الجديد... ودّعت الأصدقاء وجلست على ضفة دجلة، حيث كانت تلك الأمسية الرائعة المليئة بأحاديث الفكر والفن والجمال...

١٠ آب

في الصباح جلست في شرفة البيت أدوّن بعض الأفكار عن العلمانية... وإذ كنت غارقاً في ذلك، لم أرفع رأسي إلا عندما فتح

الباب وجاء من يقول أن ابن العم هشام الطالب وجماعة من معارفه سيصلون اليوم الموصل قادمين من إنكلترا... وعدت إلى الكتابة من جديد...

في العصر جلسنا نتحدث حيناً، ونسلم أنفسنا للصمت الثقيل حيناً آخر... ونلعب وندبّر المقالب حيناً ثالثاً... ونأكل أخيراً... لنخرج بعدها من البيت ونتجه إلى بيت أحد الأعمام، فنجلس هناك بعض الوقت ريثما يأتي القادمون... وبعد ساعة من زمان عاد السكون المخيّم على المكان ضجة وأصواتاً... فقد وصل القادمون إلى المدينة التي فارقوها عهداً طويلاً... وجلسنا نستمع إلى (جمال البرزنجي) وهو يتكلم عن الأماكن التي مروا بها، وعن الطريق الذي عبروه عبر أوربا... وعندما قاربت الساعة الواحدة ليلاً عدنا إلى البيت ..

١١ آب

في هذه الحياة قطاعات كبيرة لكلّ منها خصائصه وعاداته وتقاليده وصوره وظلاله وألوانه .. لكل منها حركاته وأهدافه واتجاهاته... وفي كل قطاع من هذه القطاعات مستويات متباينة تبدأ بالسطحية والضحالة وتنتهي بالعمق والتمكّن... ولست أدري شيئاً عن العوامل التي توجِّه كل فرد منا نحو هذا القطاع بالذات أو ذلك القطاع... هل هي عوامل تتعلّق بالوراثة والفطرة والموهبة... أم هي عوامل تتعلّق بالبيئة والمحيط والتجارب الشخصية؟

نحن نرى مثلاً أفراداً اتجهوا إلى قطاع الفن وتفاعلوا معه، وعادوا ليعطوا ويبدعوا هم أيضاً في هذا القطاع... ونرى آخرين اتجهوا إلى قطاع الفكر وتفاعلوا معه وعادوا ليعطوا هم أيضاً في هذا القطاع... ونرى فريقاً ثالثاً اتجه إلى قطاع العمل الحزبي وآخر إلى قطاع الرياضة... الخ... وفي كل قطاع من هذه القطاعات نجد الذين يتسمون بالسطحية والضحالة... وآخرين بالعمق والتمكّن والإبداع... ولولا ظلام الليل ما ظهر البدر!!

١٢ آب

لقد آن لي أن أسجل هنا هذا الصراع الذي أعيشه في تجربتي الإنتاجية... وهو صراع يتميز بالقلق والتشوّق إلى الطريق الواحد، كيما أستطيع أن أوجّه ما عندي من طاقة في ذلك الطريق الواحد فلا تتشتت وتذهب هباء... إنني ـ وأعتقد أن هناك كثيرين غيري ـ بحاجة إلى من يرشدهم... إلى من يوجّههم إلى الطريق الصحيح، الذي ينسجم وقابلياتهم ويتفاعل مع إمكاناتهم...

ففي أشهر هذه العطلة بالذات كنت أتأرجح دائماً بين قطاعين كبيرين يملكان عليّ نفسي وفكري هما الفن والفكر... لم أستقر في مكان كيما أعطي ما عندي. فأنا اليوم أكتب بعض الأفكار في موضوع فلسفي بحت... وأنا في يوم آخر أعبّر عن أعماقي التي تلتهب أحياناً بنار الثورة، وتحنّ أحياناً أخرى إلى الذكريات... وتتمنى مرةً ثالثة أماني شتى... قصيدة...

إنني بحاجة إلى من يرشدني ويوجّهني إلى طريق واحد كيما أستطيع أن أثبّت قدميَّ وأنطلق... فهل سأجد ذلك الإنسان؟

١٤ آب

رحت أقرأ وأعيد في المقالة التي كتبتها هذا الأسبوع عن (العلمانية)، كيما ألقيها مساء هذا اليوم على جمع من الشباب المسلم في الندوة الفكرية الأسبوعية... وبعد أن أنهيت قراءتها مرات ومرات... لم أرض عنها، ونظرت إليها نظرة من لا يطمئن إلى شيء... ولكن الوقت لم يسمح لي بإعادة الكتابة من جديد، فقررت أن تكون في موضوع محاضرتي هذا اليوم وغادرت البيت.

جلست قبيل صلاة المغرب أقرؤها بسرعة على بعض الأصدقاء، فكان رأيهم فيها معاكساً تماماً لرأيي... هنالك عادت الثقة لي وعرفت أن جهودي استطاعت أن تثمر... وبعد أن بدأت الندوة بمقدمة من أحد الأصدقاء رحت أقرأ المحاضرة بصوت مرتفع وبسرعة كبيرة، لأن الوقت لا يسمح بالإبطاء... وعندما انتهيت كانت تعليقات الأصدقاء مقدِّرة إلى درجة كبيرة لهذا الأسلوب الذي اتسمت به المحاضرة...

وبعد ذلك النقاش... عدت إلى البيت وأنا أفكر في الندوة الأولى؛ التي ألقي فيها محاضرة عن الفكرة التي أؤمن بها... فالحمد لله...

١٨ آب

ستصلك رسالتي هذه في ذكرى اليوم الخالد... يوم مولد رسول الإنسانية الأعظم محمد ﷺ ... ولست أدري هل سيكون في أي بلد من بلدان أوربا صدى لهذا اليوم الخالد؟ أم أن الشعوب هناك تشيح بأبصارها عن كل القيم الإنسانية لتغرق في أجواء المادية المحضة... بلى إنها كذلك... وإن الإله المادي الذي يعبدوه ويصلّون له ليل نهار، هو الذي ينذرهم أبداً بشبح الحرب ومهاوي الدمار... وهو الذي سيجرّ حضارة أوربا، إنِ استمرت في ذات الطريق، إلى السقوط والانهيار... ذلك ما يتنبأ به مفكرو أوربا أنفسهم، لأنهم أدركوا ببصيرتهم النافذة هذا المصير...

فها هو ذا الفيلسوف الألماني الكبير (آزوالد شبنغلر) يقرر في كتاب له باسم (أفول الغرب)، بأن الحضارة الأوربية طغت فيها المادية على الروح، وهذا بداية النهاية لها رغم ما تخدع به البشر من التقدم العمراني والمادي... ثم يقول: «إن الحضارة دورات فلكية تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام، الذي يملك اليوم أقوى روحانية عالمية نقية».

٢٠ آب

وقفت على الجسر الجديد لأشرب (السوس) المثلج، ولأتمَّ رحلتي إلى المسبح، حيث سيجري سباق في لعبة الكرة الطائرة بين فريق المسبح وفريق نادي الموصل... ومرّت بخاطري صور

من الماضي القريب والبعيد على السواء... صور من عالم الرياضة الرائع عندما كنا ننتظر الأيام التي تجري فيها لعبة مهمة، أو يقام استعراض...

فمنذ عهد الطفولة كنا لا ندع سباقاً أو استعراضاً إلا ونشاهده... وعندما تنتصر مدرستنا نعود والبشرى تعمر قلوبنا وترتسم على وجوهنا... وعندما تكون الخسارة بجانبنا نعود والحزن يمسك برقابنا... وفي عهد المتوسطة كنا نترك الدروس لنذهب إلى ساحة المعارف لنشاهد السباقات... ونسافر إلى بغداد.

وفي الأيام التي تتّسم هناك بالجفاف والشقاء، كنت أجد في عالم الرياضة خير مكان أهرب إليه... ففي العام الماضي أستطعت أن أعرف، لكثرة مشاهداتي للألعاب الرياضية... كل نوادي بغداد وفرقها وأسماء لاعبيها المتميزين... لقد كانت لعبة اليوم لعبة رائعة امتلأت بالجدّية والحماس والتصفيق الحاد!!

٢٢ آب

استيقظت مع الفجر، حيث بدت طلائع النور في الأفق الشرقي... فأنا على موعد اليوم مع سفرة إلى الزاب الأعلى مع جمع من المعارف والأصدقاء بمن فيهم هشام الطالب والداعية المهندس عبد الغني شندالة... وآخرون... اجتمعنا في ساحة النبي يونس، وانطلقت بنا السيارات في طريقها إلى الزاب... وفي الطريق كان حاج يمني قدم مع العائدين من إنكلترا قبل أيام قلائل، يلقي بعض الموشحات باللهجة اليمنية ولا يطرب لها إلا هو وحده!!

وبعد ساعة من زمان وصلنا المكان، ونزلنا من السيارة لنبحث عن جهة تتميز بالظل... وتحت الجسر الأصفر وعلى حافة النهر ألقينا متاعنا، ثم رحنا نخوض في الماء حيناً ونسير على الحصى المفروش حيناً آخر... حتى وصلنا إلى مكان يصلح لصيد الأسماك... وعبر الأصدقاء إلى الضفة الأخرى ثم عادوا ومعهم كمية كبيرة من السمك الصغير... وكان هذا غداءنا... وبعد استراحة قصيرة ركبنا إحدى السيارات وخرجنا باتجاه آخر لكي يصطادوا السمك من جديد... ولم نعد إلا بعد أن غابت الشمس، فصلينا هنالك وقفلنا عائدين إلى الموصل...

٢٣ آب

ويمرّ الزمن وتعود ذكرى مولد الإنسان الأمثل محمد ﷺ، ولكنها لا تمتزج بالقلوب ذلك الامتزاج الذي يفجر فيها طاقة الإيمان الحقّ، المنطلق ليسحق في طريقه كل قوى البغي والعدوان، كما سحقها محمد ﷺ أول مرة...

إنها احتفالات تقام هنا وهناك تتميز بهذا الروتين الذي درجنا عليه، والذي صبغ هذه الذكرى دائماً بلون معين يعرفه الجميع... إنها المناقب النبوية المبتدعة تتلى هنا وهناك دون أن نحسّ لها بأي عاطفة أو شعور... بل تجعلنا أحياناً نمقت هذه البدع الدخيلة على الإسلام الحيّ، البعيد كلّ البعد عن سفاسف المخرّفين...

في مكانين فقط كانت هنالك قبسات من المعنى الحيّ لهذه

الذكرى... وألقيت قصائد ثورية إلى درجة ما، لا تفي هي الأخرى بما يتطلبه المولد الخالد... وألقيت خطب في سرد أخلاق الرسول ﷺ... ولكن ألا ترون معي بأن الأخلاق لا تأتي بالخطب، وإنما بالمعاناة والصلة الوجدانية... إن الذي يجب أن تعنيه هذه الذكرى الخالدة هو شيء واحد: الثورة... الثورة على الزيف والطغيان... وعلى المصادر التي يتفجّر منها العذاب!!

٢٦ آب

كنت أطالع في كتاب ميشيل عفلق (في سبيل البعث)، وكانت تستوقفني بعض الأفكار والعبارات التي تدعو إلى التأمل والجدل... فكنت أنقلها على الورق كيما أستطيع أن أناقش بعضها... وانقضى النصف الأول من النهار... وفي الخامسة مساء غادرت البيت في موعد مع ابن العم (هشام الطالب) ومجموعة من الأصدقاء... وانطلقت بنا السيارة من هناك مجتازة شوارع الموصل ومنسابة في طريق المجموعة الثقافية الخالي الطويل.

وصلنا مزرعة الحكومة وألقينا متاعنا هناك... كان ثمة مرتفع من الأرض الخضراء يطلّ على منظر طبيعي ساحر... كان دجلة ينساب بهدوء أسفل المكان... وفيما وراء النهر امتدت أراضٍ واسعة قامت في بعض أنحائها شجرات خضر تصلّي لله... وكانت الشمس تلوّن كل الأشياء في هذا المسرح بألوان الأصيل المذاب... وعندما صعد القمر الأزرق الحالم في الأفق الشرقي كنا نحيا

أجواء رائعة... وكم كنت أتمنى أن لو تنساب الأحاديث في مجالات الشعر والفن والجمال...

٣١ آب

كنت واقفاً أنتظر الباص ليوصلني إلى الجسر الجديد، فأعبر من هناك إلى المسبح، حيث موعدنا مع الندوة الفكرية، وحيث سيعرض موضوع (نظام الحكم في الإسلام)، وإذا بسيارة ابن العم هشام وبعض الأصدقاء تمرّ فأركب معهم، وتنطلق بنا في طريق (خور ساباد) شمالي المدينة... وبعد الغروب غادرنا السيارة وأقمنا الصلاة في الأرض الجرداء الممتدة بعيداً... ثم استمرينا في الرحلة... كانت الأحاديث كلها تدور حول موضوع واحد هو الدعوة إلى الإسلام... ولكنه موضوع شيق وهام... وعندما قفلنا عائدين وجلسنا في إحدى الكازينوات القاصية، كان الحديث يدور حول ذات الموضوع...

كثيراً ما أسأل نفسي: هل أستطيع أن أقدّم خدمة حقيقية للفكرة التي أحملها؟ إن القلم مهما تكلّم، والفكر مهما أجهد ذاته؛ فإنهما لا يستطيعان أن يوفّيا هذه الفكرة حقها... وإنهما ـ كذلك ـ لا يرويان ظمأ وجودي إلى عمل ضخم... عمل كبير... وتمرّ أمامي أطياف التضحية والعذاب... ولكنها وحدها هي الأخرى لا تؤدي إلى شيء كبير... إنها إذاً الفكرة التي يحملها العذاب... إنه القلم الذي تقبله القيود... أواه... لو تسنح لي الفرصة كيما أخطّ أفكاري على الحديد وأنقش الحجر!!

١ أيلول

أيلول... الوجه الآخر من روعة الحياة... ففي الربيع يرمز (نيسان) إلى الجمال الحركي الذي يغمر الطبيعة، وينشر ظلاله في كل مكان... النهر عندما يفيض... والبراعم عندما تتفتح... والعواصف عندما تزمجر... والشمس الساطعة عندما تغسل السماء الزرقاء العميقة من الغيوم... والإنسان الذي يريد أن يفرغ طاقته في شيء... يريد أن يتحرك... وأن!!

وهذا الشهر يرمز إلى الجمال الهادئ الرصين، الذي يغمر الطبيعة، وينشر ظلاله الحالمة في كل مكان... النهر الرقيق المنساب... والأوراق المتساقطة بهدوء... والنسيم الحالم العميق... والسماء الزرقاء الشاحبة... وشمس الأصيل الباهتة... والألوان الغافية على دنى الأحلام... والإنسان الذي يريد أن يتعمّق إحساساته، وأن يصل هذه الأعماق... أن يسموَ بروحه إلى الأعالي... أن يستمع إلى الموسيقى والشعر ويتفاعل مع الفن...

أيلول... يا شهر الحياة في شقها الهادئ الحالم... يا شهر الموسيقى التي تعزف للكون والحياة والإنسان...

٩ أيلول

في الساعة التي تسبق الغروب خرجت من البيت في طريقي إلى كازينو بعيدة، حيث ضربت موعداً مع صديق هناك... وجلسنا نتحدث عن موضوع كثيراً ما يكون هو المحور مع هذا الصديق... وبعد الصلاة كانت ثمة أحاديث تدور حول الفكر الإسلامي... وقال

أحد الأصدقاء... إن الإسلام بحاجة إلى فلسفة كي يستطيع أن يتحدى الفلسفات الأخرى... وكان على حقّ، ولكنه على قدر من التطرف أيضاً...

إن الفلسفة في الإسلام لا تعني غاية بحدّ ذاتها، وإنما هي وسيلة فحسب لتعميق خطوط الإسلام العقائدية وعرضها بأسلوب لا بدّ منه لمجابهة الفلسفات المعاصرة... وقد قدم الدكتور محمد البهي خدمة كبيرة في هذا المجال... قال صديق آخر: إن البهي عرض لإقبال فلسفته الإسلامية، وهي فلسفة فيها جوانب إسلامية محضة، ولكن فيها بعض التطرف... إن الخطأ الذي وقع فيه هو محاولته إخضاع الأشياء الروحية للمفاهيم الفلسفية... وجرّنا الحديث إلى مالك بن نبي وإلى المفكرين الإسلاميين، ونحن نتخطى في طريقنا إلى موقف الباص...

١٩أيلول

اليوم الأخير الذي يسبق موعد السفر إلى بغداد... اليوم الذي تنتهي هذه العطلة الرائعة بانتهائه... اليوم الذي يحسّ فيه الإنسان بأنه سيفقد ثمة شيئاً ألفه وأحبّه من كل أعماقه... وأنه سيدفع إلى شيء فيه من الغربة والحنين الكثير الكثير... ها هي أجواء الخريف التي تشترك في إلقاء الألوان على هذه النهاية... إن فيه روح السفر والوداع... تماماً كما أن فيه روح اللقاء .. لقاء الأعماق...

وقبيل الغروب كنا نجرّر خطانا في طريق هادئ طويل... كانت الأشعة الصفراء تغسله بحنان، وكان النسيم الرقيق يعمق

مشاعرنا... بينما تهتز له الشجرات الخضر منتشية... ها هي الطائرات تأتي مسرعةً، وبانخفاض مخيف كيما تحطّ في أرض المطار بعد أن أفرغت حمولتها في الجبال على رؤوس الكرد... وهذه هي الكازينو التي جلسنا فيها طويلاً حتى آن لنا أن نغادرها ردحاً من الزمن... بعد الغداء كنت أقلّب درج الأوراق والمجلات وأعيش مع الماضي البعيد...

٢١ أيلول

بدت بغداد بمعالمها الخالدة... أشجار النخيل الغبراء المنتشرة هنا وهناك... وصلنا المحطة وركبنا سيارة أقلتنا إلى أحد الفنادق في شارع الرشيد... وهناك أسرعنا في الحلاقة والتغسيل والتبديل... ثم غادرنا (الفندق) إلى الكلية، وبعد قليل كنا نسير في المدخل الذي طالما ذرعناه في السنين الماضية... قال أحد الأصدقاء: ها هي ذي الكلّية كما كانت، وها نحن نسير في ذات الطريق، كأن لم يكن هناك عطلة استمرّت الشهور الطوال...

بلى لقد عاد كل شيء إلى ما كان عليه: الطريق الداخل إلى الكلّية بنسماته الرقيقة الباردة... وذلك الفقير المخبول الذي يهتف بالمارة طالباً بعض القروش... والسيارات العديدة تقبع قرب القسم الدراسي، والطلاب يتجمعون هنا وهناك... ومعالم أخرى كثيرة... دخلنا النادي لنجلس هناك بعض الوقت، ثم نعود إلى الفندق كي نخرج مساء إلى إحدى الكازينوات، لنقضي هناك أمسية اليوم...

٢٥ أيلول

النصف الأول من النهار في النادي مع جمع من الأصدقاء... وراح الوقت يمرّ ونحن غارقون في مطالعة الصحف حيناً، والمجلات حيناً آخر... وجذبتني مقالة عن الوجودية كتبها الدكتور كمال الحاج بأسلوبه الشيق العميق الرائع، فرحت أقرؤها بسرعة وأرى إلى روعة التحليل الفلسفي، وطبيعة الأسلوب الذي تتّسم به كتابات كمال الحاج... ورأيت ثمة مقالة أخرى عن القصصي الراحل (أرنست همنغواي) ولم يساعد الوقت على مطالعتها... فأسرعت بالمرور على بعض فقراتها، لأرى إلى العملاق القصصي يكتب للجيل الضائع الذي مزّقه القلق وبعثر وجودَه التشتتُ والضياع... عن الجيل الذي سئم حياته وبحث عن النهاية السلبية للألم: الموت!!

هذا هو الطريق الوحيد للهروب من الحياة... لتحقيق الوجود: العدم... هذا هو المنفذ إلى عالم الخلاص...

ومرّ بخاطري ما كتبته عن العلمانية فرأيت ثمة اتصالاً وثيقاً في هذا المجال بين العلمانية وبين هذا الضياع... ووجدت في نفسي دافعاً يدفعني إلى أن أكتب في هذا الموضوع من جديد...

٢٨ أيلول

هذه هي المأساة التي تطالعنا في البدء من هذا الموسم... مأساة الإنسان العربي المسلم، عندما تتحطم أمام وعيه ووجوده أروع عمارة أقامها بدمه ودمعه وعرقه... عمارة الوحدة... لقد ملأ

الأسى قلوب الكثيرين وهم يرون إلى الحركة الانفصالية في سوريا تشقّ طريقها وسط عواصف من الثورة الشعبية؛ التي أبت أن تهدّم مكاسبها في إغماضة عين... لقد سُفك الدم... وكشّر الشرّ عن أنيابه، وفتحت له صفحة سوداء في تاريخ الصراع...

لنفتح أعيننا جيداً... إن مأساة الانفصال هذه تحتّم علينا أن نكون قبل كل شيء أصحاب عقيدة... وأن نبني كل شيء على أساس عقائدي... لنتحدى بعماراتنا بعد ذلك كل قوى الشر التي تهدف إلى التحطيم والتخريب... لقد كفتنا التجربة القاسية مؤونة الاستمرار في طريق التبعية الشخصية للقادة والزعماء... أي أن تكون جميع المعطيات مرتبطة بشخصية زعيم واحد... يجب أن تكون معطياتنا من صلب العقيدة... والشخص الذي يبني لا يبني لأنه أراد البناء وإنما لأن عقيدته تريد البناء!!

٢٩ أيلول

لا زالت ظلال المأساة تلقي بأعماق كل إنسان عربي مسلم صوراً من الجريمة السوداء التي قامت بها عصابة الرجعية وقيادة البعث السوري في دمشق... صوراً عن الشعب البائس الذي فُجع بأعز انتصاراته... الشعب الذي حمل السلاح وخرج ليواجه الدبابات بإيمان راسخ... عن الجموع التي خرجت من المساجد لتهتف بكلمة الحقّ ولتصلى بعدها ناراً حامية... عن الأعداء المتربصين بنا من كل جانب، وهم يضحكون من كل قلوبهم، بل يسخرون من هذا التراجع الذي ارتضاه العرب... كلهم كانوا في

انتظار هذه النكسة التي أصابت نواة الوحدة... ولكن المبادئ تبقى بعناصر خلودها تسخر من الأحداث التي تخطّها الإرادات الشريرة...

المبادئ هي دائماً فوق الشر والجريمة... وما دامت عقيدتنا تهتف متحدية الزمن: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء : ٩٢]؛ فإن الوحدة لا بدّ وأن يشهدها التاريخ في يوم من الأيام...

٦ تشرين الأول

مرّت ساعات الصباح سريعة وأنا غارق حيناً في أحداث (بين القصرين)، وحيناً آخر في أحداث دمشق... وبعد صلاة الجمعة... وبعد الغداء... عدت إلى (دار الطلبة) كي أتابع الصفحات الأخيرة من الحلقة الأولى من ثلاثية نجيب محفوظ... الذي يلفت الأنظار هو هذا الانفجار الفجائي للمآسي، والذي اتّسمت به قصص الكاتب الأمريكي أرسكين كالدويل... ففي خضمّ من مشاعر الأمل والتفاؤل تقع الفجيعة فجأة، كي تحيلها إلى مشاعر اليأس والتشاؤم والعذاب... والحق لقد تجمدت في عيني دمعتان، وأنا أتابع استشهاد (فهمي) وعودة أبيه إلى البيت ومنولوجه المفجع... واتجهت إلى الدولاب كي أستلّ الجزء الثاني وأبدأ مطالعته... لقد مرّت أعوام طويلة على وفاة (فهمي)، وها هي ذات العائلة تجتاز خضمّ الحياة وقد فقدت إحدى لبناتها... وها هو (كمال) يستوي شاباً... يؤمن بعمق ويحب بعمق... ويبحث

عن الحقيقة بعمق... وهنا تتجه الرواية إلى أبعاد جديدة تهزّ كيان القارئ هزّاً عنيفاً...

١٤ تشرين الأول

رحت ألتهم الصفحات الأولى من كتاب صغير بعنوان (الفلسفات الوجودية)... الحقّ أني أشعر بمزيد من الرغبة في الدخول إلى هذا العالم الواسع؛ الذي تسمع في محاريبه أصداء موسيقى تبكي على الإنسان ضياعه، ورنين أجراس تعزف له أمله الذي يبحث عنه، وسيجده عندما يعثر على وجوده!!

إن الفلسفات الوجودية تجتمع كلها لتشكّل اتجاهاً إنسانياً يهدف بشكل أو آخر إلى العثور عن حلّ لأزمة الإنسان المستعصية... من هنا أجد في نفسي هذه الدوافع الشديدة التي تدفعني إلى أعتاب هذا العالم؛ الذي لا ينيره هدى الإيمان بقدر ما يُشيع الظلام في أرجائه جحود الضلال...

إنهم يبحثون عن الطريق، ولكنهم سيمرّون بتجارب قاسية قبل أن يضعوا أولى خطواتهم في الطريق الحق... ولعلهم لن يصلوا إليه أبداً... ما داموا لم يبدؤوا البداية الصائبة... وذلك بالاستهداء بالهدي الإلهي القادم من السماء... من الله ﷻ الذي يعلم ما خلق وهو بكل شيء خبير...

١٥ تشرين الأول

قبيل الغروب اتجهت إلى شارع المتنبي، حيث المكتبات تقبع

على جانبيه، ومرقت إلى مكتبة المثنى، وهناك كنت أحيا في أجواء الفكر الإنساني... لقد لفت نظري هذا السيل المتدفق من الإنتاج الفكري والفني، والذي يتعلّق بالفلسفات الوجودية المعاصرة التي تتمثل بالضياع والعبث والتمرّد واللا جدوى والعدم من ناحية، والبحث عن الوجود أو اللاانتماء من جهة أخرى...

فلقد اتجهت أقلام الروائيين كي ترسم خطوط المأساة الوجودية التي يعيشها الإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين، واتجهت فلسفات المفكرين في ذات الاتجاه...

هذه هي قصة (لن أضيع) وهذا هو كتاب (الإنسان الضائع)، وتلك هي رواية (لمن تقرع الأجراس)، وذلك هو كتاب (عالم شتاينبك الرحيب)، وهذا هو كتاب (اللامنتمي)، وذلك هو كتاب (سارتر والوجودية)، و(الفلسفة الوجودية)، و(كامو والتمرّد)، و(المنفى والملكوت)، و(أسطورة سيزيف)... الخ... مجموعة ضخمة من الإنتاج الفكري والفني، طغت على سائر اتجاهات الكتابة في هذه الحقبة الأخيرة...

١٦ تشرين الأول

بعد ليلة شاقة كنت أتقلب فيها على الفراش مادّاً يدي حيناً... ضارباً على صدري حيناً آخر... متثائباً بصورة قهرية حيناً ثالثاً... علّي أجد ثمة قليل من الهواء لأدخله رئتيّ اللتين جثم عليهما وحش ثقيل... وكانت أصوات السيارات تصخب في.

الشارع المجاور بكل ضوضائها وضجيجها... فلا تدعنا نغفو بعض الوقت حتى توقظنا من جديد بصورة أكثر صلافة وإزعاجاً...

استيقظت صباحاً وأنا مرهق إلى درجة كبيرة... أرهقني الألم الذي تجسّد في عدم دخول الهواء إلى صدري... وأرهقني الأرق الذي تجسّد في ذلك الانتظار اليائس لانقطاع أصوات الباصات الكبيرة والهورنات... وغادرت الدار لاعناً كل من اقترح هذه المنطقة لبنائها... قلت لصديق كان متجهاً معي إلى المتوسطة الغربية لنشاهد تطبيق أحد الطلبة الجزائريين في موضوع التاريخ الإسلامي... إننا سوف لا نشعر تماماً بالتعب في بداية الأمر... ولكن ليمرّ شهر أو شهران لنرى إلى أعصابنا المنهارة ومشيتنا المترنحة...

وفي المساء كنا نجلس في كازينو مطلّة على دجلة بجانب الكرخ نتحدث حيناً ونسلم أنفسنا للخيال حيناً آخر...

١٧ تشرين الأول

قلت لأستاذ التاريخ الإسلامي: أعتقد أن الاتجاهين متكاملان، وأن ليس ثمة تناقض بينهما. فقال: كيف؟ قلت: الاختيار في مجال حدود الذات الإنسانية كوحدة لها حريتها وإرادتها وفكرها: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان : ٣]، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠]، والجبر فيما يتعلّق بسنن الكون الكبرى وقوانين الحياة: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان : ٣٠]، ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب : ٦٢].

قال: لا بدّ من الإيمان بأحدهما، إذ إنهما متناقضان أساساً،

هل أنت قدمت إلى هذه الكلية مختاراً أم مجبراً؟ قال: مختاراً. قلت: إذن أنت تؤيد فكرة الاختيار؟ قال: كلا. قلت: هل أستطيع أن أفتح هذا الباب وأن أغلقه؟ قال: نعم. قلت: ولكن هذه العملية لا تخرج عن حدود إرادتك واتجاهك الفكري. ولكن هل تستطيع أن تقف أمام معجزة الموت؟ هل تستطيع أن تغير سنن الله في الحياة وفي التاريخ؟ قال: هس! قلت: هه! قال: تناقض لا ينكره عاقل. قلت: القضية ليست مشكلة كما تتصور؟ إنها تحتاج إلى شيء من العمق كيما تحلّ. قال: دعوا الرجل ليقضي الدرس في العمق، استمر، تكلم عن العمق، هه... هه!! ...

٢٣ تشرين الأول

وقفنا نحن جمع من الطلاب في باب المتوسطة الغربية بانتظار جرس الدخول... وبعد دقائق كان الطالب المطبِّق يسيطر على المادة والطلاب، وحتى على انتباهنا... ذلك الطالب الشاذ الذي رأى فيه الكثيرون منا شخصاً لا يستحق الحياة، واعتقدوا أنه سيفشل في تطبيقه... الحقّ لقد أثبت اليوم قابلية متمكنة وذكاءً رائعاً... هؤلاء هم الأشخاص الذين أدركوا بعض جوانب الحياة؛ لولا أن ضربهم القدر في صميم وجودهم الإنساني.

في العصر كنا نجلس في النادي، حيث أقمنا حفلة صغيرة بمناسبة خطبة أحد أصدقائنا الجزائريين... كانت حفلة ممتعة ألقى فيها الأخ في النهاية كلمة طيبة...

كانت أمسية اليوم رائعة، انقضت ساعاتها في ضحك متواصل،

وأحاديث من الجد، وأكلة سمك (مزكوف)، ومشاهدة بعض برامج التلفزيون... ثم غادرنا المكان ورحنا نتخطى في شارع الرشيد، حتى أدركني التعب، فركبت الباص مودِّعاً الأصدقاء...

٣١ تشرين الأول

بعد لعبة سريعة في كرة المنضدة اتجهنا إلى القسم الدراسي... دخلنا الغرفة، وكان الهاشمي جالساً على المنصة يضرب بيديه بقوة على المنضدة التي أمامه، ثم يمدّهما إلى إحدى الطالبات بدفتره الضخم، كيما تورد لنا من بعض السطور عن الاختلاف بين المدرسة التقليدية ومدرسة الاعتزال... ما معنى يصّعّد في السماء؟ إنها دليل على الإعجاز العلمي في القرآن... فلقد أثبت العلم الحديث ذلك عندما وجد أن كميات الأوكسجين تقل في الطبقات العليا... بعد ذلك راح الأستاذ يقص لنا عن المحاضرة التي ألقاها أحد السويسريين عن دقة خطوط الإبهام، وعن إعجاز القرآن في الآية الكريمة: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة : ٤]...

في الدرس الثاني استأذنت وخرجت لأرى جمعاً من الطلاب منهمكين في تعليق لافتة كتب عليها: (العدوان الفرنسي على الجزائر، والعدوان الثلاثي على مصر، ووعد بلفور، كلها مظاهر واحدة لمعركة واحدة في أرض واحدة ضد أمة إسلامية واحدة)... وبعد دقائق كان ثمة احتفال إسلامي رائع وأصوات مدوية بهذه المناسبة: (الثورة الجزائرية تدخل عامها الثامن)...

٣ تشرين الثاني

الغيوم تتمركز في أعماق السماء، ومشاعر غائمة تتحرك في أعماق نفسي... وبينهما امتد خيال جامح لا يعرف حدوداً... ها هي قطرات المطر ترسم على زجاج النوافذ أشكالاً رائعة من بلور... والأفكار ترسم في قلبي أشكالاً مؤلمة من شقاء... جررت خطاي إلى المسجد لصلاة الجمعة، وبين روحي والإيمان سبب متين شدّتني إليه متاهات الطريق ورماني فيه رعب الضياع... عدت إلى الغرفة لأنام... لأستيقظ بعدها فلا أحسّ بشيء... فراغ قاتل يمتد في جوانب نفسي.

في غرفة أحد الأصدقاء عدت لأستشعر الحياة، وأحسّ بالوجود... تارةً مع النسيان وأخرى مع الأعماق... في كازينو (الجندي المجهول) كان ضحك... وكان حديث طويل... وأعود إلى الغرفة لأنام... ثم ليوقظني ألم شديد في منتصف الليل...

٣٠ تشرين الثاني

تحت أشعة الشمس الدافئة، في حديقة البيت رحت أطالع في رواية محفوظ (قصر الشوق)، ومر الوقت سريعاً، وأنا غارق في أحداث الرواية ودراما أبطالها: كمال... عايدة... حسين شداد... ياسين... أحمد عبد الجواد... إلى آخره...

وبعد جلسة قصيرة في البحيرة، دخلتُ المكتبة العامة لأطالع بعض المجلات والصحف، ولأخرج بعدها لأداء صلاة المغرب... كان أحد الأصدقاء الذين تشدّني إليهم الفكرة الواحدة، والشعور

المشترك، والعقيدة الخالصة... ينتظرني هناك... كي ننطلق إلى إحدى الكازينوات، وهنالك جاءنا صديق ثالث وجلسنا ننهب الساعات في أحاديث تتعلّق بالفكرة والعمل والسياسة والحياة... كان الألم يعصر قلوبنا... والأمل يلوح في الأفق البعيد، مرةً ضاحكاً بلون براعم الربيع، ومرةً أخرى قاتماً بلون الدم المسفوك... أواه أيتها النفوس الحائرة... لشدَّ ما تتعذبين في مسرح هذا الوجود ويرهقك البحث عن الطريق...

٤ كانون الأول

في الطريق إلى المتوسطة التي سأبدأ فيها التطبيق هذا اليوم... كنت أفكر في الدرس الأول، وما يجب عليّ أن أفعله، وطبيعة سلوكي مع الطلاب، لأول مرة في حياتي... وعندما دقّ الجرس حملت معي خارطة العالم العربي ودخلت إحدى الصفوف الثانية، بصورة طبيعية تماماً... وألقيت الدرس بصورة طبيعية تماماً... كأنني كنت أدرس منذ زمن بعيد، وجاء الدرس الثاني والثالث والرابع بسرعة... كأن كل ساعة من هذا اليوم قد تحولت إلى دقيقة واحدة... وفي الدرس الخامس رحت أستعرض للطلاب تاريخ بلاد الشام منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحاضر... كنت أجد ثمة متعة وأنا أمرّ على عصور التاريخ، لأقبس من كل عصر مصابيحه المتوهجة... أو راياته الحمراء... وانتهى الدرس وغادرت المدرسة عائداً إلى دار الطلبة... وبعد دراسة ساعتين في جغرافية آسيا... أسلمت نفسي لنوم عميق...

١٣ كانون الأول

لم تشرق الشمس، ولم نر السماء... كانت الغيوم تملأ جنباتها. وكانت الأمطار تعلو بأصواتها وهي ترتطم بما تصادفه في طريقها من جسوم... صوت لذيذ... ومنظر رائع من ظلام شتوي تألفه نفسي وتعشقه... بل تذوب فيه...

وفي الغرفة رحت ألتهم الصفحات الأخيرة من (قصر الشوق)... لقد هزتني المآسي التي فجّرها الكاتب بصورة مفاجئة... وعندما انتقلت إلى الجزء الأخير من الثلاثية: (السكرية) كان ثمة إحساس هادئ حزين يتملّك نفسي شأن كل من يقرأ الرواية... ويتفاعل مع أحداثها وشخوصها...

وجاء المساء وعندما كانت الدقائق تمرّ كنت أحسّ بضجر وأن الوقت ينساب بهدوء كبير... هنا يكمن الفرق بين هذه الحياة الهادئة المنعزلة، وبين حياتنا الصاخبة، المتحركة، في القسم الداخلي... وتمنيت إذ ذاك أن لو أكون في غرفتنا هناك... فهنالك لا أحسّ بضجر... وهنالك تمرّ الساعات دون حساب...

١٧ كانون الأول

كان ثمة نقاش من جانب واحد... كان يتكلّم بحماس ليدافع عن الحكام الخونة الذين ساموننا القهر والذلّ والتبعية... وعندما كنت أحاول أن أقول له أن الإسلام في جانبه الاقتصادي يكاد يكون ـ في بعض قطاعاته ـ أكثر عنفاً من الاشتراكية؛ لم يكن

يفهم شيئاً من ذلك... بل كان يدور على (الزكاة) وحدها ويظلّ يدور...

آه لشدّ ما يرهقنا هذا... أي أن لا يُفهم الإسلام على حقيقته... لقد كتب علينا أن نحمل عقيدة إنسانية محضة، ولكن أخطاء أجيال عديدة وقرون طويلة، قد عملت عملها كيما تكسوها بالصدأ... فكان علينا أن نزيل هذا الصدأ، ولكن حتى لو أزلناه... فما الفائدة؟ وركام السنين لا تمحوه الأيام؟ إننا بحاجة إلى أن نكون ثوريين في كل ساعة، وفي كل لحظة... ثوريين على الواقع الذي نحياه، وعلى الصدأ الذي كسا العقيدة... وعلى الإنسان الذي لا يؤمن إلا بالزيف... في حاجة إلى أن يكون كل واحد منا «أبا ذر»!!

٢٧ كانون الأول

بينما كنت منهمكاً في إلقاء الدرس عن شبه جزيرة العرب في أحد صفوف المدرسة التي أطبق فيها بالأعظمية... إذا بالباب يدق ويدخل أحد الأصدقاء... ولست أدري كيف مضيت في التدريس بصورة طبيعية دون أن أبتسم على الأقل، ولكني تحاشيت النظر إلى المنطقة التي جلس فيها، ولم ألتفت إلى الأيدي التي رفعت هناك خشية أن يلتقي وجهي بوجهه!! وانتهى الدرس وجاء الدرس الأخير... وغادرت المدرسة...

بعد أداء الصلاة في بيت أحد الأصدقاء انطلقنا في أحد الباصات إلى الباب الشرقي، وفي الطريق جرتنا الأحاديث إلى ذكريات حبيبة عن السفرات الربيعية والمطالعات الأولى وعالم

الرياضة... وبعد جلسة هادئة في إحدى الكازينوات قفلنا عائدين...

٣٠ ـ ٣١ كانون الأول

يا إخوتي أريد أن أقول لكم، وهذا العام يوشك على الانصرام... إن الحياة الدنيا لعب وغرور، ومتاع إلى حين... فها هو ذا الزمن يمرّ سريعاً، ولن نقبض منه على شيء إلا عندما نثبت أقدامنا في الرمال ونرنو إلى السماء... ليس لنا إلا أن نحقق وجودنا في الأرض وننشد الحقيقة في السماء... ما الزمان؟ ما الوجود؟ ما المكان؟ ما الإنسان وما الحياة؟! في طريقنا ما لا نهاية من هذه الأسئلة... ولكنا لن نظلّ حائرين ما دامت كلمة الله قد طرقت أبواب الكون... وما دمنا نجد كتابه في لوح محفوظ...

الزمان هو الفناء عندما لا نؤمن بالله وهو الخلود في مسارح الإيمان... الوجود هو العدم عندما لا نؤمن بالله وهو المطلق في ملكوت الله... المكان هو القبر والظلمات عندما لا نؤمن بالله... وهو جنان الكون في المكانات اللامتناهية... الإنسان هو القزم المشوّه عندما لا يؤمن بالله، وهو العملاق في ظلال الإيمان... الحياة هي الخدعة والزيف والسخرية المحزنة عندما لا نؤمن بالله، وهي الحقيقة والخير والجمال عندما نؤمن بالله... أريد أن أقول لكم إننا سئمنا الحيرة في زمان المكان، وشهقنا مراراً من لا إنسانية الوجود... وبكينا كثيراً من زيف الحياة... فياللسخرية!...

هذه هي الوحدة الأخرى تنشقّ من الزمن، لتفنى في مسارح

الإلحاد المظلمة، ولترتمي في الهاوية... لا زمان... وهي هي الوحدة التي ستبني سلّماً إلى السماء، نصعّد عليه عندما يحين يوم الدين...

على دقات الأجراس تنبض أعماقي بمعاني الحياة، وأريد أن أهتف وأن أصرخ حتى أُسمع الأرض كلها والسماوات كلها ولن أستطيع... أيها الإنسان لا تقتل نفسك... أيها الإنسان لا تقتل نفسك... أيها الإنسان... لا... لا... لا... لا...

من مذكراتي اليومية

لعام ١٩٦٢م

١ كانون الثاني

بسم الله الحي الذي يهب الحياة... القدير الذي يفجر العيون في صحارى العدم، ويبعث الوجود في متاهات الضياع... ويرسم المصير في الآفاق السرمدية التي لا تزول... باسمه أسطّر الكلمات الأولى في بداية هذه السنة ورنين الأجراس لا يزال يرنّ صداه في مدى الأرض... والآيات الخالدة التي تجسد العدالة الإلهية والعظمة الإنسانية وغائية الكون: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤٧، ٥٥] تصرخ في أعماقنا لن أكون ذلك الإنسان الذي يستحق الوجود قبل أن أسجد لله وأستشعر الإيمان العميق... ولن أشد ذرتي التائهة بقوة الأزل

والخلود دون أن أتفكر في خلق السماوات والأرض وأهتف: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١]...

٣ كانون الثاني

مشاعر حائرة مضطربة وأنا في الغرفة وقد شرد فكري إلى عوالم محيرة... وعندما فرشت السجادة على الأرض وأقمت الصلاة، وكانت السجدة لله... أحسست بأن موجة من المشاعر العميقة المؤمنة المطمئنة الرائعة تغمر أعماقي... هنا في مثل هذا الضياع يسجد الإنسان لله فيجد ذاته!!

بعد غداء سريع ركبت الباص واتجهت إلى المتوسطة التي أطبق فيها... في الدرس الأول وزعت الأوراق الامتحانية على الطلاب ثم بدأت بإلقاء الدرس في الجغرافيا... في إحدى فترات الفراغ بين الدروس رحت أطالع في كتاب (فسيولوجية الإنسان): «لا زلت أذكر جيداً ذلك الوقت الذي فكّرت فيه في تركيب العين، فهزّتني قشعريرة: دارون»... ومرت بفكري ساعات أمس في جدال عنيف مع أحد الأصدقاء عن الله والإنسانية... في دار الطلبة قرأت بعض الوقت في فلسفة التربية، ثم خرجت إلى الغرفة لأصحح أوراق الطلبة... وأنام...

٥ كانون الثاني

وجاء الدرس الثاني... كانت ثمة أحاديث في مواضيع شتى... وفي لحظة انتهى الدرس وجاء الثالث وانتهى... ويجيء دور الدرس

الأخير... كنت تعباً إذ ذاك... لقد تكلمت كثيراً ووقفت كثيراً، فمرت الدقائق بطيئة مسرعة وأنا أتكلم عن حجة الوداع، وشخصية الرسول ﷺ وأثر الإسلام في العرب... ودق الجرس وانتهى كل شيء... ودّعت المدرسة التي قضيت فيها أياماً رائعة، هي من ذكرياتي في مكان أمين... كنت أشعر وأنا أجرر خطاي المنهكة إلى بيت أحد الأصدقاء أني ودّعت ثمة شيئاً غالياً، وأني سوف لا أعود إلى ذلك الشيء إلى الأبد!!

ركبت الباص إلى الباب الشرقي، وهناك وبعد عشاء دسم جلسنا في كازينو النصر الهادئة الرائعة... هنا يستطيع الإنسان أن يجرر أفكاره، وأن يسرح في ماضيه القريب: «لم أكن أدري أن المهنة التي ارتضيتها تسمح بهذا المجال في الكلام عن العقيدة الرائعة؛ التي أصبحت قطعة من وجودي»... قلت للأصدقاء... ورحنا نشاهد برنامج (صندوق السعادة) يعرضه التلفزيون...

١١ كانون الثاني

كانت الشمس مشرقة وأشعتها الصفراء تصبغ كل شيء بلون الذهب المصفى... ولكننا لم نكن لنستطيع أن نتفاعل مع الطبيعة وأن نقبل الحياة... كانت قيود الدراسة تشدّنا إلى مكان واحد؛ السجن أحبّ إلينا منه هو المكتبة... وهنالك رحت أدرس في موضوع (العراق المعاصر) عن المنافسة الروسية الإنكليزية، وعن مغامرات جسني، وعن شركة الملاحة، كنت بين الحين والحين أسترق النظر إلى الساعة، وأنا أتمنى لو يسرع العقرب أكثر وأكثر...

وجاءت الساعة التي أغلقت فيها الدفتر اللعين، واتجهت إلى المطعم لآكل بنهم، ثم لأخرج إلى الغرفة، حيث أشرب الشاي وأستلقي على السرير، كيما أستمتع بأشعة الشمس وأشرد في عالم الخيال... جرتنا الأحاديث إلى عوالم شتى... وبعد الغروب كنا في غرفة صديق هو (أحمد الحسو) نتحدث عن الحياة، عارضاً عليّ بين الحين والحين إنتاجه الأخير في الفن والأدب...

٢٤ كانون الثاني

كنت أجلس في حديقة البيت تحت أشعة الشمس الدافئة، وأنا غارق في صفحات الكتاب الرائع (الطريق إلى مكة)، أتابع مغامرات النمساوي الشاب في قلب الوطن الإسلامي بحثاً عن الحقيقة... ولقد وجدها أخيراً في الإسلام، فاعتنقه وآمن به عن بصيرة عميقة ثاقبة... والحقّ أن الإسلام عندما يدرك بهذا الشكل فإنه يبدو تماماً غير ذلك الإسلام الذي عرفته الجماهير في إطارات من التقليد الأعمى والسطحية والتضحل... إسلام هو الحقيقة التي تسخر من كل الزيف الذي عرفته البشرية وحسبته الحقيقة وهي منه براء...

إنه قطعة من جمال حقيقي متكامل كما يقول (محمد أسد)، وبينما أنا غارق في مطالعة الكتاب دق جرس الهاتف، وأخبرني صديق بأن الصديق محمد سعيد الجزائري جاء الموصل... فشعرت بشيء من القلق إذ كان عليَّ أن أقضي أكثر من يوم في إبداء أصول الضيافة معه... وعدت إلى الكتاب الرائع من جديد...

بعد الغداء كنت أجلس مع الأخ عبد الحافظ سليمان، الداعية المعروف، في كازينو متواضعة وسط مروج الموصل الخضراء نتحدث في شؤون الدعوة...

٢٥ كانون الثاني

مرةً أخرى، وتحت أشعة الشمس في حديقة البيت مع كتاب (الطريق إلى مكة): كيف ضاع البطل في الصحراء وكاد يقتله الظمأ، وكيف ردّته آية من القرآن إلى الحياة... وكيف كتب عليه أن يكون من جيل القلق الذي تفاعل مع شقاء الحرب العالمية الأولى، وآلامها... وتأوه للضياع المخيف الذي غمر أوربا في ذلك الحين... فغادر مدينته الأولى إلى فيينا ومنها إلى ألمانيا، حيث ذاق الجوع والألم والحيرة والضياع... ثم عرف أخيراً كيف يكون صحفياً بارزاً... ثم زار الشرق الأوسط: البسفور فالإسكندرية فسيناء، حيث هبّت عليه هنالك نسائم من عالم رائع متوازن، وحيث شعر بشكل لا واع أن عليه أن يطرق أبواب ذلك العالم... ولقد طرقها... ففتحت له بعد حين...

وبعد الغداء خرجت لأتخطى عبر الطريق الحبيب إلى نفسي... إلى المكتبة العامة حيث رحت أتصفح كتاباً للحكيم... وفي البحيرة حيث رحت أطالع في كتاب للعدوي... ومع أحد الأصدقاء، وبعد الصلاة جلسنا في الكازينو بعض الوقت، ثم غادرت المكان إلى بيت أحد الأقرباء، حيث دار جدال عنيف مع أحد المعجبين بفكر البعث!!

٢٧ كانون الثاني

عبر الغيوم والأمطار ركبت الباص وكانت وجهتي (فندق سعد)، حيث طرقت باب إحدى الغرف طرقات عديدة، قبل أن يستيقظ الصديق الجزائري ويفتح الباب... وفي إحدى المقاهي العميقة المظلمة جلسنا نتحدث تارةً عن حياة الكلية وأخرى عن الحياة في مصر... قبل أن نركب الباص إلى معمل الغزل والنسيج استجابة لدعوة من أخي مظفر الذي يعمل فيه... حيث جلسنا نتحدث بعض الوقت ثم خرجنا لنتجول في أقسامه، حيث الآلات الضخمة ذات الأصوات الصاعقة الرتيبة، وحيث الروائح العفنة الكريهة لأصباغ القماش... وحيث الإنسان العامل يبدو قزماً ضئيلاً وهو يتخبط في خضمّ الشقاء... وتساءلت: أإذا لم تفتح أمام العامل أبواب الروح والإنسانية كيما يعوّض عما يفقده في المعمل... إذاً بئست الإنسانية وسحقاً للحضارة...

وفي إحدى المطاعم جلسنا لنتغدى بشهية وإقبال، لولا أن عكر جلستنا ضيف ثقيل!!

٣١ كانون الثاني

هذا هو اليوم الأخير الذي أجلس فيه هنا في حديقة البيت، تحت أشعة الشمس، لأتابع رحلة محمد أسد إلى مكة... كانت صفحات اليوم عن الثورة؛ التي قام بها الدويش ضد المملكة... وعن اللعبة الإنكليزية المعقدة مع الطرفين... وقلت في نفسي: لو يقوم أحد المؤرخين في التاريخ المعاصر لجمع تاريخ علاقات

إنكلترا السياسية بمنطقة العالم الإسلامي، إذن لتبين مدى عمق سياستهم وغباء حكّامنا... ومدى احتياجنا إلى وعي سياسي عميق كيما ندحض مؤامرات الإنكليز...

بعد صلاة العصر اتجهت وصديق آخر هو الأخ يحيى عليّ إلى الكازينو... وفي الطريق رحنا نتحدث عن أمسية يوم أمس الرائعة في بيت عبد الحافظ سليمان، حيث غرقنا في أجواء العقيدة والفكر، وحيث كانت الأحاديث تدور في أفلاك جدّ وجودية... ولكنه الوجود الإيماني الذي يعرف ذاته أكثر بكثير من أولئك الضائعين...

١ شباط

ونضع خُطانا في بداية شهر جديد... لقد انقضى الشهر الأول من السنة الجديدة بهذه السرعة... لكأني أحسّ بأن الزمن يسرع أكثر فأكثر بصورة طردية إلى الأمام، وأنه سيكون في الزمن البعيد أسرع بكثير منه الآن... سرعة مخيفة كأنها تنبئ بحلول يوم عظيم...

الآن أدركت أن الزمن كقيمة مجرّدة، يمكن أن تكون وسيلة لمخاوف الإنسان وشقائه، كما يمكن أن تكون وسيلة لاطمئنانه وسعادته... الآن أدركت معنى مقولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)...

فموت الإنسان هو بداية طريق جديد، والعمل الإنساني هو المعيار في كلا الدارين: الأبد الذي ينتهي والأبد الذي لا ينتهي...

فهل تدرك البشرية أن إسلامنا يحاول أن يدفع الإنسان إلى تحقيق جميع معطياته... وبالتالي تحقيق وجوده؟! لو أن هناك عشرة من (محمد أسد) في العالم الغربي المادي؛ لاستطاعوا أن يغزوه بأفكارهم الإنسانية!!

٣ شباط

وجدت في نفسي شيئاً غير قليل من الاطمئنان والسعادة والإشراق، ورحت أدوّن بعض الأفكار، بينما كانت ساعات الصباح تمرّ بسرعة، وشمسها الرائعة تطلّ على الغرفة من النوافذ الواسعة... هنا في هذه الغرفة ستمرّ الأيام المقبلة، حيث رمضان بلياليه الصاخبة وسهراته التي لا تنسى... وهنا في هذه الغرفة مرّت الأيّام الماضية بشيء كثير من القلق الدراسي، والجفاف... وكنا مع هذا نقتل السأم، في الليالي التي كنا نسهر فيها إلى ساعات متأخرة ونحن نتضارب بالوسائد، أو نتطارد بالأشعار، أو نمدّد رئاتنا بالضحك العميق الطويل... حيث يخرج الآخرون من غرفهم تعجّ عيونهم بالنوم... كيما يستفسروا عن الذي حدث، ويحدث، وسيحدث...

هنا في هذه الغرفة ستنطبع في أذهاننا صور رائعة، ربما سنتألم لذكرها في الزمن البعيد، ونتمنى لو تعود... ولن يكون لي آنذاك إلّا هذه الصفحات أتسلّى بقراءتها كلما شرد فكري إلى الماضي... الماضي الذي لن يعود...

٦ شباط

مع الدكتور الهاشمي من جديد حيث انتهى الدرس بالضحك

والتعليقات والخبال... لقد ازدادت انحرافاته وعمّق شذوذه... وأخذت ضرباته على المنضدة التي يجلس وراءها بقلق وانزعاج وتوتر... تشتد كثيراً... بينما راح أحد الطلاب يقول بلهجة مضحكة: (وعرّف الماء بعد الجهد بالماء) تعليقاً على الجواب الذي وُجِّه إلى الأستاذ من إحداهن... والثلاثة ـ ويا للموافقة الرائعة ـ يصلحون لتشكيل فرقة تمثيلية كوميدية يُضمن نجاحُها مائة بالمائة!!

وفي محاضرة أخرى كان الدكتور زكي صالح، بجديته الصارمة، ونظراته النافذة، وشرحه المدقق المسهب... يجعل الطلاب في انتباه دائم، حيث يوجه أسئلته على حين غفلة إلى هذا الطالب أو ذاك... بينما راح ذلك الطالب المهووس يلقي بتعليقاته التي اضطرت الأستاذ إلى أن يخرج عن هدوئه ويصيح: (أوه) بلهجة مضحكة... كان الموضوع عن زيارة القيصر الألماني لتركيا... وكان ممتعاً وشائقاً...

٧ شباط

جلسنا في قاعة استراحة دار الطلبة ننتظر الوقت الذي يحين فيه موعد السحور... وكانت زاوية (شعر وموسيقى) التي يتولاها الأخ أحمد الحسّو في إذاعة بغداد تلقي في الأعماق مزيجاً من التفاعل الحي والمشاعر المضطربة والإحساس العميق... بعد سحور رائع... حيث ساد المطعم المرح والهزل... خرجنا إلى الغرفة وكانت الساعة الثانية وحاولت أن أنام فلم أستطع حتى

الثالثة تقريباً... وعندما استيقظت في الصباح اتجهت إلى الكلية متخلصاً من روتين الفطور... وشعرنا بالملل أثناء تسلسل المحاضرات واحدة تلو الأخرى، حتى انتهت فعدنا... غرقت في قيلولة عميقة استيقظت بعدها لأصلي العصر، ثم لأنزل مع الأصدقاء حيث فطرنا... ثم قضينا ساعتين في غرفة أحد الأصدقاء، حيث دعانا إلى حفلة شاي تخللها الضحك والمصارعة... والآن حيث يقترب عقرب الساعة من الثانية عشرة أدوّن هذه السطور بعد حديث طويل مع بعض الأصدقاء عن المسلمين وكشمير وثورة رشيد عالي الكيلاني... والسكرية!!

١١ شباط

عندما كنت أمس، بعد الفطور، أكتب تقريراً آخر لأحد الأصدقاء عن الغزالي، مرّ جمع من الأصدقاء، فاتفقنا على أن نلعب (المحيبس). واجتمعنا في غرفة في الطابق الأعلى، وبدأت اللعبة، ولولا الضجيج المرتفع، والأصوات الناشزة... لكانت لعبة رائعة تماماً، ومع هذا فقد مرّت الساعات سريعة، وكان النصر من نصيب فريقنا... ونزلنا إلى الغرفة...

قال أحد الأصدقاء الذي نزل عندنا اليوم ضيفاً: إن عبد الناصر دكتاتور وبدون حرية لن يكون هنالك مستقبل للأمة العربية... وقال آخر: إن الشعب العربي شعب ممزق، جاهل، لا يستحق ذلك القائد الجبار... فردّ عليه الأول: إنك لا تؤمن بالشعب... كان المتحدث الأول بعثياً والآخر ناصرياً... فقلت لهما:

إن المشكلة مشكلة ثقافية... وكما يقول مالك بن نبي: مشكلة أفكار... يجب أن يثقف الإنسان العربي كيما يعرف الحقيقة، وهنالك ستكون الغلبة للفكرة الأقوى... الفكرة القوية هي التي تستحق البقاء، أما الزبد فيذهب جفاء...

١٤ شباط

«أما الذين يعجزون عن مقارنة هذه الصور ومعرفة أوجه الشبه والخلاف وينغمرون في تلك البلبلة، فيخصص لهم جناح في مستشفى الشماعية يكون عن يمين الداخل...» هذه هي المعلومات التي نكتبها في موضوع التاريخ الإسلامي عند الأستاذ محمد الهاشمي، وبهذا العقل نقضي الساعات معه... وعلى أصوات غنائه، وروعة حركاته يمرّ الوقت سريعاً دون أن نشعر...

وفي الغرفة رحت أقرأ القرآن وأطالع بعض الصفحات من التاريخ الأوربي... ثم توارد الأصدقاء واحداً بعد الآخر، وبدأت لعبة المحيبس بين فريقنا (الصاعقة) والفريق الآخر... ورحنا نسجل النقاط بسرعة، واحدة تلو الأخرى... وفي وقت قصير كانت غرفتنا تعج بالطلاب... عدد كبير يقرب من الثلاثين... وعندما كان المحيبس ينتقل إلى أيديهم كنا نسترده منهم بسرعة... وعندما نزلنا إلى المطعم كانت أصواتنا تهزّ جنبات الدار... ما أروع هذا الشهر... إنه يقضي على روتين الحياة...

١٧ شباط

كنت واقفاً أستعرض أسماء الطلاب في لوحة الرسائل،

فسمعت أصواتاً قريباً مني، فالتفت ثم غادرت المكان...ألم تأت بالتقرير؟ لا... أريد أن أقرأه... غداً سآتي به معي... إنني واقف هنا أكثر من نصف ساعة ولم تأت بالكتاب... عد بعد الفترة... كان الفضل بن سهل أشهر وزراء المأمون، وكان ابن عليّ فقيهاً مصلحاً... وكان المقتدر يعزل الوزراء... ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٧].

يحتلّ خليج العقبة وحوض البحر الأحمر موقعاً هاماً في الاستراتيجية الصهيونية للسيطرة على الأقطار العربية... أرجو أن تعطيني ديناراً على شرط أن تأخذه... إنهم يقولون عنك كلمات لا تقال... نسبة الدهن في الرز اليوم لا بأس بها... ما أروع حياة الداخلي، إننا سوف لا نذكر من حياتنا الدراسية إلا هذه الليالي...

٦ آذار

إنها حلقة مفرغة يا أخي، وإلا ما هو الفرق بين عشر سنين مضت وبين الآن... هذه اللحظة؟ لقد قبعنا في إحدى الغرف نستمع بهدوء ميت إلى الكلمات والقصائد... وإلى نقاش تهيّبت بعض أطرافه استعمال كلمة (الحرية)... وكان باستطاعتهم أن يقيموا الاحتفال بهذه المناسبة الخالدة رغماً عن الحاكم العسكري... ضاربين بقبضة مصممة كل الرسميات...

عدت إلى البحيرة بعد جولة في شارع المكتبات ومعي بعض الكتب: آراء تقدمية... فكرة كومنولث إسلامي... الخ... وتحت

شمس آذار الحارة رحت أقرأ الصفحات الأخيرة من رواية محفوظ (اللص والكلاب)، وتحسست والألم يعصر قلبي النهاية (اللامجدية) التي عانقها البطل بلا مبالاة... لقد عبّر محفوظ في روايته هذه عن (العبث)، ولعله في خطوة أخرى يعبّر عن (الوجود) الذي يتحقق في الإيمان بالله وحده...

وعلى السدّة، وعبر أجواء تسبح بنسائم الربيع ورمضان والعيد... جررت خطاي وأنا أكاد أطير نشوة، وأتشتت عمقاً... إلى البيت... وبعد الفطور، وبعد ختمة مباركة للقرآن الكريم وبعد الاستماع لبعض برامج المذياع... أسلمت رأسي للنوم في استقبال العيد السعيد...

١٣ آذار

وصلنا بغداد... وفي الداخلي لم يكن هناك سوى ذلك الصديق الذي توفي والده فتقدمت نحوه قائلاً: كلنا إلى هذا الطريق... وفي الكلية كان ثمة يوم مليء بالتجارب... في الصف كان أستاذ التاريخ الإسلامي يتحدث عن ذلك التناقض الذي يزعجه بين الدين والعلم، وهو يعتقد أنه لا يخرج عن حدود المنطق... أستاذ!... نعم، (ليس ثمة تناقض بين الدين والعلم، قلت له، بدليل أن القرآن نفسه يتخذ من العلم التجريبي والنظر في السماوات والأرض وفي النفس الإنسانية وسائل لمعرفة الله وإدراك عظمته)... (وكيف إذا توفق...؟)...

وفي غرفة الأساتذة كان ثمة نقاش بين طلبة الشرف يحتدم

حول موضوع تاريخي ـ عقائدي... وفي قاعة الكلية كنا نستمع إلى الشاعر نزار قباني وهو يلقي قصائده... فكنت أهتز حيناً للصوت الموسيقي والشعر العميق... وكنت أهزأ حيناً آخر بضياع الشاعر... وجنون الآخرين الذين هزتهم أبياته الجنسية، ولم يتفاعلوا إلا معها!!

١٥ آذار

لا تنم في هذه الساعة المتأخرة من العصر، فإنها قد تؤدي إلى الجنون!! ولكني لم ألتفت إلى كلماته، ونمت، وعندما استيقظت كانت الشمس قد غربت، والظلام قد انتشر في كل مكان... وشعرت بفراغ في رأسي، وسأم وكآبة في أعماقي... أريد أن أتكلم ولكن كلماتي كانت تخرج بنشاز فظيع... أوه... إن النوم في هذه الساعة لشيء مؤلم حقاً... كان ردّ الفعل بعد حيرة شديدة من التردد بين ثلاثة أشياء... وأخيراً اتجهت إلى إحدى المقاهي الشعبية في الجانب الآخر، وسلّمت على الأصدقاء...

وبعد الصلاة كنا نحثّ الخطى إلى بيت أحدهم في موعد مع أكلة (الكمأة) اللذيذة... وهناك رحنا نتحدث عن العقيدة والحياة في كل مكان من هذا الوطن... في القارات القديمة التي تفتح ذراعيها لانتشار سريع للإسلام... قلت لهم: أيها الأخوة إن إقامة دولة إسلامية واحدة لخير من أن ينتشر الاسلام في إفريقيا كلها بشكله الديني الساذج... وعدت إلى الداخلي لأطالع بعض الوقت في دواوين الجواهري قبل أن أنام...

١٩ آذار

اليوم فقط، منذ ثورة العراق قبل أربعة أعوام أحسست بالفرحة (السياسية)، إن صح التعبير، تغمر وجودي كله... لقد آن للدماء التي ظلّت تنزف على أرض الجزائر عهداً طويلاً... أن تجفّ... وأن تفجّر الأرض بربيع السلام الأخضر الوارف... إلا أن الربيع يمتصّ ماء وجوده من الدماء... إلا أن الحياة لا تستحق كلمة البقاء والخلود إلا بعد أنهار تجري من الدماء... إن الشعب المسلم في الجزائر ليشدّ أنظار الإعجاب والاحترام العميق إليه... إن قادته بعد أن دفعوه إلى الثورة واستخدام الحديد لفلّ الحديد... اتجهوا إلى العمل السياسي كفعالية مكملة للعمل الثوري... وكانت النتيجة اتفاقية وقف إطلاق النار والتمهيد لإعلان استقلال الجزائر... أي إيمان بالله العظيم هو الذي حفظ استمرارية ثورة دموية عصرت وجودها في سبيل الكرامة والمثل العليا؟!

٢٠ آذار

كانت ثمة حلقة صغيرة من الجماعة الإسلامية في نادي الكلية صباح هذا اليوم، ثم أخذت تتّسع وتتّسع حتى شملت النادي كله، ووقف أحد الطلاب ليعلن تحية المسلمين لنجاح ثورتهم في الجزائر... تحية ملؤها التقدير للأبطال الذين لا يُصرعون... وقام آخر... وآخر... ومرت ساعة من زمان تخللها التصفيق وتوزيع الحلويات والمرطبات وإلقاء القصائد والكلمات... وعندما بدأت ثمة جماعة أخرى تعدّ العدة لحفلة على هذا الغرار... غادرنا النادي...

في الغرفة جرى نقاش متزن حول (المفاهيم) الإسلامية، وموقف الإسلام من الاشتراكية والثورية... الخ. وبعد ساعتين من زمان قضينا في غرفة أساتذة التاريخ، ونحن نستمع ونناقش محاضرة أحد طلاب الشرف حول إيطاليا... رحت وعدد من الأصدقاء نتخطى في شوارع الرشيد والسعدون وأبو نواس، ونستقر في كازينو الجندول المطلة على النهر... في الطريق إلى دار الطلبة سيطر على كياني الوجود الشاعري وراح يهزني هزاً لا يرحم...

٢٣ آذار

انطلقت بنا الحافلة في رحلة طلابية عبر بغداد باتجاه طريق الحِلّة فالمسيّب ثم الهندية... وهنالك في إحدى الحدائق التي تظللها أشجار النخيل والفواكه ألقينا الرحال، وبدأنا بالتعارف، ثم القيام ببعض الألعاب المسلية، حتى حان موعد الظهر فقصدنا المسجد... كان الخطيب كالعادة من أولئك المهدمين الذين نُصِّبوا من قبل الحكومة على المنابر...

وبعد الغداء اتجهت بنا الحافلة إلى بابل... يا آثار التاريخ... إننا جئنا اليوم لنلمس الأشياء التي يحتضنها الزمن فلا يمسّها بسوء... ورحنا نقفز من مكان إلى مكان ونحن سعداء بتفاعلنا مع ذكريات بعيدة في أغوار التاريخ... من مرتفع إلى مرتفع، ومن أثر إلى أثر، ونلتقط التصاوير التذكارية... وعدنا، وعلى ضفة غدير جلس بعض الطلاب يتحدثون ويلعبون... وكانت النهاية تأدية الصلاة الجماعية بخشوع عميق...

٢٥ آذار

«إن جملة واحدة تحتاج أحياناً إلى بحث ثلاثة أشهر كيما نستطيع أن نثبتها... وقد تظنون أن تعب الأشهر الطوال هذه يذهب عبثاً؟ أبداً...» «هم شعليهم من وكيل الشيخ، يطبّا مرض، ولكن القضية وراها أشياء» «أستاذ ما أهمية حادثة كهذه على الحدود العراقية الكويتية... سرقة أغنام؟» «شوفوا اش ديحجي هذا... يابا القصة مو قصة أغنام قصة اللي وراء الأغنام»...

هكذا راحت محاضرة التاريخ المعاصر تتسلسل هذا اليوم... وعندما خرجنا من محاضرة الجغرافيا... الدرس الأخير ونزلنا إلى فناء الكلية، رأينا ثمة مجموعة من الطلبة يعلو ضجيجها، وقد تجمّعت حول طالب آخر يرفع بيده سكيناً ملوثة بالدماء ويصيح: يا ناس!.. هذا هو عمل الشيوعيين، لقد طعنوا أحد الطلاب!... وفجأة ضجت الحركة في أنحاء الكلية، وبدأنا الهجوم على البناية الرئيسية، حيث اعتصم خمسة من الشيوعيين... وفشل الهجوم... وكان انتظار تبيّن بعده ألّا فائدة... فعدنا..

٢٦ آذار

في ساعة مبكرة من الصباح اتجهت وصديق آخر إلى الكلية ونحن نعلم بأن أحداثاً ستقع هناك... وعندما وصلنا رأينا ثمة مجموعة من الشيوعيين تقف متجمعة في داخل الفناء باتجاه المطعم... بينما وقفت الجماعات الأخرى الأكثر منها عدداً في

بداية الفناء أمام المبنى الرئيسي، وقد فصلت بين الجماعتين بعض القطعات من الشرطة والانضباط العسكري...

وقفنا ننتظر لعلّ الفرصة تسنح بهجوم ثائر على الشيوعيين... ولما تبيّن للطلاب أن ذلك أمر بعيد لوجود الشرطة والانضباط، قرروا أن يبقوا في الكلية وألا يخرجوا حتى يخرج الشيوعيون قبلهم... وخلال ذلك كانت التعليقات المضحكة، والزعامات السياسية المتكلفة... والعصبيات الجامحة... تملأ المكان... وخرج الشيوعيون وخرجنا .. هكذا مرّت الساعات الممتعة من صباح هذا اليوم...

٢٨ ـ ٣١ آذار

انطلق بنا القطار في رحلة طلابية مع أستاذ التاريخ إلى البصرة... ورحنا نمتع أرواحنا بمناظر الغروب الرائع... والحقول الخضراء الممتدة في الأبعاد... وحيث رحنا نلعب المحيبس أو المطاردة الشعرية... ولكننا لم نستطع النوم وسط المكان الضيق والغبار الخانق...

وبعد أن ألقينا الرحال في أحد الفنادق اتجهنا إلى مديرية المعارف، حيث هيأت لنا مكاناً للنوم على الكورنيش الهادئ الجميل في البصرة... خرجنا بعد نومة قصيرة إلى السوق لنشتري بعض المأكولات، ثم لنجلس في أحد المراكب البخارية، فينطلق بنا عبر شطّ العرب مع النسيم الرقيق، والغروب الساحر، والمشاعر الصافية التي حنت عليها الطبيعة بسكينة عميقة...

وعلى الضفتين امتدت غابات النخيل الخضراء، وتذكرت قول الشاعر السياب (عيناك غابتا نخيل عند السحر... أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر...) فهزني المعنى بما ألقاه من صور وظلال ملونة بلون الشفق وسواد العيون!! وعلى الضفة تناولنا عشاءنا والتقطنا صوراً تذكارية... ثم قفلنا عائدين...

بعد الفطور ركبنا الأمانة واتجهنا إلى الميناء... وعندما كنا ننتظر في قاعة الاستعلامات السماح بالدخول ومشاهدة المرافق، كان بعضنا يلقي بتعليقاته المضحكة حول الأستاذ الذي جاء ليبحث عن عمل فردوه بأن ليس ثمة شاغر، وأنه يصلح لأن يكون حمالاً في الميناء، فيضجّ المكان بضحك لا يرحم... وجاء الأستاذ ومعه سيارة ركبناها فانطلقت بنا عبر حدائق الميناء الرائعة، وساحاته الرياضية، وأسواق عماله وموظفيه، وأرصفته... الخ... دخلنا بعدها الإدارة العامة، حيث التقينا بالمدير العام، وجرى حوار يدعو للضحك والشفقة بين الأستاذ والمدير... بينما رحنا نحن نشرب القهوة والمرطبات... وراح أحد المهندسين يشرح لنا بإسهاب طبيعة وموقع أم قصر والميناء العائم... وأخرج المدير من إحدى المجرات، ديوانه الشعري وأشار إلى إحدى القصائد التي طلب من أحد الطلاب الجزائريين قراءتها... هكذا كانت زيارة موفقة، ممتعة... وعند العصر كانت ثمة سيارة شعبية تنطلق بنا في طريقها إلى أبي الخصيب...

في صباح اليوم وبعد الفطور، ركبنا إحدى السيارات التي

انطلقت بنا إلى الزبير عبر أجواء شاحبة، ومنه إلى الأثلة، حيث انتشرت أشجار الأثل القصيرة الخضراء... وحيث ألقت قليلاً من الظلال على حافة الغابات... هنالك تناولنا الغداء ولعبنا كرة القدم تحت أشعة الشمس المحرقة، وقفلنا عائدين إلى الزبير...

وهنالك مرّت الساعات الطويلة بين جلوس في مقهى، وزيارة لأحد المساجد، وطواف عبر شوارع الناحية الصغيرة وأزقتها الضيقة...

عدنا إلى البصرة واتجهنا إلى سوق الهنود حيث كان مزدحماً بالمارة القادمين كسيل جارف من جهة الجسر... وشعرت بتعب شديد يشمل كياني كله... الأعصاب والعضلات والعظام... وبعد العشاء قفلنا عائدين عبر الكورنيش الحالم إلى الداخلي، وهنالك كانت سهرة رائعة ملأى بالضحك والمؤامرات حتى على (الأستاذ)!!

ويجيء اليوم الأخير ككل الأشياء التي تنتهي، فنعبر الشوارع الخالية في ساعة مبكرة من الصباح، نتحدث حيناً ونركن إلى الصمت أحياناً... جلسنا في أحد المقاهي، ورحنا ننتظر الوقت الذي سننطلق فيه إلى شركة النفط وحقولها للاطلاع على مرافقها قبل مغادرة المدينة... ولكن لم تتحقق هذه الزيارة... فشعرنا بالسأم، وأسلمت وجودي كله وأنا جالس في المقهى جلسة فارغة... إلى الفراغ... حيث لا مشاعر... حيث لا إحساس... حيث لا فكر... حيث لا وجود...

في الثانية عشرة انطلقت بنا السيارة عبر شوارع المدينة باتجاه العمارة... وكالعادة أخذ الوقت يمضي تارة بالتفاعل مع جمال الطبيعة، وتارةً أخرى باللعب أو الضحك أو المؤامرات... وصلنا العمارة وأكلنا هناك وجبة سمك لذيذة... وانطلقت بنا السيارة، وكان ثمة جدال عميق عن الكون والحياة والإنسان فيما يضعه الإسلام في إطار متناسق واحد... ثم وصلنا بغداد...

١ نيسان

الجو قاتم كئيب، ونفسي تشعر بالطمأنينة والهدوء... ها أنا ذا قد أنهيت كتابة مذكراتي عن الرحلة الجميلة إلى الجنوب... وها أنا آخذ طريقي إلى فندق الأصدقاء، حيث مع صديق آخر جرى هذا الحوار، ما أروع هذه الأجواء... لشدّ ما ترتاح إليها نفسي... السماء الملبدة بالغيوم... والأمطار الغزيرة المرتطمة على صفحات الأشياء، والرهبة الشاملة للوجود الخارجي والداخلي على السواء... قال الصديق: أما أنا فلا أحب هذه الأجواء... إن نفسي لتنقبض لها، وإن الكآبة التي تبعثها في كياني تكاد تسحقني.

كان دجلة ينساب بعنف تحت وقع المطر وبلون الطين الذي حمّله إياه الربيع الوليد... وجاء أحمد الحسوّ وهو يرفع صوته: افتحوا المذياع... في سوريا ثمة أحداث خطيرة... انشقاقات ومظاهرات وقتلى...

- وماذا بعد؟ هل يظن ذلك الضابط الانفصالي أن ألاعيبه ستمرّ على الشعب بسلام؟

٢ نيسان

كان هذا اليوم قطعة من ترقّب وانتظار... وكانت أعصابنا تشدّها الأخبار القادمة من البعيد، ومن وراء الصحراء... لكن لم يكن ثمة شيء حاسم... كل ما هنالك غموض .. غموض... وفي غمرة من الحركة التي وحدها تستطيع أن تصل إلى نتيجة، مهما كانت... سلباً أو إيجاباً... نسمع صوتاً من قريب يخبرنا عن موعد لزيارة القبور!!

أيتها النفوس الثائرة... أيتها الأرواح المعذبة... أيها الوجود الممزق... أين تجد ذاتك؟ أفي إسلامك؟ ولكنك لن تستطيع وحدك... يجب عليك أن تدخل دائرة جماعة ما، ثم تتحرك... آه... لقد أحسست الآن أننا ندور من نقطة ما ثم ما نلبث أن نعود إليها من جديد... لا لن يكون هناك شيء يعمل من أجل الوصول؛ إلا إذا تحركنا في أعماقنا وفي الخارج كيما نحقق ما نريد...

ـ هل سمعت شيئاً جديداً؟ - لا... حقيقة أنت تصلح للسياسة... قلت للحسو...

ـ لماذا؟ ـ لأنه لم يبق إلا دمشق وتعلن الوحدة!!

٣ نيسان

«إن أبخرة الطعام تتصاعد من المعدة إلى الدماغ فيصاب الإنسان بالبلادة... النعامة أخت الزرافة... والقطة أخت الكلب... والحمار أخو...» فقال صديق جالس بجانبي:

فلان!! وكان ثمة ضحك متواصل من الأعماق... دمعت عيني فكنت أرفع النظارات بين حين وآخر لأمسح الدموع، بينما كان صديق آخر في أقصى الغرفة يضحك للمنظر المضحك، ويخاف أن يراه أحد فيقول بأنه أصيب بمسّ من الجنون... هكذا تمرّ الدقائق سريعة متلاحقة في درس الهاشمي... هزل إثر هزل... وبلا كلمة واحدة من جدّ!... وحتى الأستاذ الآخر، في درس الأوربي، والذي عُرف عنه أنه لا يضحك أبداً... راح اليوم في غرفة الأساتذة، وبينما كان أحد طلبة الشرف يلقي تقريره عن (بريطانيا فيما بين الحربين) راح يلقي بنكاته المتلاحقة وكأنه ليس ذلك الأستاذ!

- ماذا في المذياع؟ - لقد انتهى كل شيء واتفق الطرفان على إيجاد تسوية للأزمة...

- ليتها تمت بدون مفاوضة... إنها أساس الانحراف والخيانة...

٤ نيسان

مرت ساعات الصباح وأنا في قاعة المطالعة أقرأ في صفحات التاريخ المعاصر... وبعد صلاة الظهر اتجهنا إلى أحد المطاعم القريبة، وقمنا بجولة في بعض المكتبات باحثين عن بعض الكتب: سارتر والوجودية... كامو والتمرد... الطريق إلى الله...

في الغرفة رحت أتمّ تقارير المعاصر والفلسفة، ثم نزلت إلى القاعة لأدرس هناك... وعندما شعرت بالجوع يعصر معدتي، لم يبق ثمة مجال للتفكير، بل لم أعد أفهم أي معنى أو أية كلمة... ما أقسى

العالم الذي لا يعرف أن الجوع هو المحطم الأكبر لكل طاقات الوجود الإنساني... العدالة الاجتماعية هي الوسيلة الحتمية لبناء حضارة غير متأرجحة...

عندما تكون أكثرية الشعب من الفقراء والمسحوقين فسوف تكون الأقلية المجرمة أشدّ ظلماً من القتلة والسراق: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ وَلَا ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٤] ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]!!

٩ نيسان

ـ أستاذ!

ـ نعم.

ـ ما معنى هذه العبارة (ورحت أقرؤها بصوت مسموع)

ـ أخي... (قالها الأستاذ بصوت صاعق، وانتفض من مكانه كأن أفعى قد لسعته، وقفز على منصة المحاضرات فخرج لقفزته صوت عنيف) إن العراقيين لا يستحقون إلا أن يكونوا (هتلية) (ميدانلية) لا أريد أن أقول أكثر من ذلك، أظن أنكم قد عرفتم معناه؟...

وترتفع الأصوات بلى فقد عرفنا معناه، وتغصّ الغرفة بالضحك، ويعود الأستاذ (عبد المجيد حمودي) إلى المنصة وقد أنهكه التعب.

كان الأستاذ يعطينا محاضرات مطبوعة على شكل ملازم في أصول التربية، لا يُفهم منها رأسها من قدميها... وكانت محاضراته التي يلقيها علينا تعاني من الانفصال الكامل عن هذا

المطبوع في الملازم... وتأخذ مجرى آخر... ذلك أن الأستاذ نفسه لم يكن يفهم من ملازمه حرفاً واحداً... فتأمّل!!

١٧ نيسان

إنهم متطرفون... إنهم يثقون بعقيدتهم... إن العنف العقائدي لن يقف أمامه إلا العنف العقائدي... وإن باستطاعتنا ما دمنا قد خسرنا الجولة في الميدان الحزبي، أن نحقق وجودنا في الميدان الفكري... يجب أن نستخدم العنف والقوة كيما نسحق أفكارهم، ونفتح أعينهم جيداً على حقيقة عقيدتهم الزائفة... وبمنطق الشباب وحده، لا بمنطق الشخصيات القلقة المخضرمة، نحقق هذا العنف...

إن ميشيل عفلق لو لم يمتلك عمقاً فلسفياً لما اتبعته هذه الجماهير الحاشدة...

ولكني حاولت مرة أن أجرب النزال معه... طالعت كتابه (في سبيل البعث) ووضعت خطوطاً تحت كل فكرة تستحق النقاش ثم بدأت الحساب... إنني أتحدى كلَّ من يدَّعي القومية العلمانية عقيدة له في الحياة؛ أن يتكلم أو يردّ على ذلك النقاش...

أجاب الصديق أحمد الحسو: لقد شعرت الآن بتفاهة الأيام التي قضيناها في أجواء الهزل المحض... إنني أجد في نفسي زخماً دافقاً: بلى يجب أن نبدأ بداية فكرية... ومع نسيم (شاطئ الجندول) كانت أرواحنا تنتشي بخمرة الفكر والإيجاب...

١٩ نيسان

هو! لقد وجدت ذاتي... لماذا إذن نرهق أنفسنا في البحث والضياع؟... سجدة عميقة لله تجعلنا نتحقق بالوجود، هكذا كانت صلاة العشاء قبل دقائق... جميع المتناقضات تتلاشى، وجميع الآلام تنسحق، وكل الضياع ينتهي، وكل العدم يتقهقر أمام الإيمان العميق الذي يعرف كيف يقدس الله...

ما الإيمان... إلا لحظات العشق الكوني الذي يشمل الوجود الإنساني في أعماق الأعماق وفي مطلق المطلق... زماناً ومكاناً... ما الإيمان إلا الإحساس بأن الله ﷻ لم يخلقنا عبثاً وأنا إليه راجعون... العودة هي البداية الخالدة للحياة... فليس ثمة موت ولا فناء ولا عدم... في ظلال النور الإلهي ينعدم العدم، ويفنى الفناء، ويموت الموت... ولن يكون هنالك سوى شيء واحد، هو كل شيء: الحب...

اليوم تحوّلت الأجواء إلى ظلام مطير بعد أيام من النور المحرق... وهكذا لن يكون أيُّ شيء منسجماً إلا عندما يوائمه الإيمان!!

٢٠ نيسان

أوه... لأكاد أنسحق الآن... استيقظت من قيلولة استغرقت ساعتين... الشمس لا زالت تلوّن الأشياء بلونها البراق... كل شيء في الطبيعة ـ حيث أراها من خلال النافذة ـ ضاحك رائع... بينما في أعماقي أرى إلى الخوف من اللاشيء... وإلى السأم من

دورة الحياة الرتيبة التي تنذرنا بالموت... وإلى الصراع من أجل ائتمان ذاتي لا تحطمه الأوهام، وإلى القلق من أشباح لا تكاد تبين... وإلى... وإلى... ذاتي، التي أعياها البحث عن كنه ذاتي...

رحت أصلّي العصر... الخوف يتلاشى... كل شيء يدعو إلى الاطمئنان... معاني الوجود تملأ ذاتي... فلا سأم... ودورة الحياة كمركبة مذهبة تنساب بنا إلى الخلود... إيمان عميق مجنّح بنشوة الائتمان، فلا أوهام ولا قلق... والأشباح غدت رموزاً حية تدفعني إلى الأمام وتشدّني إلى الحياة... ذاتي تغني لمسيرتها الرائعة في درب العمر على ألحان الجمال السرمدي، الذي يظلّ يفجّر الجمال... ليس ثمة دوران دونما نهاية... الحياة كلها بدايات... كيف؟ وقد تحققت بالوجود والخلود؟

٢١ نيسان

هه!! نحن دائماً نستيقظ، ولو أغرقنا في تيار أعماقنا المطلق، إذن لانتهى بنا المطاف إلى الجنون، ولولا أن ننغمر في العالم الخارجي إذن لقاسينا أعمق العذاب... ركبت الباص واتجهت إلى بيت أحد الأقرباء... ومن هناك اتجهت والوالد في إحدى السيارات إلى المطار... وكانت جلسة رائعة في كازينو المطار مع الأصدقاء والأقرباء، بما فيهم الشيخ عبد العزيز البدري (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)... حتى حان موعد مغادرة الطائرة المكان... فودعنا الوالد واحداً واحداً ثم اتجه وقلبه منتشٍ بالإيمان، وروحه مشدودة إلى المحراب المقدس الذي سيذهب إليه... إلى

الطائرة... حيث ارتفعت بعد قليل عن أرض المطار... ولوّحت الأيدي، وبعد دقائق كانت مركبة الفضاء تسبح في أعماق الكون في طريقها إلى المنطلق الذي انبعث منه فجر الكون... إلى موطن محمد ﷺ ...

وبعد العصر كنا نعيش أجواء أخرى غاية في التفاهة، حيث أقيم في ساحة الكلية المهرجان الرياضي لمعهد اللغات... الا أن الحياة حقيقة واحدة، ونحن الذين نحياها إيجابية خالدة، أو سلبية ميتة، كالزبد الذي يذهب جفاء ولا يمكث إلا ما ينفع الناس...

٢٦ نيسان

أيها الأصدقاء... لشدَّ ما أجد إشراقاً في أعماقي عندما تكتئب الأجواء .. وجلست أتمُّ كتابة الأجوبة عن الاختبار الحزبي رقم (٢)... ثم اتجهت إلى الكلية، وفي النادي كنت أجلس بالقرب من أحد الإخوان... فقدّم لي مجموعة من الأوراق قائلاً: أقرأ... كانت عن الحركة في الكلية... وكان درس العراق المعاصر... ثم أعقبه الدرس الأخير، لا في هذا اليوم فحسب، ولا في هذه السنة، بل في حياتنا الدراسية التي استمرت منذ عهود الطفولة والصبا والشباب...

وكانت الدقائق تمرّ بينما راح أحد الإخوة الجزائريين يقرأ في صفحات إحدى ملازم التاريخ الأوربي... وكنت أحسّ بقلق، فقد كنت على موعد مع بعض الأصدقاء لزيارة أحد المعتقلين... وعندما خرجت لم أجد أحداً... اتجهت إلى المعتقل وهناك كان

لقاء حار مع اثنين يحمل كل منهما فكرة مناقضة للأخرى... كان أحدهما إسلامياً والآخر بعثياً... وعندما خرجنا قلت لصديقي: إن الإنسان الذي لا يدخل المعتقل ليس بإنسان... وفي الثالثة عصراً كانت الأمطار تنهمر بغير حساب...

١١ أيار

على خلاف الروتينية المملّة للأيام السابقة غادرت اليوم البيت في طريقي إلى السوق. ومرت ساعات الصباح بطيئة متثاقلة كشأنها دائماً عندما أكون في أي مكان للتجارة... اتجهت إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة... كانت الخطبة طويلة مملّة... فشردت بخيالي بعيداً عنها... كانت من النوع الروتيني أيضاً الذي يلفّ ويدور في معان طُرقت من قبل حتى ملّتها الأسماع...

قلت لعبد الحافظ سليمان ونحن في طريقنا إلى البيت، لتناول الغداء... أعتقد أنها خطبة عديمة الجدوى... إنه مثلاً يهاجم الشيوعية دون أن يوضح في الجهة الأخرى النسيج الاقتصادي الإسلامي؛ الذي يحقق بشكل آخر أكثر مما تحققه الشيوعية من عدالة... حتى الديمقراطية رماها اليوم في المعركة ولا ذنب للمسكينة، فقال: ليتهم يعرضون في كل خطبة جانباً من جوانب الفكرة الإسلامية...

وفي شرفة البيت رحنا نتغدى ونشرب الشاي ونتحدث عن الأفكار والأحزاب والمطالعات... ومرت الساعات هذه المرة سريعة متلاحقة!!

١٤ أيار

ها أنا ذا أجلس هنا في الغرفة، في دار الطلبة، والساعة الآن الثانية والنصف... اليوم الأحد، وقد مضى على الامتحان وقت طويل... طويل جداً... قاسينا فيه نحن الطلاب الشيء الكثير من الألم والشقاء... ها أنا ذا أحسّ بأني قد ألقيت عن كاهلي أكثر العبء، ولم يبق أمامي سوى الشيء القليل... ها أنا ذا أستعيد ذكريات عبرت من مسرح أيامي القريبة التي طواها الزمان كطيّ السجل للكتاب... ولكن عمق الحياة وروعتها هي أن ماضينا لا يموت، إنما يعيش في دمنا وأعصابنا كالحياة ذاتها...

أمس كنا نجلس في شرفة البيت، نجرر أحاديث شتى من هنا وهناك... جاء بعض الأقرباء في ساعة متأخرة وجلسوا حتى ساعة متأخرة... وغفونا على روحانية لا يستشعرها إلا المسلمون في ليالي أعيادهم...

في الصباح كنا نجلس في بيت أحد الأقرباء كالعادة دائماً في أول يوم من كل عيد... وفي المساء كنت أجلس وصديق آخر في كازينو ملأى بلون الحياة الأخضر الزاهي... ثم غادرنا المكان لنجرِّر خطانا في شوارع البلد الرائع، قبيل الغروب...

١٨ أيار

لم يبق لنا سوى يومين وينتهي القيد الثقيل الذي عشناه في أنفسنا وزماننا عهداً طويلاً... قلت لصديقي: إن مأساة إنسان القرن العشرين هي أن زهرة عمره تكبّلها سنيّ دراسته بالقيود...

وعمر الإنسان واحد وربيعه لا يعود... كذلك عدت من ربيع مدينتي الخضراء إلى أجواء الدراسة الشاحبة، حيث جلست في شرفة دار الطلبة، وحيث انتشر الطلاب هنا وهناك يقرؤون بصوت مسموع حيناً وهامس أحياناً... بينما رحت أنا أطالع في صفحات التاريخ الأوربي وأنا أعدّها عداً، وأدفع الزمن دفعاً... وبعد صلاة الجمعة، وبعد تناول الغداء في بيت أحد الأقرباء عدت إلى الدار لأنام بعض الوقت ثم لأعود إلى القراءة من جديد...

أوه... لشدَّ ما أشعر الآن بحرية شاملة تتغلغل في أعماق أعماقي... فإن القيود التي كبلتنا في الأيام السابقة، بل في عهد الصبا والشباب كانت أثقل من أن تحتمل... ولكن ليس ثمة نهاية للقيود على ما يبدو... إن الحيرة وغموض المستقبل حلّت محلّ القيود القديمة... فأنا الآن متأرجح، لا أعرف كيف سينتهي بي المصير بعد أن أغادر حياة الجامعة!

٢٣ أيار

مرت نصف ساعة وأنا هكذا أكتب؟ الساعة الآن الثالثة، وبعد ساعات ثلاث أخرى سآخذ طريقي إلى فندق أحد الأصدقاء، كيما نخرج إلى شارع (أبو نواس)، وهنالك نقضي وقتاً طيباً ونشترك في أكلة (مزكوف) شهية... فهذه الأيام الأخيرة التي نقضيها هنا في بغداد، وبعدها سنعود إلى الموصل... علينا أن نحياها ساعةً بساعة، وأن لا ندع لياليها تمرق دونما متعة... أمس كنا هناك وغداً سنكون هناك، وبعد غد ستقيم العمادة حفلة ساهرة في

حدائق الكلية على شرف الدورة الأولى من ثورة تموز المباركة... ثم نعود كيما نستعد بعدها لسفرة ثانية إلى بغداد، حيث حفلة التخرج في الانتظار...

كان جوابي هذا اليوم في (الحضارة الإسلامية) رائعاً بمعنى الكلمة، خاصةً فيما يتعلّق بعوامل سقوط هذه الحضارة. وعندما عدت إلى دار الطلبة كان عليَّ أن أستريح قليلاً، ومن ثم أبدأ من جديد في الدراسة... أوه... ما أقسى أيام الامتحان وما أصعب حياة الدراسة...

٢٤ أيار

قبل قليل سألت الصديق الذي أخذته الآن إغفاءة عميقة: في أية ساعة أستطيع أن ألتقي بحسام السامرائي؟ فقال: لماذا؟ قلت: لأني أريد أن أسأله عن قضية الماجستير هنا في بغداد... إنني شديد الحيرة من جراء ذلك، وإن ثمة ظروفاً تجبرني على أن أتردد بين السير في أحد طريقين، وإن ذلك ليؤلمني كثيراً...

بعد أن أنهيت الامتحان في موضوع مزعج إلى حد بعيد هو (الإدارة والمشارفة) اتجهت وصديق آخر إلى الفندق، ومن هناك عبرنا الجسر والصديق الذي كان ينتظرنا، حيث جلسنا في إحدى المقاهي المتواضعة... ومرّت ساعتان ونحن منسجمون في أحاديث شتى عن الفن والإذاعة والأوضاع العامة... وبعد أن غادرَنا ذلك الصديق اتجهنا إلى الباب الشرقي، حيث قضينا وقتاً طيباً مع الكتب والأنوار... وعندما عدنا كنت أحمل معي كتاباً عن الفلسفة

الوجودية... وفي القسم الداخلي كانت ثمة أمسية أخرى مع الأحاديث والضحك حتى ساعة متأخرة...

٢٨ أيار

ليس ثمة أحد في البيت... الجميع خرجوا... اليوم هو السابع من حزيران... لقد انقضت سبعة أيام على ابتداء العطلة، وبدأت أحسّ بأن الزمن أسرع مما نظن، وأنه ليس إلا ظلال لزمن الخلود فحسب...

خرجنا اليوم من قاعة الامتحان ونحن نتساءل عن الكلمات والخرائط التي لم نستطع الإجابة عنها اليوم، وعن الأستاذ الذي لا يفي بوعوده... ومهما يكن من أمر فلقد غمرت الفرحة قلوب الطلاب جميعاً عصر هذا اليوم... إذ إنهم بإنهاء إجابتهم في موضوع (الجغرافيا) ودّعوا الدراسة والامتحانات والشقاء... بل أقفلوا وراءهم باب عالم حافل، ووضعوا خطاهم في مدخل عالم جديد لا يعرفون عنه أي شيء بعد...

أما أنا وبعض الطلاب الآخرين فلم نحسّ بالفرحة والغبطة كاملتين... كان علينا أن نجتاز امتحاناً آخر غداً في موضوع (الشرف)... وما أن عدت إلى الدار حتى بدأت بالدراسة من جديد، ومرت الساعات سريعة متلاحقة حتى أعلنت الواحدة بعد منتصف الليل...

٢٩ أيار

لم يبق سوى دقائق وترتفع الأصوات من المنائر الممتدة في

السماء تعلن (الله أكبر)... إن لحظات الغروب حقّاً هي لحظات الإيمان الصافي العميق والشعور بعظمة الخالق ﷻ...

بعد الغداء كنت أقرأ في شرفة دار الطلبة، عندما التفت فإذا بصديق يهتف من غرفة نومه: اليوم هنا، الساعة السابعة مساء؟ فأشرت له بالإيجاب، وعندما استلقى هو على السرير عدت أنا لأقرأ من جديد...

كانت أسئلة (الشرف) سهلة للغاية، وأجبنا عنها في وقت قصير وخرجنا... كنت أحسّ بفرحة حقيقية غمرت وجودي كله... وشاركني الفرحة كلُّ الطلبة الخارجين من قاعات امتحاناتهم...

اليوم ألقى الجميع عن كاهلهم عبئاً ثقيلاً طالما ناءت أرواحهم وقلوبهم وحتى أجسادهم تحت وطأته... اليوم استشعر الجميع حرية ما لها من حدود...

كانت أمسية رائعة على شاطئ دجلة مع السمك المشوي والضحك الذي ينبع من الأعماق... وتسوية الحساب في شرفة الدار بعد منتصف الليل...

٣٠ أيار

لا زالت مشاعر الاطمئنان تغمر نفسي، ولكن ثمة نوعاً من الفراغ أحسسته قبل قليل، أعقبه شعور من الانقباض النفسي الرزين... أوه ما أشقى الإنسان... إنه لا يكاد يستقرّ على شيء... (الله أكبر... حي على الفلاح)... الحقّ أن في الإيمان ما يشبه المنارة العائمة وسط المحيط... إنه يضيء لنا الطريق كلما كسفت

شمس الحياة، ويجعلنا نؤمن ونطمئن بأن في الوجود ما هو ثابت لا يتغير بين حين وحين...

عدت الآن من الصلاة، بعد أن سلّمت على الملائكة!! وكثيراً ما شعرت بأن هؤلاء الملائكة أصدقاء روحيون، أكنّ لهم أعمق الحب والتعاطف الوجداني...

استيقظت اليوم على نوع من القلق المبهم، كشأن كل الأيام التي تعقب الامتحانات... وما هو إلا رد الفعل للفرحة التي كنا ننتظرها... وفي الكلية مرّت ساعات الصباح بين جلسة في النادي أو التقاط لصور تذكارية مع الأساتذة...

في المساء، بعد بحث في الكرخ عن أحد الأصدقاء، عدت سريعاً إلى الباب الشرقي، ومنه إلى الجندي المجهول، حيث ينتظرني بعض الأصدقاء...

٣١ أيار

لا زلت أذكر الآن... كيف عدت أمس إلى دار الطلبة وأنا ضجر من أن أرى الأصدقاء قد أخذتهم سِنة من النوم... وعندما فتحت الباب لم أر أحداً... خرجت إلى الشرفة فإذا بهم قد اصطنعوا النوم ليستمعوا إلى تعليقاتي وربما شتائمي، ولكني عرفت القصد من نومهم فامتنعت عن التعليق... وفي ساعة متأخرة رحنا نشرب الشاي...

كان صباح اليوم في الكلية أيضاً مع مجموعة شتى من الأصدقاء، وبعد الغداء اتجهت إلى الكرخ، فلم أجد ذلك الصديق، فقفلت عائداً

عن طريق شارع المتنبي، لأشتري بعض الكتب: منهج الفن الإسلامي... تأملات وجودية... مذكرات الإمام محمد عبده... الخ...

في المساء كانت ثمة مجموعة من الأصدقاء تنتظرنا في مقهى متواضع، ومنه انطلقنا إلى شارع أبو نواس حيث السمك المشوي، والضحك، وخطاب الزعيم!!

٢ حزيران

الآن عرفت أن إرادة الإنسان لا يقف أمامها شيء... لقد تركزت إرادتي منذ عامين حول شيء واحد، هو العذاب في سبيل الفكرة... واليوم عندما انطلق بنا القطار... وجاء مفتشو الأمن قمت لأفتح لهم الحقيبة، ووجدوا فيها نشرة سرية قال قائل منهم: احمل حقيبتك واتبعني... أحسست بفرحة غامرة وإشراق نفسي لم أعهده من قبل، وهتفت أعماقي بنشيد الانتصار...

غادرنا القطار نحن ثلاثة من الطلبة تحيط بنا مجموعة من الشرطة ورجال الأمن... وبعد بضع دقائق من الانتظار في مركز المحطة، ركبنا سيارة اتجهت بنا إلى مديرية الأمن في شارع الدواسة، وهنالك بدأ الاستجواب... وعندما كان أحدهم يلقي بشتائمه الرخيصة كنت أنا أبتسم لتفاهته...

انطلقت بنا سيارة (لاندروفر) كيما يجري تحري البيوت، وعندما وصلنا البيت عرفت أن المتحري هو أحد أصدقاء الوالد... أوه... يا للمتناقضة المؤلمة... وهتفت بمرارة: يا للسخرية... أكُتب عليّ أن أعيش الزيف هكذا؟ وفي المركز العام بتنا تلك الليلة...

٣ حزيران

لا زلت أذكر كيف انعصر قلبي وأحسست بتفاهة الحياة، عندما أُفلتت من يدي الفرصة الحقيقية لتحقيق إرادتي، ولا زلت أذكر كيف تألمت كثيراً ولا زلت أتألم... كلما فكرت بالفرص الأخرى، فإذا بمناظر الأهل والأقرباء تسدّ عليّ الطريق!!

في السادسة صباحاً أيقظنا أحدُ الحراس، وبعد الفطور انتظرنا في إحدى الغرف بعض الوقت كيما نسجل إفادتنا مرةً أخرى... ثم انطلقت بنا السيارة إلى السجن... كنت أشعر بأني أقوم بجولة ممتعة، وعندما كان مدير السجن يستجوبني أحسست بأن الصلاة الحقة هي التي تقترن بالعنف دائماً... ثم فُتحت الأبواب ودخلنا المعتقل...

عندما دخلت الغرفة التي خصصت لنا أحسست بالغربة، لم يكن ثمة أحد ينتمي إلى ذات الفكرة. وهتفت أعماقي: لماذا لا يكون العاملون لهذا الدين على رأس المعذبين في الأرض؟ ولم أجد من جواب سوى السخرية والتناقض المرير... وأحسست بأن أصوات التناقض أخذت تجلجل في أعماقي كلها عندما فتح باب المعتقل الكبير... وخرجت... فيا للمأساة!... لقد ضاعت الفرصة!...

٤ حزيران

عقرب الساعة يدور والزمن يمضي... هكذا كل شيء في طريقه إلى النهاية... ولكن الإنسان الحقّ هو الذي يغرس بذور

الحياة في مسيرته إلى النهاية... كيما يظلّ الوجود الإنساني يزهو بالحق والجمال والنماء...

عقرب الساعة يدور... ومشاعري كلها تتركز حول شيء واحد... هل ثمة فرص جديدة للعذاب... أم أن مناظر الأهل في اليومين السابقين ستسدّ عليَّ الطريق... فأعود أغني للضياع والمأساة من جديد، وأحس بسلبيتي إحساساً قاسياً ما له من قرار؟

عقرب الساعة يدور... وليس ثمة جواب... إن ألوان الألم التي عذبتي هذه السنين الطوال لم تدع أمامي طريقاً للحياة الهانئة الهادئة السعيدة... إنني الآن أكره الهدوء... أمقته لأنه يسلمني دائماً إلى الأفكار القاسية... ليس ثمة إلا طريق واحد هو الثورة... الإنسان الثوري هو الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يسحق تعاسته ويبتسم للحياة...

٥ حزيران

عقرب الساعة يدور... ودقّاتها تذكّرني بقلبي الذي لا يدقّ مثلها بانتظام... إنه تارةً يبطئ ويتثاقل، وتارةً أخرى يخفق ويسرع... إن الإنسان مسرح للانفعالات، وإن قلبه هو المؤشر الذي يتحرك على أساس من هذه الانفعالات... إنه معرض للعطب في أية لحظة عندما يصل التناقص الانفعالي أقصاه... إن الإنسان عند ذاك لا يضيع فحسب... ولكنه يموت!!

عقرب الساعة يدور... ولكن أنفاسي لا تتردد بانتظام... إن ضيق النفس يشدّد الخناق عليّ، وإني لأشعر بقسوة الحرمان من

الهواء الصافي والتنفس العميق... هل يعني هذا أن الآلة التي يصنعها الإنسان أبقى من الإنسان؟

عقرب الساعة يدور... وفي غرفة الصديق الحميم يحيى علي في دائرة المعارف... كنا نضحك... كنا نخلق السخرية خلقاً... كيما نجتاز همومنا في خضمّها... عقرب الساعة يدور والزمن يمضي والإنسان ضائع... فليشدّ ذرّته التائهة بقوة الأزل والأبد... وليؤمن... ثم ليتحقق بالوجود والخلود...

١٤ ـ ١٦ حزيران

أوه... سوف أرغم نفسي على عدم الشعور بالأسى كلما طافت في ذاكرتي سنيّ الدراسة الجامعية الأربع التي انتهت أخيراً... فهنالك أنواع شتى من الشقاء والتعاسة عصرت وجودنا عصراً خلال تلك السنين... والإنسان الواقعي هو الذي يذكر كل ذلك عندما يذكر السعادة والأشياء الأخرى التي تقف في الجانب الإيجابي من الحياة...

في الصباح اتجهت إلى الكلية... قابلني أول صديق بهذه الكلمات: أهنئك... ناجح... الثالث على الفرع... ثم راحت التهاني تنهال بين الأصدقاء، بينما رحنا ننتقل من مكان إلى مكان بحثاً عن بطاقات أخرى لحفلة الغد، وعن الأرواب الجامعية السوداء التي تناسبنا، وعن تصاوير حفلة الكلية الماضية... كانت الأكفّ تتصافح، والقلوب تغمرها فرحة عميقة، والنفوس منتشية برحيق عذب... وفي المساء كنا نعيش ساعات أخرى في ساحة المنصور

وحدائقها الخضراء، حيث جرت بروفات حفلة يوم غدٍ... نتحدث ونضحك ونجرّر خطانا من مكان إلى مكان...

الحقّ لقد كانت أمسية يوم أمس رائعة جداً... كنت أحسّ أنا بنشوة وصفاء لا يعرفان الحدود. وعندما انتهى إعطاء التعليمات... غادرنا المكان... كانت سيارات المصلحة بانتظارنا... وعندما جلست على أحد المقاعد كنت أفكر، كما يقول باربوس في روايته (الجحيم) «أكثر من اللازم وأعمق من اللازم»...

وفي بيت أحد الأقرباء قضينا أمسية رائعة مع مسرحية (مجنون ليلى) مثلت في قاعة الخلد ونقلت بالتلفزيون... كانت مسرحية درامية تحمل عناصر المأساة بأعمق معانيها... وفي بيت أحد الأصدقاء صباح اليوم رحنا نتحدث في مواضيع شتى، ثم غادرنا المكان إلى أحد المساجد حيث صعد على المنبر شيخ كبير، يحمل معاني الضعف والانهيار، ليلقي خطبته... وفي الساعة الرابعة كنت أحمل معي الروب في طريقي إلى كلية الهندسة، حيث ستنطلق الباصات من هناك إلى ساحة المنصور...

يا للروعة... لكأني أعيش الآن لحظات الأيام الماضية بكل ما فيها من حياة... إن القلم عندما يتعانق مع الذكريات تتفجر منه الحياة...

كانت الباصات تنساب على شكل خط طويل في شوارع بغداد حاملة بداخلها عشرات المئات من الطلاب... ها نحن الآن نعبر

الجسر... وشيئاً فشيئاً بدت ملامح الملعب الكبير وأعلامه المرفرفة... وكأنها تفتح أحضانها للطلاب بعد عذاب طويل...

دخلنا الملعب ورحنا نتخطّى بعض الوقت، وانتهى بنا المطاف إلى المكان الذي خصص لطلبة كليتنا... وهنالك رحنا نلتقط بالروب الجامعي مجموعة من الصور التذكارية، وراحت التعليقات والضحك الخارج من الأعماق يملأ الأجواء...

كنت أحسّ هذا اليوم بنشوة عميقة... والحقّ لقد غرقنا في أجواء الهزل حتى الأعماق... وبدأ الحفل بالاستعراض ثم بإلقاء الكلمات والخطب وما يتخلّلها من تعليقات... كنت جالساً بالقرب من طالبين رائدين من رواد الهزل في الكلية... وعندما كان الزعيم يلقي خطابه كنا نحن نتحدث ونضحك ولا نلقي له بالاً...

وعندما مُنحنا وسام الجمهورية من الدرجة الأولى ارتفعت أصوات الاستحسان الممزوجة بالسخرية من كل مكان... وفي لحظات انتهى كل شيء... نزعنا الأرواب الجامعية وخرجنا من المكان وعلى وجه كل واحد تعابير من الفراغ والسأم... بلى إنها دراما الإنسانية التي لا تنتهي...

إن كل شيء في الحياة يؤول إلى نهايته... وإن الفراغ القاسي هو مصير كل شيء... قال أحد الأصدقاء: ليس ثمة شيء... ليس ثمة شيء... إننا ظلال لا نكاد نلمس لوجودنا أثراً... ولمحت في كلماته صرخة سليمان النبي عليه السلام (باطل الأباطيل وقبض الريح)... ولكن لنتذكر دائماً أن للآلام أيضاً نهاية، ونهايتها هي

السعادة... وهكذا دوامة من المشاعر والانفعالات ليس للهروب منها سبيل...

في صباح أمس اتجهت وصديق آخر إلى مصوِّر شهير ببغداد لالتقاط صورة تذكارية بالروب الجامعي عدت بعدها إلى الكلية... وفي المعهد المجاور جلسنا بعض الوقت نحتسي القهوة ونتحدث عن الوداع الأخير...

١٩ حزيران

ساعة ونصف وأنا هنا مُكِبٌّ على كتابة هذه المذكرات... وعندما أجلْتُ عيني في أنحاء المكان تذكرت الشتاء الرائع هنا في البيت، حيث كنت أجلس تحت أشعة الشمس على بعد خطوات من هذا المكان، وأطالع في رواية رائعة لنجيب محفوظ أو لمحمد أسد... إن الشتاء لأروع بكثير من الصيف، وإن المطالعة فيه لهي رائعة إلى أبعد حدود الروعة... لقد ذكّرتني طبيعة الشمس بفكرة كنت قد ذكرتها لأحد الأصدقاء وظننتها ساذجة، وهي أن حركة الأجرام هي التي تجعل للزمن (وجود)... وقبل أيام عندما كنت أطالع في كتاب (الشرق الفنان) والقطار ينطلق بنا إلى بغداد، قرأت هذه الكلمات (كان ابن سينا يعتقد بأن الزمن توجده حركة الأجرام)... أوه... ما هذا الاتفاق؟ وأين السذاجة؟!

كانت ثمة جلسة أخيرة في الكلية هذا اليوم... ففي الممر الطويل البارد رحنا نتحدث أنا وبعض الأصدقاء، أحاديث شتى ثم غادرنا المكان... وداعاً يا مسرح الشباب والألم والعذاب...

٢٣ حزيران

ها أنا ذا أقترب من نهاية السفرة الممتعة إلى بغداد... لم يبق أمامي سوى شيئين؛ أولهما فحص العيون عند أحد الأطباء، وهو شيء بسيط لا يحتاج إلى أكثر من ساعة من الزمن... والآخر هو أخذ رأي بعض طلاب قسم الماجستير في التاريخ الإسلامي... وهنا تكمن الصعوبة... فأنا لا زلت أتألم للتردد الذي أعانيه في هذا المجال: هل أكمل دراستي وأدخل الدراسات العليا وأحصل على شهادة لا بأس بها، وربما كانت سبباً في تعييني في الكلية؟ وهي أشياء لم أكن لأهتم بها مطلقاً في السابق؛ لأن الشهادة ليست مثلي الأعلى، بل ليست شيئاً على الإطلاق...

ولكن الإنسان لا بدّ وأن تغريه الأبواب المفتوحة على مصراعيها... إنه إنسان وكفى... أم أنتقل إلى الحياة العملية، المستقرة، السعيدة، حيث لا دراسة ولا إرهاق، وحيث يعيش الإنسان مع فكره وفنه يقرأ ويتفاعل وينتج، ولا عبرة حينذاك بالشهادات... ولما كانت القضية تتعلّق بمستقبل حياتي في الصميم؛ فإن التردد هنا يشير إلى شيء غير قليل من القسوة والعسر...

١ تموز

إن الأحداث الكبرى تميل دائماً إلى سحق السفاسف والمتاعب في أعماق الإنسان... كذلك أغرقت اليوم الروتين الانفعالي الذي درجت نفسي عليه، في حدث كبير هو استقلال الجزائر... ربما فتحت لي السماء أبوابها للانطلاق هذا اليوم، كما فتحتها للشعب

المسلم في الجزائر... إذ رحت أكتب برغبة واستهواء في موضوعي الذي ابتدأته أمس... وما لبثت الساعات أن مرّت بسرعة ودقّت الساعة الواحدة معلنةً إنهائي لأعمالي الكتابية...

أوه... ما أروع اللحظات التي يمرّ فيها الإنسان بعد أن يتمَّ عملاً من الأعمال الفكرية أو الفنية الناجحة... ولكن مأساتي النفسية، وربما كانت مأساة الآخرين؛ هي أن ثمة ظلاماً... ثمة خوف مجهول، يلتمعان دائماً وسط الإشراق، في غمرته... في عز روعته...

ألا يحدث هذا على النطاق الجماعي أيضاً؟ فلقد كان حديثنا اليوم عن نذر الشر والخيانة التي التمعت وسط الفرحة الكبرى؛ التي لم تتحقق إلا بمليون من الشهداء... أواه...

٢ تموز

تحولت اللحظة من الفِناء إلى الشرفة لأتمَّ الحديث... أنا واثق الآن من أن حياتي غدت معنى نفسياً مجرّداً... فكلُّ حدث، مهما كان على درجة من التّفاهة، أو من القوة والرّوعة، له دلالته النفسية عندي... وهكذا غدت أيامي سلسلة من المشاعر... فهل هذا يعني أني مقبل على حياة سعيدة... أم أن شبابي سيتوّج بالشقاء؟!

عادت صباح اليوم مشاعر السأم، فكبّلت قلمي عن الانطلاق... ولو رآني أحد وأنا جالس خلف المنضدة الصغيرة وأمامي مجموعة من الكتب والأوراق لاتّهمني بأني جدّ سعيد... ولكنه إذا ما أمعن النظر في عينيّ الحائرتين، الفارغتين من كل

معنى إيجابي... الدائرتين في السأم والفراغ... الراسختين في القيود لرثى لحالي...

وكما انطلقت مساء أمس لأجد الاطمئنان في إحدى الكازينوات، حيث رحنا نتحدث عن الفكر ونرسم منهجاً لدراسته سويةً أنا وصديق آخر... فقد انطلقت مساء اليوم إلى إحدى الكازينوات لأبدأ الجلسة الأسرية الأولى، بمعية أكرم العمري ومحمد شاكر الغنام... في هذا الصيف...

١٦ تموز

اليوم هو الخامس عشر من آب، والساعة الآن التاسعة... أعود إلى الكتابة بعد شهر طويل قضيته هنا وهناك... كانت نفسي فيه أشبه بالوعاء الذي يمتلئ دونما إرادة منه، تارةً بالسائل العذب وأخرى بالسائل العلقم... وكانت التعابير التي ترتسم على وجهي تعبّر بعمق عن هذه اللاإرادية المتناقضة التي تسيطر على وجودي كله...

وفي الفترة الأخيرة عرفت ثمة إدراكاً جديداً للإيمان بدأ يتفتح لي، وأن إحساساً عميقاً به بدأ يملأ أعماقي... والحق أنني شعرت خلال هذه الفترة بسعادة نفسية لا توصف... وعرفت أن الإيمان عنصر أساسي من عناصر الوجود الإنساني، لا بل هو الأساس المتين الذي يقوم عليه هذا الوجود!!

انطلق بنا القطار ظهيرة اليوم، بعد ساعات مزعجة في تتبع معاملة دفتر النفوس... وعندما وصلنا بغداد كانت الأجواء تنذر

بهبوب عاصفة ترابية... وفي بيت الأقرباء لم أر أحداً. فخرجت لأتخطى في الشوارع التي فارقتها حيناً من الزمن، ثم عدت لأطالع في كتاب (عقيدة المسلم) كيما يعود الأقرباء...

٢٦ تموز

كانت ثمة جلسة مريحة في إحدى مسابح الجيش على ضفة دجلة... ساعات ثم عدنا إلى البيت لنقضي وقتاً طيباً مع حفل آخر عرض على شاشة التلفزيون... ها قد مضى على مجيئي إلى بغداد عشرة أيام، تميزت بالحيرة القاسية والانتظار المرهق والوحدة والسأمة... كما تميزت من جهة أخرى بالتشوق الشديد لتتبع أخبارِ الجزائر التي هددها الانحراف طيلة هذا الشهر... فابن خدة وأنصاره تبلور اتجاههم بتلك المبادئ الهزيلة التي تمدّ يدها للغرب، مصافحةً إياه، تماماً كما تمدّ يدها للشرق مستجدية منه... ولكن غايتها النهائية هي الحكم فحسب... تماماً كما فعل سوكارنو وقاسم وبورقيبة... وأما ابن بللا وأنصاره فقد تبلور اتجاههم بتلك المبادئ العميقة التي تعتز بشخصية أمتها وتقدس دينها وتاريخها، دون أن تصافح الشيطان، في الغرب كان أم في الشرق... كنت أغادر الباص مسرعاً إلى الأرصفة التي عرضت عليها الصحف لأطالع أخبار الجزائر بقلق وتشوّق، وحقد وحبّ!!

٣٠ تموز

الساعة الآن الحادية عشرة... مضت ساعتان وأنا مكبٌّ على الكتابة... وبين الحين والحين أشعر بالسأم، فأضع القلم وأشرد

بخيالي في الفراغ... الفراغ... وعندما انطلق بنا القطار ظهيرة اليوم لم يكن أمامي إلا الفراغ، فالأرض الممتدة على جانبي الخط الحديدي أحرقتها الشمس فغدت غثاء أحوى... وأعماقي التي أشقتها الحيرة وجدت في الخيال الفارغ الخلاص الوحيد...

كان ثمة إنسان منهك أمامي... أنهكه الكدح والجوع، وكان رأسه قد اشتعل بالشيب، كان في طريقه إلى الموصل بعد أن فشلت محاولته لكسب الرزق في بغداد، فاقتسمت طعامي معه، ووجدت في ذلك لذة كبرى...

غادرت القطار متجهاً إلى البيت... وهنا في الشرفة، حيث أجلس الآن، ألقيت رحلي حيث جلست مع الأهل حتى ساعة متأخرة، غادرنا بعدها المكان إلى السطح لننام...

٣١ تموز

وانتهى تموز... وبانتهائه قطعت قيود الحيرة التي كبّلتني طويلاً، واخترت طريق الاستمرار في الدراسة للحصول على شهادة (الماجستير).. لم أكن قبل، لأؤمن بالشهادات، أو أنوء بالتعليم، كمعظم الطلاب... لم أكن أؤمن إلّا بقيمة الفكر وشهادته... وبمتعة التعليم ومدى المجال الذي يفسحه للتبشير بالفكرة التي أحملها...

ولكني من جهة أخرى، لم أعد أحتمل كلمات الاستهجان الاجتماعية للمهنة التي اخترتها... إن حساسيتي النفسية لا تتحمل خبث البعض الذين يختارون هذا المنفذ للدسّ والطعن... كما أنني اعتقدت شيئاً فشيئاً بأن مهنة التعليم تحطّم كل قابلية، وتحرق كل

تحفّز... إنها علامة الخطر وضعت في طريق الفكر... وغرزت في وجدان الفنان... هكذا شاء مجتمعنا أن نكون... وشاء مجتمعنا أيضاً أن تكون (الشهادة) المنفذ الذي يخرج منه الإنسان إلى محيط التقدير الاجتماعي، والوسيلة التي ينتصر بها الفكر ويبشّر بالدعوة... لقد وضع أخي الكبير (مظفر) حدّاً للتأرجح الحائر الذي أعياني... عندما أشار إلى الطريق...

٢ آب

دقّ جرس الهاتف عندما استيقظت عصراً، ودعاني أحد الأصدقاء للذهاب إلى حمام العليل، وكالعادة مانعت أولاً ثم وافقته على الذهاب... وإذ كنت قد وعدت الأخ يحيى عليّ في مسجد الخضر، فقد اتجهنا إلى هناك وسلّمنا ورقة إلى الخادم كي يسلّمها بدوره للأخ يحيى...

وبعد قليل انطلقت بنا السيارة في طريقها إلى حمام العليل... قلت للصديق: الحقّ أن الإنسان يستطيع أن يسيطر على سلوكه إذا ما أراد! لقد وضعت أمس مخططاً لتحقيق ذلك... إذ سجّلت فيه جميع السلوكيات التي تتناقض أساساً مع عقيدتنا الإسلامية... وسأقوم بوضع إشارة كلما وقعت في إحداها كيما أحصيها في نهاية الشهر، وهكذا أسيطر تدريجياً عليها...

كانت أمسيتنا رائعة إلى حدّ كبير، إذ قضينا الساعات الأولى في كازينو تطلّ على دجلة، نتحدث حيناً وننصت إلى المذياع حيناً آخر... ثم عدنا إلى البيت حيث التهمنا بشهية عشاء من

(المقلوبة) المفلفلة من البرغل... وعدنا إلى الأحاديث حتى ساعة متأخرة من الليل...

٤ آب

استيقظت في ساعة مبكرة، فتحت عيني على قرص الشمس البرتقالي يصعد وراء التلال الشرقية لحمام العليل بكلّ روعته وجلاله... واتجهت إلى السوق حيث يعرض البدو ما عندهم من خضر حصدوها في الفجر... عبرت السوق إلى المزاد حيث المناظر التي تخللته تدعو للضحك... بعد الفطور اتجهنا إلى الحمام لنستحمّ، ولنقضي بعض الوقت في استراحة ممتعة، نغادر بعدها الحمام إلى إحدى الكازينوات، وهنالك نسرف في شرب الماء والمرطبات وتناول الدوندرمة والمثلجات... حتى إذا حانت الواحدة عدنا إلى البيت...

وفي الأصيل رحنا نذرع بخطانا الأراضي الخضراء الشاسعة الممتدة بعيداً في طريقنا إلى حافة النهر... كانت روائح الدغل والعشب ندية رطبة... وعلى الحافة قضينا بعض الوقت، ثم قفلنا عائدين عن طريق العيون الكبريتية الحارة، التي تفجرت هنا وهناك منذ زمن بعيد... وفي السطح رحنا نتحدث، على النسيم وروعة النجوم المنتشرة في السماء حتى ساعة متأخرة من الليل...

١٠ آب

استيقظنا صباحاً ونحن على موعد مع ثلة من الأصدقاء، للقيام بسفرة إلى المخلط جنوب حمام العليل... لصيد السمك...

وفي التاسعة انطلقت بنا سيارتان باتجاه الجنوب... كان ثمة حديث قصير يقطع علينا أفكارنا بين الحين والحين... وعندما وصلنا المخلط، اتجهنا إلى الضفة حيث نصبنا خيمتنا هناك بين السيارتين، وجلسنا هناك نتحدث، بينما راح الآخرون يعدّون العدة لإلقاء المتفجرات في الماء لصيد السمك...

«إن تمجيد هذا الإنسان أو ذاك يشير إلى ضعف الشخصية... أنا أعتقد أنني (سوبرمان) أستطيع أن أحقّق كل ما أريد»... وراح ذلك (السوبرمان) يكيل المديح لنفسه مكرراً كلمة (أنا) بين الحين والحين...

هكذا تدور الأحاديث أحياناً حينما يُقصى الفكر والإيمان والفن وما تحتمه من تواضع و(لا أنانية) من مجال الحديث...

وعاد صيادو السمك وليس معهم إلا القليل... لم يكف لغدائنا... فأتممناه بالبصل والطماطة!!

٢٨ آب

استيقظت في ساعة مبكرة وقلبي ينعصر ألماً... وبعد فطور سريع اتجهت بي سيارة عسكرية لأحد الأقرباء إلى (علاوي الحلة)... وهناك وبعد دقائق انطلقت بنا سيارة مرسيدس في طريقها إلى الحِلّة... وفي لحظات قام التناقض بدوره المألوف على الأصول، فانسحب الألم من أعماقي، لتحلّ معه نشوة عارمة وسعادة نفسية لا توصف... كنت في طريقي إلى (طويريج) إحدى قرى لواء الحِلّة، لألتقي بذلك الطالب، حيث ارتبطتُ وإياه بكفالة

واحدة، ولكي أخبره بموعد محاكمتنا في قضية المناشير... وفي الحِلّة رحت أنزل من عربة فأركب أخرى بحثاً عن بعض الأشخاص لأسألهم عن الطريق... ومن الحِلّة انطلقت بنا سيارة أخرى إلى الحمزة... وكان الجسر مقطوعاً... وفجأة خيّم الانقباض على قلبي توقعاً ألا أجد سيارة تقلني إلى القرية... ولكني عندما اجتزت الجسر مشياً فزت بأمنيتي...

وصلت الناحية... وبعد انتظار قصير ركبت سيارة أخرى... وبعد ساعة من السير في طريق مغبر خانق وصلت القرية... لم أجد ذلك الشخص، ولكني وجدت إخوته فأخبرتهم عن سبب مجيئي، وأنه لا بدّ أن يسافر إلى الموصل قبل اليوم الثاني من الشهر القادم...

وفي مقهى متواضع جلست بعض الوقت أشرب الكوكا، وأتحدث مع الأخ الأكبر لذلك المتهم، حتى حان موعد انطلاق السيارة فغادرت القرية إلى الأبد...

١٥ أيلول

في ساعة مبكرة، استيقظت هذا اليوم وأنا أحسّ بأني أحسن حالاً من ليلة أمس، حيث أصابتني حمى شديدة تركتني طريح الفراش... اتجهت إلى (المحكمة) حيث موعد مرافعتنا اليوم حول قضية المناشير... وبعد انتظار طويل نودي علينا... فدخلنا غرفة الحاكم الذي قال لنا: (تبرئة) مع غرامة دينار واحد!!

وفي غرفة الأخ يحيى عليّ في مديرية المعارف دار الحديث مرةً أخرى عن مسير الدعوة والعقبات التي تواجهها... وفي كازينو

في أقصى المدينة قضينا أمسية رائعة بين الجد المحض والهزل المحض... إذ رحنا نتناقش حول بعض المواضيع في كتاب المودودي (الإسلام والجاهلية)... وكانت وضعيتنا مثيرة للضحك... خاصةً عندما كنت أقول له: أرجو أن تشرح لي هذه الأسطر وتربطها بالفكرة الكبرى، وبعدئذ سوف نقرؤها في ضوء شرحك... فيضيّع المسكين الخيط والعصفور... حتى بلغنا حدّاً من الإعياء الفكري، وصرنا لا يفهم أحدنا الآخر... يتكلم هو ويعيد دون أن أفهمه... (أتكلم) أنا وأعيد دون أن يفهمني... فما يكون منا إلا أن ننهض قائمين ونغادر المكان...

٢٧ أيلول

بينما كنت منهمكاً بتدوين بعض الخواطر والأفكار، وبينما كنت أعيش تجربة العطاء الفكري العميقة الغنية... وبينما كانت وحدات الزمن تتلاشى بسرعة مخلّفة وراءها مجموعة من الكلمات مرصوفة على الورق... بينما أنا على هذه الحال إذا بجرس الهاتف يدقّ، وإذا بالوالد يقول: جاءتك رسالة من خالد العسلي... فأجبته بأني سآتي حالاً إلى الدكان لأطلع على ما فيها... والحقّ كانت فرحتي لا توصف بهذه الرسالة التي كنت لا أتوقعها...

وسرعان ما وجدتني أركب الباص في طريقي إلى السوق، واستلمت الرسالة بلهفة، وفتحتها ورحت أقرأ: «أخي... يسعدني أن أهنئكم بقبولكم لدراسة الماجستير... وأملي أن تهيئ نفسك لكي تداوم هذه السنة، وسأكون سعيداً بدوامكم، وستجدني أقدم لك كل

ما تحتاجه وكل ما يمكنني أن أقدمه لك في مجال الدراسة... أخي حاول أن تداوم هذه السنة لأنها فرصة ذهبية فالدراسة لذيذة ولو أن فيها جديّة... ولكن كما قال بسمارك: لم يهلك أحد من الشغل»... المخلص خالد العسلي ..

٢٨ أيلول

نزلت إلى الطابق الأسفل، وأنا أحسّ بنشوة نفسية كتلك التي يحسّها كل من كان على موعد مع رحلة تنطلق من قلب الفجر... وجاء الأصدقاء وانطلقت بنا السيارة في طريقها إلى حمام العليل، وبعد نصف ساعة من التعليقات المتقطعة والضحك وصلنا المكان، وجلسنا في إحدى المقاهي أنا وصديق آخر، بينما اتجه الآخرون إلى الحمام...

وراحت الأحاديث تدور بيننا على أروع ما تكون... عن الفكرة الإسلامية العملاقة... عن أولئك الذين جلسوا من بعيد لكي يتغزلوا بها فيترعوا وجودهم... عن دوامة الازدواج التي نحياها بين الواقع والحلم... عن التجارب الفكرية والنفسية التي يمرّ بها الإنسان الغربي والشرقي...

ـ لقد عرض المودودي في كتابه (واقع المسلمين...) فكرة رائعة... هي فكرة الصراع في عالم الأفكار عند هيغل، وفي صميم الفطرة عند دارون، وفي محيط الاجتماع عند ماركس...

ـ إن لفكرة هيغل إيحاءات شتى... والمودودي عبّر عن إحدى هذه الإيحاءات...

ـ أما بالنسبة لماركس؛ فإن فكرة (الديالكتيك) قد تصدق في بعض الأحيان... في محيط النفس ألا تمرّ بسلسلة من المتناقضات النفسية، فتضيع... كما يقول ديستوفسكي؟ إنني مثلاً أحسّ الآن بتفتح للحياة... وبتفاعل فكري رائع مع العقيدة... ولكن بعد ساعة أو أكثر سيحدث ردّ الفعل، فإذا بي أعيش السأم والفراغ...

عندما عدنا، جلسنا في كازينو البلدية بعض الوقت، ودار النقاش هذه المرة في مواضيع أخرى تتعلّق بفلسفة العلوم، فرحنا نستعرض أفكار دارون وآينشين وغيرهما من العلماء، الذين تطرقوا لتفسير الكون والحياة والوجود الإنساني على أساس علمي...

٧ تشرين الأول

اكتست السماء بلون شاحب، وراحت الأجواء تظلم شيئاً بعد شيء... وعبر الشحوب أخذت طريقي إلى كازينو (أغادير)... كانت ثمة جلسة أخيرة بيني وبين الأخ يحيى علي؛ الذي شدتني إليه الفكرة والشعور المشترك والوعي الحساس للحياة والوجود... وعندما خرجنا لنتخطى بعد أن صفي الجوّ راح يقول:

ـ ما أروع ليالي الشتاء عندما يجلس الإنسان في كازينو ما، وبين يديه قصة رائعة من تلك القصص؛ التي تعبّر عن تجارب الإنسانية في فترة من فترات تاريخها... بينما تروح الأمطار تتساقط بغير حساب... إن بيدي الآن «قصة مدينتين» ولشدّ ما أتمنى أن لا تنتهي... إنها تعبّر عن المأساة بأعنف صورها...

وأرجو أن نقضي ـ معاً ـ شتاءً رائعاً في جلسات درامية كهذه التي تثيرها القصة...

ـ أتمنى ذلك... إن هنالك مجموعة من القصص تفتح وعي الإنسان على حقائق كثيرة... أقرأت (وداعاً للسلاح)؟ إنها تصور مأساة الحرب الدامية، كما تعبّر عن المتناقضة المريرة بانفجار فجائي للمآسي... وودّعت الصديق وأنا أهمس بأفكار لا أكاد أتبيّنها...

١١ تشرين الأول

بعد فراق طويل دخلت المكتبة العامة، وطلبت كتاب (كتب وشخصيات) لسيد قطب، ورحت أتصفّحه... وفي لحظة وضعت خطاي في عالم الذكريات الرحيب... ها هو اليوم الذي جلست فيه هنا بعض الوقت وغادرت المكان إلى ما وراء (تل قوينجق) القديم، حيث كان موعد فطورنا هناك... وها هو اليوم الذي جلست فيه في غرفة البيت القديم أطالع صفحات الكتاب الأولى... ثم غادرت المكان لحضور الأسرة... وها هو اليوم الذي جلست فيه في كازينو الخيام أطالع الصفحات الأخيرة من الكتاب: ها هي أحلام شهرزاد وأجواؤها... وها هي شجرة البؤس وخان الخليلي ومجنون ليلى...

لكأني عدت القهقرى إلى تلك الأيام الصاحية المطيرة، الدافئة الجليدية... حيث عشت شهرين من حياتي في هذا العالم الرحيب... خرجت لأداء صلاة العصر في جامع الخضر... وبعد جلسة قصيرة في غرفة إمامه (علي الشمالي) اتجهت إلى

البحيرة، حيث التقيت ببعض الأصدقاء... وجلسنا هناك نشرب الشاي ونتحدث، ولكنها أحاديث تملأ النفس سأماً وملالاً...

٢٢ ـ ٢٣ تشرين الأول

من رسالة إلى أخي الكبير (مظفر): «أخي العزيز... لست أدري كيف ينقضي اليوم بهذه السرعة العجيبة، لكأنه مجموعة من الدقائق فحسب... وربما كان السبب في ذلك أننا لا نقضي وقتنا في مكان واحد... فبعض الوقت نقضيه في بناية الماجستير التي تضم مكتبة رائعة وحديقة ملأى بالأشجار... وبعض الوقت نقضيه في كلية الآداب المجاورة، إما في النادي وإما في المكتبة... وفي وقت آخر نذهب إلى كلية التربية لنطالع في مكتبتها أو نجلس في ناديها نستعيد ذكريات السنين الأربع التي قضيناها فيها... وعندما يحين المساء أعود إلى بيت الأقرباء لنقضي أمسية رائعة مع التلفزيون... وهكذا ينتهي اليوم بسرعة...

ولطالما سألت نفسي: كيف كانت وضعيتي لو لم أقدّم إلى الدراسة العليا، والتحقت بالتعليم؟ إذن لأصبحت حياتي قطعة روتينية مملّة... ذلك أن الفارق كبير جداً بين النشاط الممتع الذي نقوم به الآن، وبين التدريس في متوسطة تلعفر... كما أن الفارق كبير جداً بين الحياة في قضاء تلعفر، حيث الاستمرارية والخمول، وبين الحياة في بغداد حيث التبدل والنشاط .. هذا إضافة إلى أن القبول في الدراسات العليا فرصة ذهبية، لا يستطيع

الحصول عليها كل طالب... ففي هذا العام قدّم عدد كبير من الطلبة ولم يقبل منهم سوى ستّة فقط...

وباختصار، فإني أحمد الله ﷻ على أن وفّقني لهذا، كما أنني أقدم شكري إليك باعتبارك الشخص الذي شجعني للدخول إلى هذا العالم، ولولا تأكيدك عليّ لبقيت في حيرة مريرة طوال أشهر الصيف... أما عن كيفية المحاضرات؛ فإن مدتها خمسون دقيقة في غرفة الأستاذ نفسه، حيث يبدأ الكلام ثم تدور المناقشات الحرة بين الطلبة والأستاذ في مختلف المواضيع... وفي منتصف المحاضرة ينادي الأستاذ على شاي أو قهوة وتمّر بعدها الدقائق سريعة متلاحقة حتى تنتهي الساعة...»...

٢٨ تشرين الأول

غادرت قسم الماجستير، وأخذت طريقي إلى شارع المتنبي، وهنالك التقيت بصديق من الموصل، فأخبرني عن مجموعة من الحوادث التي شهدتها المدينة أخيراً... وبعد تناول الغداء دخلت مكتبة المثنى فإذا بخالد العسلي يقف هناك. وسرعان ما أخذ بوضع مجموعة من الكتب واحداً بعد الآخر أمامي... هذا به فائدة... وهو مهم... كان يقول... ودفعت ثمنهم، وغادرت المكتبة محتضناً الكتب كأنني أحمل معي كنزاً ثميناً...

وفي فندق (بين النهرين) التقيت بالصديق أحمد الحسّو الذي يشدّني إليه اتجاهنا الفكري، فتعانقنا وجلسنا نتحدث في مواضيع شتى... راح يتكلم عن مشاريعه للمستقبل، حيث عبّر عن

مدى طموحه، وعدم رغبته في البقاء على الحالة التي هو عليها مذيعاً في إذاعة بغداد... وكم تمنيت آنذاك من صميم قلبي أن يحقق هدفه، فيدخل جامعة في إنكلترا ويتخرج حاملاً معه شهادة (الدكتوراه)؛ لأنه لم يخلق إلا لذلك...

٣١ تشرين الأول

في ساعة مبكرة أتممنا معاملة الكفالة في إحدى محاكم الأعظمية، وشعرت آنذاك أني تخلصت من عبء ثقيل شأن كل إنسان ينهي معاملة حكومية في العراق... غادرت السيارة واتجهت إلى مكتبة الأعظمية التي وصفت بأنها تساعد على الدراسة، ولكني وجدتها مغلقة، فركبت الباص وأنا في حالة من حالات التفتّح النفسي والعمق الوجداني...

وفي مكتبة كلية التربية ألقيت رحالي وبدأت العمل مع الخطيب البغدادي... وبين الحين والآخر كنت أخرج لأتخطى مع هذا الصديق أو ذاك في حديقة الكلية... حيث قصّ لي أحدهم الصدامات التي حصلت مع الشيوعيين، وكيف كان له دور رئيسي في (بسط) ثلاثة منهم اعتدوا يوم أمس على أحد الإخوان عندما مزّق مناشيرهم وداسها بالأقدام... فمرّت أمام مخيلتي الأعوام الماضية، حيث عاش طلاب التربية في أجواء مشحونة، وأعصاب متوترة، وحيث أبلى الكثيرون منهم بلاءً حسناً ضد الحمر المستنفرة...

١ تشرين الثاني

الأيام تمرّ بسرعة جنونية، ولا نشعر نحن إلا وأننا نستيقظ صباح كل يوم... وبعد لا شيء نستيقظ مرةً أخرى... وبعد لا شيء نستيقظ مرةً أخرى... وهكذا أشبه ما نكون بأجساد صلبة تتقاذفها المياه، ويسوقها المجرى إلى مصيرها المحتوم... ولكن الإنسان الإرادي هو وحده الذي يستطيع أن يصرخ؛ عندما يفتح عينيه على حقيقة المأساة، ليمزق السدف الكثيفة، ويحقق حريته التي وهبها إياه الله ﷻ ...

كان صباح اليوم مشرقاً رائعاً... مرّت ساعاته الباسمة ونحن في مكتبة قسم الماجستير، نتحدث حيناً، ونمزح حيناً آخر، ونكبّ على واجباتنا حيناً ثالثاً... وعند الظهر ودّعت الأصدقاء وعدت إلى بيت الأقرباء... وفي الغرفة الصغيرة في الطابق العلوي رحت أستخرج النصوص من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وأدوّن بعض الخواطر والأفكار... حيث أستطعت أن أضع مخططاً أولياً للموضوع الذي أتمنى أن أعمل فيه رسالتي للماجستير، وهو عن إيديولوجية الصراع بين عليّ ومعاوية...

٥ تشرين الثاني

دقّ جرس المحاضرة، فأسرعنا نصعد السلم في طريقنا إلى غرفة الدكتور الدوري، وهنالك راح الأستاذ يلقي علينا بعض الأسئلة عن الواجبات التي كلّفنا فيها خلال الأسبوع الماضي... ولما لم يرتح لتحضيرنا غدا عصبياً، وراح يوجّه سبابه المهذب إلى بعض

الطلاب... وكيما يعاقبنا كلفنا بواجب صعب، قال بعده، اذ رأى وجوهنا قد اصفرّت!! أرجو ألا أكون قد أحدثت عندكم ردَّ فعل!!

غادرنا المكان ونحن نحسّ بأن عبئاً ثقيلاً قد ألقي على عاتقنا... وأسرعت إلى البيت... كان الجو غائماً... والرياح عاصفة، وخلال الأمطار المتساقطة وضعت حقائبي في السيارة وغادرت بيت الأقرباء إلى شقة الصديق مؤيد الدباغ؛ التي استأجرتُ فيها إحدى الغرف... بقيت بعض الوقت هناك ثم اتجهت إلى المكتبة، وأنا أحسّ بقلق شديد من جراء الواجبات التي ألقيت على عاتقنا... وفي المكتبة اشتغلنا بعض الوقت... ثم ركبنا سيارة أحد الأصدقاء وقمنا بجولة ممتعة في الباب الشرقي، تخللها بعد قليل رد فعل قاسٍ وشعور بالوحشة في الشقة التي انتقلت إليها...

١١ تشرين الثاني

كيف يكون الله ﷻ، يا أستاذ، دكتاتوراً، وعلاقته بعباده علاقة السادة بالرقيق؟... وكيف تكون هذه الصورة: صورة الرب المالك القاهر الذي يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء انعكاساً للبيئة المكية؟! إنها لمتناقضة يا أستاذ، فأنت تقول: إن المجتمع المكي ليس مجتمع رقيق. ومن ناحية أخرى تعود لتقول: إن صورة مكة قد انعكست في العلاقة بين الله وعبيده، علاقة السادة بالرقيق...

قال الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي: بلى إنها متناقضة... كنت أحسّ بعصبية عنيفة، وكنت أضع يدي على قلبي الذي راح يخفق بقوة، وكأنه يريد أن يشق صدري ليقذف حمله بوجه

الأستاذ... ورحت أقول مع نفسي: إن أسطورتك يا أستاذ هي أسطورة رينان، وقد حطمها محمد عبده منذ زمن قديم... وفي الدرس الآخر كلفنا أستاذ المغول... الدكتور جعفر خصباك، بواجب شاق، فشعرت بأني أكاد أغرق في ظلام نفسي عميق!!

١٢ تشرين الثاني

في المكتبة العامة وفي الطابق العلوي، رحت وصديق آخر هو عبد الجبار ناجي؛ شعرت معه بنوع من الانسجام، وربما سيكون صديقي المفضل خلال هذه المرحلة من الدراسة؛ نقلّب صفحات مجلدات الطبري: تاريخ الرسل والملوك (طبعة ليدن) باحثين عن روايات مؤرخينا الذين كُلفنا بجمع رواياتهم...

غادرنا المكتبة ورحنا نتخطى عبر شوارع الوزيرية على ضوء القمر... كنا نتحدث عن المستقبل، ولأول مرة في حياتي كنت أحسّ بنوع من التصميم القاطع لشقّ الطريق في سبيل بناء المستقبل الأمثل الذي أرجوه... تحدثنا عن الماجستير، وكيف سنعمل على إنهائه خلال سنتين لا أكثر... وكيف سنغادر العراق هو إلى لندن وأنا إلى القاهرة كيما نحصل على الدكتوراه ونعود... هكذا بتصميم ودون تردد... وتذكرت الأيام التي سبقت قراري بدخول الماجستير، وكيف كنت أحسّ بالقلق والتردد المريرين...

يا رب... إننا ندعوك أن تحقق آمالنا... ففي سبيلك وحدك سنجاهد، وباسمك سنكافح عقبات الطريق...

١٣ تشرين الثاني

وابتسمتُ بسخرية مريرة، فرفع الأستاذ الدكتور صالح العلي رأسه متسائلاً...

ـ الحقّ يا أستاذ أن أسس ثقافتنا تختلف، ولذا لا فائدة من النقاش... فهنالك يا أستاذ نوعان من التفسير التاريخي تلقيناهما عن الغرب... أولهما من أوربا الشرقية يحاول أن يفسّر التاريخ على أساس التناقض وردود الأفعال... والأخرى جاءتنا من أوربا الغربية بواسطة جهود المستشرقين، تحاول أن تبحث عن جذور للأحداث والمبادئ، أي عن الاستمرارية التاريخية... فلماذا لا نحاول نحن أن نعتز بشخصيتنا ونفسّر التاريخ بوحي من مبادئنا وظروفنا... إن للإسلام كمبدأ إلهي قوة ذاتية، فليس من المنطق أن نبحث عن أصول له في الماضي، أو نتخذه كرد فعل لمجموعة من الأفعال التي عفا عليها الزمن؟

١٤ تشرين الثاني

اتجهت صباحاً منشرح الصدر إلى المكتبة العامة، وهنالك رحت أبحث عن روايات (أبو عبيدة معمر بن المثنى) اللغوي، المؤرخ، في مجلدات الطبري (الطبعة الأوربية)... ومرّ الوقت سريعاً، وأنهيت عملي، فغادرت المكان إلى قسم الماجستير، وبعد فترة قصيرة هناك اتجهت وعبد الجبار ناجي إلى كلية التربية، حيث جلسنا في المكتبة نقلّب صفحات كتاب (المنتظم) لابن الجوزي، ونستخرج منه النصوص التي تتعلّق بخطط بغداد...

والحقّ لقد كان الكتاب رائعاً ممتعاً؛ إذ لم نشعر بالوقت وهو يمضي سريعاً، لينتهي بنا في الساعة السادسة حيث خرجنا لنشرب الشاي في النادي ونعود من جديد...

وعندما خرجنا في العاشرة اتجهنا إلى صاحب المشويات لتناول العشاء ونحن منشرحي الصدر... قلت لصاحبي: لقد طالعتني في الكتاب قصة أحد طلاب الحديث؛ الذي ظلّ يشتهي أكل الهريسة في الشارع ثلاثين عاماً دون أن يحصل على بغيته... خوفاً من ألّا يبكر في حضور حلقة الحديث...

وتساءلت: لماذا لا نبرز هكذا صفحات مشرقة من تاريخنا الإسلامي؟ لماذا يحاول بعض أساتذتنا أن يظهروا دائماً مواطن الضعف والظلام من هذا التاريخ؟ لماذا يسعون لعرض الوجه المشوّه؟ والحقّ معهم... أفليسوا قد تلقَّوا ثقافتهم في الغرب؟ أفليسوا قد جهلوا أساساً جوهر الفكرة الإسلامية؟ وفوق ذلك؛ فإن تشهيرهم اللامنطقي ببعض حلقات تاريخنا يشبع رغبتهم النفسية في الشهرة...

وكان عشاء لذيذاً افترقنا بعده.

١٥ تشرين الثاني

في صباح هذا اليوم مضت الساعات ونحن منهمكون مع ابن الجوزي تارةً... ومع الضحك والتعليقات تارةً أخرى... وبعد نومة قصيرة في الشقة اتجهت إلى كلية الحقوق، لألتقي بالدكتور عبد الكريم زيدان وأسأله عن بعض الشبهات؛ التي أثارها أستاذنا

عن الفقه الإسلامي... وبعد صلاة المغرب في الكلية دخلنا محاضرة أصول الفقه، وراح الدكتور عبد الكريم زيدان الذي حصل أخيراً على شهادة الدكتوراه بدرجة الشرف من المرتبة الأولى، يلقي محاضرته على طلاب الحقوق... وبعد انتهائه من المحاضرة لحقت به إلى إحدى الغرف وسألته عن تلك الشبهات وصيغة الرد عليها، فابتسم وأجاب بسرعة بديهة وذكاء متّقد عما أريد...

٢٦ تشرين الثاني

دقّ الجرس وصعدنا إلى غرفة الدوري، وبعد فترة قصيرة بدأت المحاضرة والنقاش حول «الزهري» رائد التاريخ عند العرب... وجاء الشاي ودارت أحاديث شتى، واقترحنا القيام بسفرة خلال أيام العطلة القادمة... فطرحت يوم عيد السلامة بصيغة ساخرة، فعلت الأصوات بالضحك... ووافق الأستاذ.

قلت لصديقي: الحقّ أن حياتنا في هذه المرحلة رائعة ولسوف نذكرها دائماً... واتجهنا إلى مكتبة المتحف بحثاً عن مصادر لكتابة البحث عن خطط المدن... كنا آنذاك قد تعبنا وشعرنا بالجوع، فغادرنا المكتبة إلى أحد المطاعم الشعبية، حيث ملأنا بطوننا وغادرنا المكان... واستقرّ رأينا على الذهاب إلى إحدى الكازينوات لنواصل العمل هناك...

- كل يوم إلى مكتبة التربية... إنه شيء يبعث على السأم... يجب أن نغيّر الأجواء كيما نستطيع أن نواصل الطريق...

وفي إحدى الكازينوات في شارع الرشيد كنا نطالع حيناً، ونغالب النوم والشرود أحياناً أخرى...

٢٧ تشرين الثاني

عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يعزل خالداً... لم يكن ثمة قائد على جيش المسلمين في الشام حتى تحدث عملية عزل... لم يصنع عمر سوى أن عيّن أبا عبيدة بن الجراح قائداً عاماً للجيش، وبقي خالد في منصبه كقائد لأحد أجنحة الجيش... كان عمر يهدف إلى الفتح المنظم، ولن يتمّ هذا إلا ببناء قاعدة إدارية متينة... وكان أبو عبيدة أهلاً لهذا... ولكنّ الإشاعات، وتأثُّر الجماهير ببطولة خالد تدخلت في الموضوع وصبغته بصبغة المأساة...

الشعوبية لم تقم على أساس قومي!! بالعكس كانت الدولة الساسانية لا تمثل الطموح القومي الفارسي كي يحاول الشعوبيون إعادة مجدهم الذي ضيّعه المسلمون... كلا... إنما كان الساسانيون يمثلون مقاطعة واحدة من مجموعة مقاطعات، لهم قوميتهم ولغتهم، وحتى في المجال الديني؛ فإنهم اضطهدوا بقية الديانات...

هاتان الفكرتان أبداهما الدكتور صالح العلي صباح هذا اليوم... وكلتاهما تستحقان الدراسة والتحليل... فعليهما قد تبنى مفاهيم كثيرة وتفنّد أخرى...

٢٩ تشرين الثاني

استيقظت صباحاً على شعور بالقلق بين الذهاب إلى الموصل

وعدمه... ولكني ما لبثت أن كتبت ورقة إلى بعض الأصدقاء بأني سوف لا أسافر معهم إلى الموصل، لأني أعطيت وعداً لطلبة الماجستير بالذهاب في رحلة إلى الجنوب...

اتجهت إلى مكتبة المتحف، ولم أستطع أن أحصل على فطور فلم يكن في جيبي سوى عشرة فلوس!! ووجدت أحد الأصدقاء هناك فهتفت: يا للموافقة... وغادرنا المكان واتجهنا إلى عمادة الطلبة لنكمل معاملة الراتب علّنا نحصل عليه هذا اليوم... واستمرّت المعاملات حتى الواحدة ولم نقبض على شيء... عدنا إلى نادي كلية الآداب، واستدنّا مبلغاً من المال، وتناولنا غداءنا هناك بصورة سريعة كي لا يفوتنا درس اللغة الفرنسية...

وكانت أمسية ممتعة في بيت أحد الأقرباء مع برامج التلفزيون، وأكلة (المستوي) الموصلية اللذيذة... ومرّت ساعات المساء سريعة متلاحقة... ذكّرتني بليالي الشتاء في مدينتي الموصل... وأحسست أنني أعيشها لحظةً بلحظة...

قائمة بالأعمال الكاملة للأستاذ

الدكتور عماد الدين خليل
وفق تصنيفها الموضوعي

أولاً: الأعمال التاريخية

أ ـ محور المنهج والفلسفة:

١ ـ التفسير الإسلامي للتاريخ (٥ طبعات) (دار العلم للملايين ـ بيروت).

٢ ـ حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣ ـ ابن خلدون إسلامياً (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٤ ـ في التاريخ الإسلامي: فصول في المنهج والتحليل (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٥ ـ المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر (مونتغمري وات) (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٦ ـ دليل التاريخ والحضارة في الأحاديث النبوية (بالاشتراك مع المهندس حسن الرزو) (طبعة واحدة) (دار الرازي ـ عمان).

٧ ـ المنظور التاريخي في فكر سيد قطب (طبعتان) (دار القلم ـ بيروت).

٨ ـ التاريخ والسنن التاريخية في كتابات النورسي (قيد النشر).

٩ ـ مدخل إلى التاريخ الإسلامي (التأصيل الإسلامي للتاريخ) (٤ طبعات) (المركز الثقافي العربي ـ الرباط).

١٠ ـ مدخل إلى الحضارة الإسلامية (٤ طبعات) (المركز الثقافي العربي ـ الرباط).

ب ـ محور السيرة والتراجم:

١١ ـ دراسة في السيرة (١٨ طبعة) (دار النفائس ـ بيروت).

١٢ ـ كتابات معاصرة في السيرة النبوية (طبعة واحدة) (دار وائل ـ عمان).

١٣ ـ ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز (٩ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٤ ـ عماد الدين زنكي (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٥ ـ نور الدين محمود: الرجل وتجربته الإسلامية (٣ طبعات) (دار القلم ـ بيروت).

ج ـ محور البحوث والدراسات:

١٦ ـ دراسات تاريخية (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٧ ـ المقاومة الإسلامية للغزو الصليبي: عصر ولاة السلاجقة في الموصل (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٨ ـ الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام: أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر (طبعة واحدة) (مؤسسة الرسالة ـ بيروت).

١٩ ـ الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين (طبعة واحدة) (دار الفكر ـ دمشق).

٢٠ ـ خطوات في تراث الموصل (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢١ ـ محاضرات في التاريخ والحضارة الإسلامية (قيد النشر).

د ـ محور قضايا في التاريخ المعاصر:

٢٢ ـ ملامح مأساتنا في إفريقيا (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٣ ـ لعبة اليمين واليسار (٥ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٤ ـ أضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٥ ـ مقالات إسلامية (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٦ ـ الرؤية الآن: في هموم فلسطين والعالم الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٧ ـ أولى ملاحم القرن (طبعة واحدة) (مؤسسة الرسالة ـ بيروت).

٢٨ ـ مذكرات حول واقعة الحادي عشر من أيلول (طبعة واحدة) (دار الفكر ـ دمشق).

٢٩ ـ أمريكا مرةً أخرى (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ثانياً: الأعمال الفكرية

أ ـ محور المنظور الإسلامي للمعرفة:

١ ـ أصول تشكيل العقل المسلم (حول إعادة تشكيل العقل المسلم) (٥ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢ ـ مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣ ـ العلم في مواجهة المادية (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٤ ـ مدخل إلى إسلامية المعرفة (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٥ ـ تهافت العلمانية (٧ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

محور: المنظور الغربي للإسلام:

٦ ـ قالوا عن الإسلام (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٧ ـ القرآن الكريم من منظور غربي (طبعتان) (دار الفرقان ـ عمان).

٨ ـ المرأة والأسرة المسلمة من منظور غربي (طبعتان) (دار الفرقان ـ عمان).

٩ ـ الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٠ ـ نظرة الغرب إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم (طبعة واحدة) (دار النفائس ـ بيروت).

١١ ـ غربيون يتحدثون عن الإسلام (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

ب ـ محور البحوث والدراسات:

١٢ ـ مع القرآن في عالمه الرحيب (٣ طبعات) (دار العلم للملايين ـ بيروت).

١٣ ـ حوار في المعمار الكوني: وقضايا إسلامية معاصرة (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٤ ـ رؤية إسلامية في قضايا معاصرة (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٥ ـ مقال في العدل الاجتماعي (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٦ ـ متابعات إسلامية في الفكر والدعوة والتحديات المعاصرة (طبعة واحدة) (دار الحكمة ـ لندن).

١٧ ـ كتابات على بوابة المستقبل (بالاشتراك مع الدكتور عبد الحليم عويس) (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٨ ـ الله أو الطاغوت: مسائل أساسية في التصوّر الإسلامي (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

١٩ ـ رحلة في عالم الكتاب الإسلامي (قيد النشر).

٢٠ ـ محاضرات إسلامية (قيد النشر).

٢١ ـ أخطاء في حياتنا الإسلامية (قيد النشر).

٢٢ ـ دراسات قرآنية (قيد النشر).

ج ـ محور المقالات الإسلامية:

٢٣ ـ آفاق قرآنية (٣ طبعات) (دار العلم للملايين ـ بيروت).

٢٤ ـ مؤشرات إسلامية في زمن السرعة (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٥ ـ في الرؤية الإسلامية (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٦ ـ في دائرة الضوء (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

٢٧ ـ من النافذة الإسلامية (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

٢٨ ـ العالم ينتظر البديل (قيد النشر).

٢٩ ـ آيات قرآنية تطل على العصر (قيد النشر).

٣٠ ـ أحاديث نبوية تطل على العصر (قيد النشر).

ثالثاً: الأعمال الأدبية

أ ـ محور الدراسات الأدبية والفنية:

١ ـ الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢ ـ فوضى العالم في المسرح الغربي المعاصر (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٣ ـ الفن والعقيدة (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٤ ـ قراءة في كتابات النورسي: رؤية جمالية (الكلمات) (طبعة واحدة) (دار سوزلر ـ القاهرة).

ب ـ محور التنظير:

٥ ـ في النقد الإسلامي المعاصر (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٦ ـ مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٧ ـ حول استراتيجية الأدب الإسلامي (الغايات المستهدفة للأدب الإسلامي) (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٨ ـ متابعات في دائرة الأدب الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٩ ـ من يوميات الأدب الإسلامي (قيد النشر).

ج ـ محور النقد التطبيقي:

١٠ ـ محاولات جديدة في النقد الإسلامي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١١ ـ في النقد التطبيقي (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٢ ـ في النقد التطبيقي الإسلامي (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

د ـ محور الإبداع:

ـ المسرحيات:

١٣ ـ المأسورون (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٤ ـ الشمس والدنس (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٥ ـ المغول (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٦ ـ الهمّ الكبير (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٧ ـ التحقيق (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٨ ـ معجزة في الضفة الغربية (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

١٩ ـ خمس مسرحيات إسلامية ذات فصل واحد (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٠ ـ العبور (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

ـ الروايات:

٢١ ـ الإعصار والمئذنة (٤ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٢ ـ السيف والكلمة (طبعة واحدة) (المركز الثقافي العربي ـ الرباط).

٢٣ ـ مذكرات جندي في جيش الرسول (ﷺ) (طبعة واحدة) (دار وائل ـ عمان).

- القصص:

٢٤ ـ كلمة الله (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٥ ـ رحلة الصعود التي لا نهاية لها (طبعة واحدة) (دار ابن كثير ـ بيروت).

- الشعر:

٢٦ ـ جداول الحب واليقين (٣ طبعات) (دار ابن كثير ـ بيروت).

٢٧ ـ ابتهالات في زمن الغربة (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

- أدب الرحلات:

٢٨ ـ من أدب الرحلات (طبعتان) (دار ابن كثير ـ بيروت).

- أدب الحوار:

٢٩ ـ ريبورتاج: حوار في الهموم الإسلامية (طبعة واحدة) (دار الحكمة ـ لندن).

٣٠ ـ الطريق إلى فلسطين (طبعة واحدة) (دار وائل ـ عمان).

٣١ ـ لقاءات صحفية (طبعة واحدة) (دار السلام ـ القاهرة).

- السيرة الذاتية:

٣٢ ـ السيرة الذاتية:

لا إله إلا أنت (سيرة ذاتية) (قيد النشر).

٣٣ ـ من مذكرات طالب جامعي (قيد النشر).

فهرس الموضوعات

تقديم ٥

من مذكراتي اليومية لعام ١٩٥٩م ٩

كانون الثاني ٩

شباط ١٦

آذار ٢٠

نيسان ٢٥

مايس ٣٣

حزيران ٤٠

تموز ٤٨

آب ٥٧

أيلول ٧٥

تشرين الأول ٨٧

تشرين الثاني ٩٤

كانون الأول ١٠٣

من مذكراتي اليومية لعام ١٩٦٠م ١٠٩

كانون الثاني ١٠٩
شباط ١١٦
آذار ١٢٦
نيسان ١٣٣
مايس ١٤٤
حزيران ١٤٨
تموز ١٥٣
آب ١٥٨
أيلول ١٦١
تشرين الأول ١٦٩
تشرين الثاني ١٧٨
كانون الأول ١٨٧
من مذكراتي اليومية لعام ١٩٦١م ١٩٣
كانون الثاني ١٩٣
شباط ٢٠٠
آذار ٢٠٣
نيسان ٢١٤
أيار ٢١٩
حزيران ٢٢٢
تموز ٢٢٦

آب ٢٢٦
أيلول ٢٣٧
تشرين الأول ٢٤٢
تشرين الثاني ٢٤٨
كانون الأول ٢٤٩
من مذكراتي اليومية لعام ١٩٦٢م ٢٥٥
كانون الثاني ٢٥٥
شباط ٢٦١
آذار ٢٦٦
نيسان ٢٧٥
أيار ٢٨٣
حزيران ٢٩٠
تموز ٢٩٧
آب ٣٠٢
أيلول ٣٠٥
تشرين الأول ٣٠٨
تشرين الثاني ٣١٣
قائمة بالأعمال الكاملة للأستاذ الدكتور عماد الدين خليل ... ٣٢١
أولاً: الأعمال التاريخية ٣٢١
أ ـ محور المنهج والفلسفة ٣٢١

ب ـ محور السيرة والتراجم ٣٢٢
ج ـ محور البحوث والدراسات ٣٢٢
د ـ محور قضايا في التاريخ المعاصر ٣٢٣
ثانياً: الأعمال الفكرية ٣٢٤
أ ـ محور المنظور الإسلامي للمعرفة ٣٢٤
ب ـ محور المنظور الغربي للإسلام ٣٢٤
ج ـ محور البحوث والدراسات ٣٢٥
د ـ محور المقالات الإسلامية ٣٢٦
ثالثاً: الأعمال الأدبية ٣٢٧
أ ـ محور الدراسات الأدبية والفنية ٣٢٦
ب ـ محور التنظير ٣٢٧
ج ـ محور النقد التطبيقي ٣٢٧
د ـ محور الإبداع ٣٢٨
فهرس الموضوعات ٣٣١

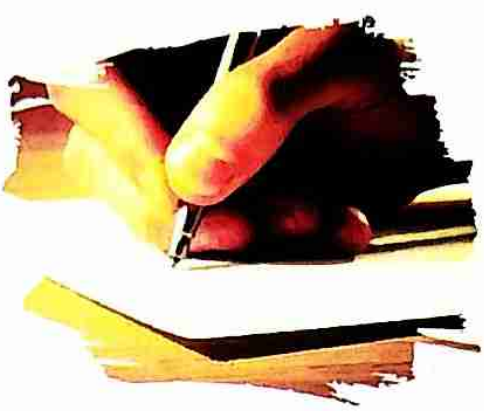

من مذكرات طالب جامعي

هذه مختارات من مذكراتي اليومية عندما كنت طالباً جامعياً في كلية التربية بجامعة بغداد للحصول على البكالوريوس في التاريخ في المرحلة بين عامي 1959-1962م نقلتها كما كتبت أول مرة، دون أي تغيير أو تبديل احتراماً للصدق الفني.

يوميات

وهذه المذكرات تعكس بصدق جانباً من مياومات طالب جامعي بمسراتها وآلامها ... بأبيضها ورماديها وأسودها على السواء ... وهي تمثل محاولاتي المبكرة في الكتابة والتأليف في سياقات الفكر والتاريخ والحضارة والأدب. ويجب - وأؤكد على الكلمة - التعامل معها وفق المرحلة الزمنية المبكرة التي كُتبت فيها.

مهما يكن من أمر فإنني عدت إلى مذكراتي الجامعية هذه لكي انتقي منها نماذج فحسب مما قد يهم قرائي الذين يتابعون كتاباتي لكي يروا بأم أعينهم كيف بدأت تتشكل أولى معطياتي التأليفية التي استغرقت - فيما بعد - عمري كلّه وتركتني ركاماً بعد أن جاوزت المئة مؤلف عدداً.

ISBN 978-614-415-323-9

DAR IBN KATHEER

www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com